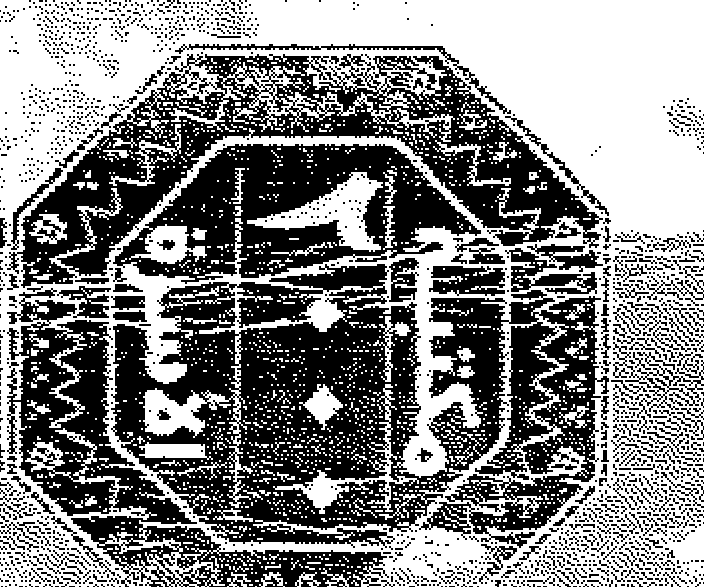
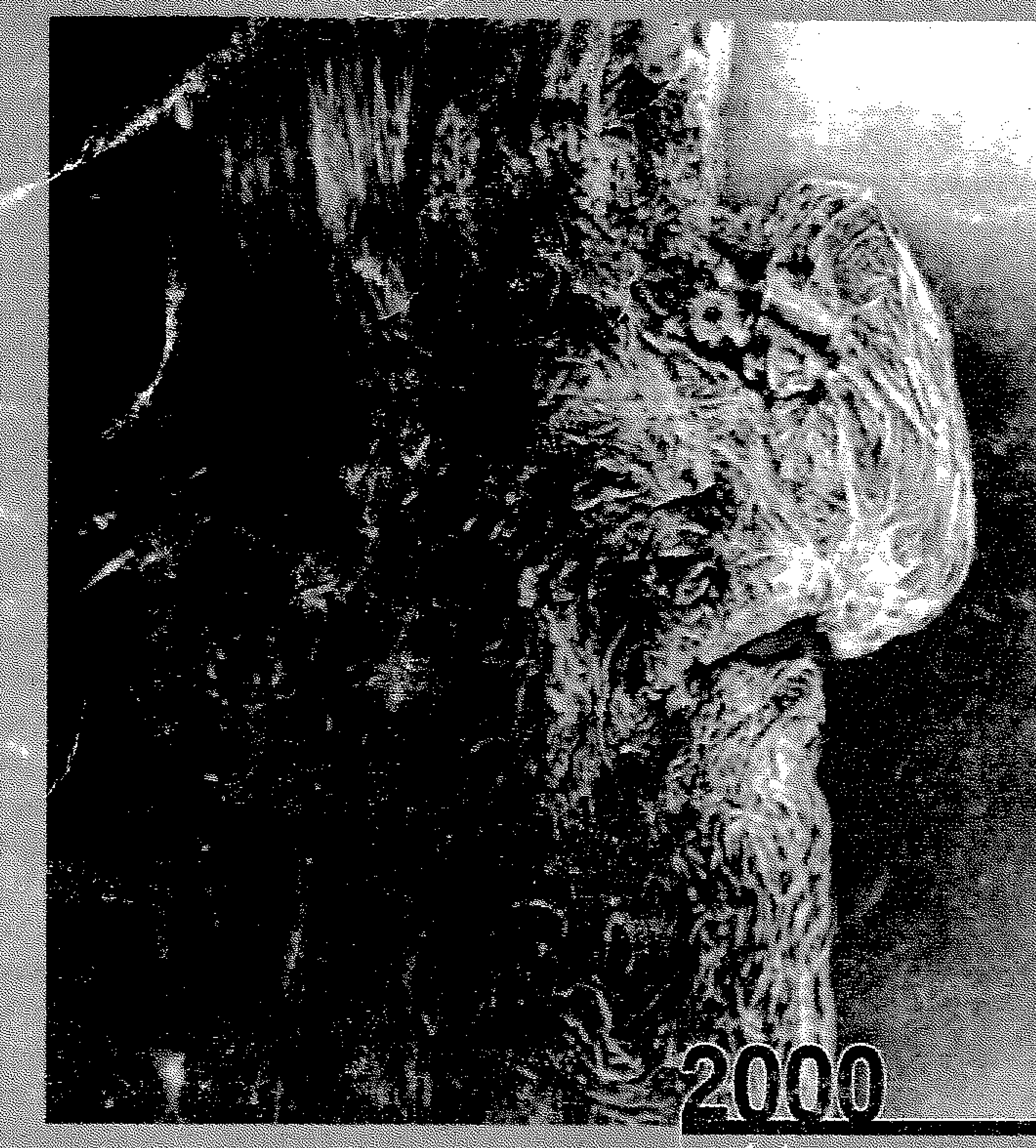
المثقف العربي والعولمة

د. مصطفى عبد الغني

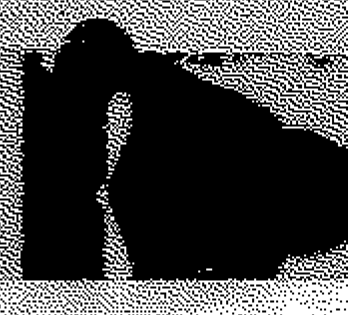
الأعمال الفكرية





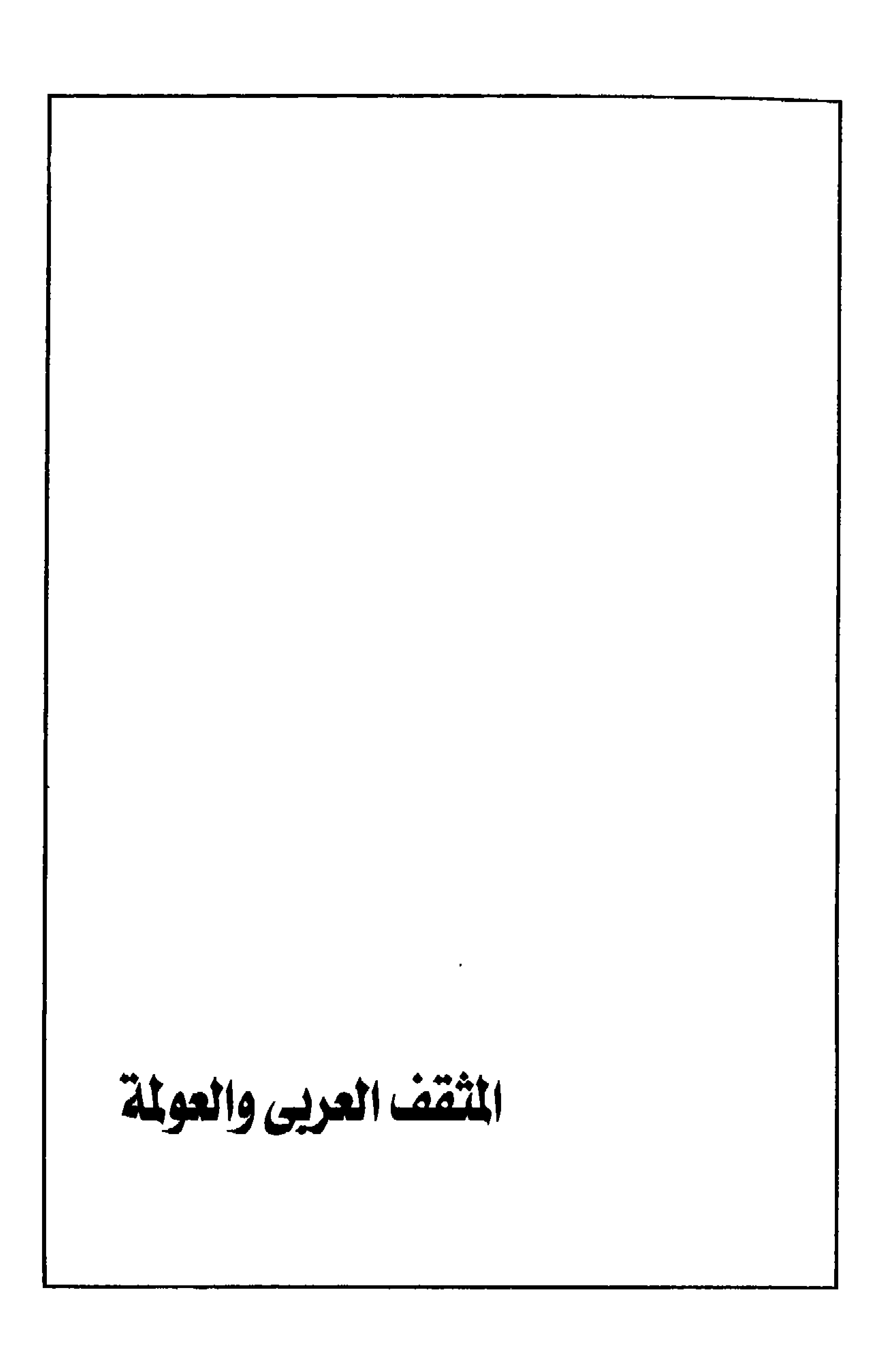
2000

مهرجان القراءة للجميع



...ئة المصرية
...عامة للكتاب

اهداءات ٢٠٠٢
د/ مصطفى عبد الغنى
القاهرة



المثقف العربى والعولمة

لوحة الغلاف

اسم العمل الفنى: من أعمال الديكور (١٩٨٧)
التقنية: خامات مختلفة وعجائن بارزة
المقاس: ١٥٠ × ١٣٠سم

عبد السلام عيد (١٩٤٣ ـ ....)

مصور، تخرج فى كلية الفنون الجميلة بالاسكندرية عام ١٩٦٩. لفت الأنظار إليه باللوحات البارزة ذات التضاريس. وقد جمع بين الرسم والتجسيم، وهو يستخدم العديد من الخامات.

حصل على دبلوم أكاديمية أوربينو عام ١٩٧٩، ويعمل أستاذاً لفن التصوير. وقد حصل على الجائزة الأولى (القسم المصرى) فى بينالى الاسكندرية ١٩٧٦.

أسهم فى جماعة التحول عام ١٩٦٩ مع ثروت البحر وعصمت دواستاشى. ويواصل إقامة المعارض، كما توجد أعماله فى متحف الفن المصرى الحديث ومتحف الفنون الجميلة بالاسكندرية والمنيا وأوربينو بإيطاليا ومتحف عمان الوطنى بالأردن. وله مقتنيات بدار الأوبرا المصرية، ومركز القاهرة للمؤتمرات.

محمود الهندى

المثقف العربى والعولمة

د. مصطفى عبدالغنى



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٠
مكتبة الأسرة
برعاية السيدة سوزان مبارك

(الأعمال الفكرية)

المثقف العربي والعولمة

د. مصطفى عبدالغنى

الغلاف
والإشراف الفني:
الفنان : محمود الهندى

المشرف العام :
د. سمير سرحان

الجهات المشاركة:
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التعليم
وزارة الإدارة المحلية
وزارة الشـباب
التنفيذ : هيئة الكتاب

على سبيل التقديم

«كتاب لكل مواطن ومكتبة لكل أسرة» تلك الصيحة التى أطلقتها المواطنة المصرية النبيلة «سوزان مبارك» فى مشروعها الرائع «مهرجان القراءة للجميع ومكتبة الأسرة» والذى فجر ينابيع الرغبة الجارفة للثقافة والمعرفة لشعب مصر الذى كانت الثقافة والابداع محور حياته منذ فجر التاريخ.

وفى مناسبة مرور عشر سنوات على انطلاق المشروع الثقافى الكبير وسبع سنوات من بدء مكتبة الأسرة التى أصدرت فى سنواتها الست السابقة «١٧٠٠» عنواناً فى حوالى «٣٠» مليون نسخة لاقت نجاحاً واقبالاً جماهيرياً منقطع النظير بمعدلات وصلت إلى «٣٠٠» ألف نسخة من بعض إصداراتها.

وتنطلق مكتبة الأسرة هذا العام إلى آفاق الموسوعات الكبرى فتبدأ بإصدار موسوعة «مصر القديمة» للعلامة الاثرى الكبير «سليم حسن» فى «١٦» جزءاً إلى جانب السلاسل الراسخة «الابداعية والفكرية والعلمية والروائع وامهات الكتب والدينية والشباب» لتحاول أن تحقق ذلك الحلم النبيل الذى تقوده السيدة: سوزان مبارك نحو مصر الأعظم والأجمل.

د. سمير سرحان

مقـــدمة

رغم خطورة موقف المثقف العربى من تجليات عصر العولمة أو مفهوم الكوكبة Globalization .. فان أحدا لم يتنبه اليه بالقدر الكافى ، وتفرقت الابحاث حول وصف عمليات كمية وكيفية فى تسعينات القرن العشرين فى مجالات السياسة والاقتصـــاد والثقافة والاتصال دون أن يتنبه أحد ـــ بشكل مباشر ـــ الى (موقف) هذا المثقف ، ومن هنا ، فان هذه المحاولة تسعى الى فهم هذه المواقف دون التورط فى عمليات التحول الغربى لهذا المفهوم فى عمليات التقنية (التكنولوجى) أو الانتـــاج والتبادل وما الى ذلك .

ان المثقف العربى من أهم المؤشرات الى فهم الواقع المعاصر . وكلما اقتربنا من هذا المثقف زدنا فهما لهذا الواقع وترديه فى نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحادى والعشرين .

ورغم اننا أسهمنا قبل ذلك فى هذا الفهم ، فان مـــرور الوقت وتطور الأحداث يرينا ان موقف المثقف العربى يـــزداد تحديدا ، ويرتاد المدى الذى يقترب معه من الساحة العربيـــة الكبيرة فى هذه الفترة الصعبة من تاريخنا .

وهو ما نسعى اليه هنا .

**

وتحدد مشكلة البحث فى محاولة رصد موقف المثقف منذ منتصف القرن العشرين الى اليوم وهى الفتـرة التى شهـدت تحول (حالة) المثقف عبر أنماط محددة فرضتها طبيعة الدولة التحررية فى الخمسينات والستينات مرورا بحقبـة التغييرات فى البنية الاقتصادية والفكرية وصولا الى قمة التغيرات الرأسـمالية العالمية التى تبدت أكثر وضوحا عقب سقوط سور برلين ، وانتهاء الثنائية المعروفة ليبدأ عصر القطبية الواحدة مع انتهاء حرب الخليج الثانية ، ثم رواج عصر المصطلح الجديد « العولمة » .

وهو ما يصل بنا الى منهج البحث .

يتحدد المنهج هنا ، فى المقام الأول ، فى المنهـج الامبريقى Empiricism بالمعنى الذى نعرفه من أن الباحث لا يمكن أن يعرف الا ما هو نتيجة مباشرة للمشاهدة والملاحظة والتجربة .

وعبوراً فوق تفسيرات كثيرة للمذهب ، فـان الامبرياليـة تعرف بوجه خاص فى المجال السياسى انطـلاقاً من النظريـات المعيارية من أن النظرة الذاتية للعالم « تنعكس بالضرورة على فهم لطبيعة العلاقة بين الفرد والدولة . فالفرد بالنسبة لهم مكون أساسى - بل المكون الأساسى - للمجتمع ، وبالتالى فهو أكثر أهمية من المجتمع ذاته وهو ما يمكن ادراكه بمعزل عن المجتمع ، بـل ان أى ظاهرة اجتماعية لا يمكن فهمها الا بالنظر اليه » .

ويجب الاسراع هنـا بالقـول ان فهمنا لمفـردات المـذهب (الامبريقى) من المشاهدة أو الملاحظة أو الفردية أو « ما يجب أن يكون » . . الى غير ذلك لا ينفصل قط عن وعينا للاطار الجمعى ؛ وخاصة أننا بشكل شخصى نتلمس المذهب الامبريقى بوعى شديد للواقع العربى ، فالى جانب دراساتنا الخاصة لربع قرن أو يزيد

لدور المثقف العربى (*) فى السياسة والاتجاه القومى العربى بوجه خاص ... فان المعاينة والمشاهدة ، والخبرة الميدانية ، فضلا عن أن الدرس والفهم والمشاركة فى اغلب الندوات حول (العولمة) فى داخل مصر وخارجها .. كان أكثر ما لفت نظرنا الى ما يحدث حولنا فى هذه الحقبة الخطيرة من تاريخنا المعاصر .

ولم يمنعنا ذلك من الافادة من المنهج التاريخى ، غير أن المنهج التحليلى كان عاملا مشتركا فى كل كتاباتنا بالقدر الذى نفيد فيه من المنهج النقدى .

**

وهو ما يصل بنا الى ما يثيره البحث من تساؤلات كثيرة يحاول الاجابة عنها :

— ما تأثير عصر العولمة فى المثقف العربى ؟

وهو سؤال يسبقه سؤال آخر ويرتبط به :

— ما هو موقف المثقف من تغيرات الحقبة الأخيرة ؟ وكيف تعامل معها ؟

بيد أن هذا السؤال الأخير ، يحمل ضمنا استفهاما أكبر نحاول الاجابة عنه هنا ، هو :

(*) مراجعة قائمة كتبنا لأكثر من ربع قرن يتضح لنا أن (المثقف العربى ظل أهم عناصر مشروعنا الفكرى ، وعلى سبيل المثال : أحمد بهاء الدين ، عبد الرحمن الشرقاوى ، طه حسين ، المفكر والأمير ، المثقفون وعبد الناصر ، زكى نجيب محمود ، الجبرتى والغرب ، عمالقة وعواصف ... الخ) .

ـ كيف تحول المثقف عندنا من عصر هيمنة نظام الدولة القومية الى عصر هيمنة الرأسمالية الشرسة وآلياتها الكثيرة ؟

وباختصار شديد :

ما هو موقف المثقف العربى من تحدى العولمة ؟

وهو موضوع هذه الدراسة ..

**

ونحب ان نشير هنا الى أننا لم نضع تفسيرات قاطعة لعديد من المصطلحات التى ترددت كثيرا فى الندوات والمؤتمرات والمداخلات ، فضلا عن التعريفات الكثيرة فى الدوريات والمراجع الرئيسية من شتى العلوم التى حاولت أن تقدم سيلا من التعريفات حول المثقف ، ثم مثقف العولمة ، ثم مصطلحات أخرى كالعولمة أو الكوكبة أو الكونية .... الى آخر ما يطلق على هذه الظاهرة .

معنى ذلك أننا تعرفنا على هذه المصطلحات و « روح العصر » عبر رصد هذه العلاقة الوثيقة بين مثقف العولمة وشتى القضايا التى اعترضتنا .

وهو ما يفسر تقسيم البحث وامتداده عبر عدة فصول .

سوف يكون تقسيم هذا البحث ممتداً من ارض الواقع العربى الراهن من الموقف من العولمة والدولة الوطنية عبوراً فوق

نماذج عربية كثيرة من كوبنهاجن الى القاهرة الى العربية السعودية الى المغرب ومن الواقع الممتد الى تخوم المستقبل غير غافلين عن خلفية الكادر الزمنى صاعدين فوق ذرى كثيرة بحكم موقعنا وموضعنا فى الحياة الثقافية لحقبة ليست بالقصيرة فى القاهرة وخارجها .

فأرجو أن أكون وفقت الى هذا والله الموفق ؟

د. مصطفى عبد الغنى

القاهرة ٢٠٠٠

الفصــل الأول

المثقف .. العولمة والدولة الوطنية

هذه دراسة تسعى الى رصد العلاقة بين الدولة والمثقف .

وهى — فى سعيها الى ذلك — تحاول ان ترصد لمثل هـذه العلاقة لأول مرة عبر منهجيات جديدة ومناخ مغاير لأية فترة سابقة، فلم تعرف أية فترة سابقة وصول الراسمالية الشرسة الى هـذه الدرجة من العنف فى الحركة والتقدم فى التقنيات والتوسع والامتداد فى الآليات الجديدة التى عرفت بداياتها منذ قرن أو يزيد ، ووضعت خطوطها العملية وقبضتها القوية فى نهايات الحرب العالمية الثانية ، وتحديدا فى اتفاقية بريتون وودز ١٩٤٤ .

كما انها تسعى الى رصد المواقف التى آل اليها انماط المثقفين فى نهاية القرن العشرين ، خاصة عقب أزمة الخليج الثانية مباشرة ١٩٩١ حين تحولت انماط المثقفين فى أغلبها — الى انماط مغايرة .

لقد تصاعد المد الامبريالى الجديد ، فى حين شهد العالم ، وبخاصة المنطقة العربية ، هبوط مؤشر اعتداد المثقف ، وسقوط الدور الذى كان يتصاعد منذ فترة بعيدة فى تاريخنا الحديث والمعاصر .

ونحب هنا أن نشير ، قبل ان نصل الى العلاقة بين المثقف السائد والعولمة (عبر الدولة الوطنية) الى اننا سنتحاشى التوقف عند الكثير من المصطلحات المباشرة التى عبر عليها الكثير من المثقفين العرب .

ولهذا سوف تسعى الى أن نرصد عبر هذا الفصل آلاف الندوات والمؤتمرات والتفاعلات والمداخلات والتفسيرات ... الخ التى عرضت لمصطلح (العولمة) (*) ، كما اننا عند المرور (بنظام الدولة) لن نتمهل عنده كثيراً ، اللهم الا بما يلقى فى اشكالية البحث .

ومن هنا ، فسوف يكون التركيز الرئيسى حول رصد مواقف المثقفين على شكل انماط تعددوا بحكم اختلاف المشارب وايثار المواقف المسبقة من تغيير القناعات أو ايثار جانب الدولة وما الى ذلك ، على ان يكون هذا الرصد يمتد فى دائرة عصر العولمة من أقصى دولة (المدينة) كما يعرفها اليونانيون وبعض أفكار فلاسفتهم الى أقصى مفاهيم الدولة الكينزية أو السميثية نسبة الى سميث وهو ما نتمهل عنده الآن ..

أولا : « نظام الدولة »

يقصد « بنظام الدولة » هنا هو هذا النظام الذى انحصرت سلطته فى الدولة المركزية فى الخمسينات والستينات ، وتمثل نظام الحكم السائد فيه فى أساليب البيروقراطية والأمن

(*) رصد البعض المؤتمرات والندوات والمدخلات .. الخ التى عقدت حتى ربيع عام ١٩٩٩ عن العولمة فوجد انها تصل الى ١٧٠٠٠ ، ويمكن أن نتصور العدد الهائل من الندوات التى عقدت والى نهاية عام ١٩٩٩ ، حتى أن القضايا الخلافية حول مصطلح (العولمة) نفسه تصل الى أعداد فوق ما يتصور أى باحث .

والسياسة ، وهى سياسة قامت على أساس الهيمنة على الاقتصاد ، ملكية وسائل الانتاج والتبادل ، كما ان الشريحة الاجتماعية التى قامت سلطتها غيها على أساس سياسى قامت على « قوة الدولة والدعاية الايديولوجية للمثقفين ، فهى نخبة البرجوازية الصغيرة ، وذلك منذ الخمسينات فى العديد من البلدان العربية مثل مصر وسوريا والعراق وتونس واليمن والجزائر وليبيا والسودان وفلسطين . تتكون هذه النخبة الجديدة بالأصل فى أغلبها من عاملين ذهنيين مسيسيين وضباط صغار وطنيين ، ينحدرون من طبقات صغيرة الملكية تعيش غالبا على قوة عملها ، ولا ترتبط بمصالح اقتصادية أو سياسية بالدول الاستعمارية » (١) .

وقد استطاعت هذه القوة فى دولة مركزية كمصر أن تهيمن على المجتمع المصرى ومؤسساته التى وجدتها عشية القيام بثورة ١٩٥٢ فى مصر ، وقد دخلت فى مرحلة ثورية لم تكن ممارساتها أكثر من سياسة (براجماتية) ــ كما اعترف قادتها ــ ومن ثم ، راحت باسم الشعب اقتراح مشروع ثورى كان خاضعا فى الغالب للظروف السياسية فى تعاملها مع القوى الداخلية المعادية أو الخارجية الاستعمارية أو التى كانت تتهيأ للعب دور استعمارى اقتصادى أو تبعى ، ومن ثم ، اعلنت أفكارها فى مبادىء ستة أول الأمر ثم حاولت بعدة اجراءات متوالية ــ الخلاص من حالة التخلف وبقايا الاستعمار والتحرر من الاستعمار السياسى والاقتصادى ، واقامة نظام جديد حاولت ان تحدث فيه قدرا من المساواة وان لم يكن للديموقراطية نفس الحظ فى هذا النظام .

وقد شهدت هذه الحقبة محاولة تنفيذ مشروع تنموى ومحاولة القضاء على الاقطاع السابق لقيام الثورة والغاء جميع الأحزاب

السياسية والهيئات التمثيلية التى كانت قائمة قبل ذلك وشغلت طويلا بمحاربة الصهيونية والهجمات المتوالية عليها من الغرب . المهم فى هذا كله ان هذا النظام استطاع بعد سنوات الغاء النظام الاقطاعى واقامة الحزب الواحد والتنظيم الطليعى واختصت نخبة ثقافية كانت على استعداد للتعاون مع نظام الدولة ، فاستطاعت اكمال السيطرة على قطاع التعليم والاعلام وأنهت استقلال الجامعة والسيطرة على وسائل النشر .. وما الى ذلك .

المهم فى هذا كله ان (نظام الدولة) بقدر ما كان له مثقفوه العضويون — بتعبير جرامشى ، والتقليديون بنفس التعبير ، كان يواجه عدداً آخر من المثقفين ممن رفضوا الانضواء تحت رايته ، خاصة ، بعد عدة ممارسات بدا فيها أن الخلاف شاسع بين الدولة وبين عدد كبير من المثقفين الخارجين فى أغلبهم من الفترة السابقة .

لقد استطاع النظام أن يكون له مثقفوه ممن وجدوا فى هذه الدولة ايثارا لهم فيما سمى فى هذا الوقت (باهل الثقة) ، خاصة ان هذه الدولة فتحت أمامهم كما لاحظ العديد من المحللين « أبواب المناصب الادارية التى أغلقها أمامهم الاستعمار ، فقاموا بتوفير المستشارين والمخططين واطارات التجنيد الجماعى التى كانت تحتاجها هذه الدولة لتسيير المجتمع » ، بيد أن هؤلاء المثقفين الذين مثلوا أحد أنماط المثقفين حينئذ وهو النمط المؤيد كان يعيش فى فترة عرفت انماطا أخرى ، ويمكن رصد مواقف المثقفين فى فترتى الخمسينات والستينات الى عدة انماط على النحو التالى «المثقف المؤيد ، المثقف المهادن / الانتهازى ، المثقف الصامت »(٢).

على انه بمرور هذه الحقبة حتى وجد المثقفون الرسميون العضويون ، أنفسهم فى زمن آخر ، اذ ان سياسة السادات الجديدة حاولت ان تستخدم أغلبهم كأبواق لها ، ومن ثم وجد

هؤلاء المثقفين أنفسهم أما ضحايا للنظام الجديد واما ضحايا لانتهازيتهم ، وفي جميع الحالات فقد كانت فى فترة السبعينات والثمانينات هنا حقبة تحول قاس للمثقفين ، وجدوا أنفسهم أمام سياسات مفاجئة واتفاقات جديدة و (اتحادات) كان الهدف منها هو احكام سيطرة السلطة على ما بقى معارضا للنظام ، وتكفلت السجون بعدد آخر ، ولم يسمح لمن بقى منهم الا التبعية ففقد المثقف الأمان الثقافى والاقتصادى .

المهم هنا أن عدداً آخر من المثقفين استطاعوا تحت سمع وبصر ودفع النظام فى السبعينات والثمانينات أن يسيطروا على أجهزة المثقفين ، ويتحدثوا بأسمهم ، وتغيرت الموازين بشكل لم يستوعبه عدد كبير منهم حتى وجدنا من التزم الصمت كان عدداً كبيراً ومن كان فى طريقه الى ذلك — فيما بعد — كان عددا لا يستهان به أيضاً .

وهو ما نصل منه الى أن المثقف وجد نفسه أما موظفاً فى الدولة واما صامتا ، واما متحولا فى حالة اضطراب شديد .

كانت هذه هى الفترة التى دارت فيه دائرة الاخفاقات والتنازلات السياسية فى الوطن العربى كله سواء بوضع المثقفين ثانية فى السجون أو تفريغهم على شركات الاسماك أو الاحذية أو زيادة الضربات الحادة للموقف العربى من العدو الصهيونى ومن الغرب كله سواء فى شكل الاتفاقات المنفردة أو التنازلات المدعومة بوعود السياسيين ، وانتهى الامر كله بأزمة الخليج التى انتهت بهزيمة السياسى العربى وقبله المثقف العربى .

والجدير بالذكر هنا انه فى حين كان اليوم الأخير لحرب الخليج ينتهى فى عام ١٩٩١ حتى كان الرئيس بوش يتحدث عن

النظام العالمى الجديد ، ولم يمض شهر حتى كان يكرره مرات عديدة زادت على الأربعين مرة فى الأيام التى أعقبت الازمة .

وبدأ عصر العولمة بعد أن سقطت الثوابت فى العالم كله ، وظلت سلطة الولايات المتحدة الأمريكية ثابته ، ومتبلوره فى النظام العالمى الجديد و (نهاية التاريخ) حيث بدت العولمة هى الخيار الوحيد أمام العالم كله .

والواقع أن المدقق فى تبلور هذا الواقع الجديد يلاحظ أن ذلك التغيير لم يبدأ بين يوم وليلة (فقد عاد به البعض الى قبل أربعة قرون) (٣) . وانما كانت تسعى اليه الولايات المتحدة الأمريكية عقب الحرب العالمية الثانية ، فعديد من الوثائق تشير الى أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تنصب شباك الهيمنة على العالم كله فى هذا العقد ـ الأربعينات (٤) ، بيد اننا نستطيع ان نتمهل عند بداية الستينات لنسمع لأول مرة المصطلح الذى تردد كثيرا فيما بعد (القرية الاليكترونية الكونية) وهو مصطلح أطلقه العالم السوسيولوجى الكندى مارشال ماك لوهان وهو المعنى الذى يمكن أن نفسر به سياسة الولايات المتحدة الامريكية فى العالم كله سواء بمغامرتها فى كوريا عقب الحرب العالمية الثانية أو حرب فيتنام وحروبها الكثيرة فى أمريكا اللاتينية والمنطقة العربية فيما بعد وبشكل أخص انتصارها لاسرائيل ووصول سياستها الى منتهاها عقب انتهاء حرب الخليج لتردد مصطلحات أخرى من نوع (نهاية التاريخ) و (صراع الحضارات) أو (القرن الأمريكى) .. وما الى ذلك ، ودخولها فى مغامرات أخرى فى التسعينات كان آخرها قيادة التحالف الدولى (الناتو) ضد بلغراد غير عابئة بأية قوة أخرى تواجهها .

والآن ، ما هو موقف المثقفين من ظاهرة (العولمة) ؟ وما هى انماطه ؟

ثانيا : المثقف العربى

أكثر ما يلاحظ فى نهاية العقد الأخير من القرن العشرين ان انماط المثقفين فى علاقاتها بمفهوم العولمة بدت تتزايد ، وتتعدد مع مرور الأحداث ورصد دلالاتها ، وبعد أن كان عبد الله العروى قبل ربع قرن يعدد انماط المثقفين بانها لا تزيد على ثلاثة : الليبرالى وعالم الدين وعالم التقنية ، فقد اتسعت الدائرة الآن أكثر ، وأصبحت الانماط تتناسل حتى كدنا نجد أمامنا انماط كثيرة لمفهوم العولمة ، وهو ما يعو دفى الغالب الى غموض المفهوم نفسه ، رغم كثرة المؤتمرات والمداخلات والكتابة شبه اليومية عنه ، وفى الوقت نفسه ، دفع الفترة الساداتية عدد كبير من المثقفين الى اتخاذ مواقف كثيرة ، ونستطيع ان نحدد قانون الاستثمار عام ١٩٧٤ للانفتاح فتقرر مصر الرسمية فى فترة السبعينات الخروج الى العالمية (ابان تطلعات أنور السادات وطموحه وغروبه ...) ومن هنا ، لعبت ظروف كثيرة منذ هذه الفترة المبكرة فى صنع التوجهات الجنينية لفكر المثقف.

ورغم ان الشائع أن عصر العولمة بدأ بالفعل فى بداية التسعينات ، فان الموقف الغربى منا ـ فضلا عن توجهات النظام ـ صنعت مبكرا هذه المواقف الجنينية اذ كانت هيمنة الجات مازالت تفعل فعلها وتفرض توجهات معينة على صانع السياسة المصرية وتزايد تأثير الشركات متعددة الجنسيات وتراجع الحكومات الوطنية وزيادة وطأة رجال الأعمال .. الى آخر ذلك .

وعلى هذا ، بدا أن السنوات الأخيرة أكثر السنوات التى شهدت تراكمات أسهمت فى تعدد انماط المثقفين ازاء هذه الأحداث الكثيرة المتزايدة .

ونستطيع ان نصنف المثقفين ـ مجازا ـ الى عدة انماط على النحو التالى :

المثقف السلفى

وهذا المثقف السلفى يسهل العثور عليه كثيرا فى المؤتمرات والتجمعات التى يكون موضوعها العولمة ، وهو يتخذ موقفا حادا منذ البداية من العولمة ، ملوحا بكل الطاقات الحية للتراث الاسلامى ، وكثيرا ما يقحم العقيدة فى موقفه ، بدعوى ان الاسلام عرف ـ قبل هذا كله ـ هذه العولمة حين دعا الى (العالمين) فى عديد من الآيات القرآنية .

ولا يأبه كثيرا بخلط الازمنة ، ولا يراعى أن السياق الذى يتحدث عنه غير السياق المعاصر ، وان اختلاف الازمنة أكثر ما يفصل بين الفكرتين المترابطتين على غير أساس ، وهو ما يشير الى انفصال تام عن الحاضر الذى يجد فيه كل نقيصه ، ويتصل ـ تحت أية مبررات ـ بالماضى على أن فيه كل الكمال .

وهذا المثقف السلفى نجده على المستوى الجماعى يمثل خطا بشريا واحدا مناقضا فى توجهه لهذه العولمة و « أول مكونات ايديولوجيا هذه الجماعات هى الماضى . الارتداد للماضى هو الحل : يجب أن نحكم ونشرع ونتصرف على ما تصرف به أولياء ديننا قبل ألف سنة ونيف . وطبعا بصورة انتقائية . اذ بينما قامت الحضارة الاسلامية على مفهوم جغرافى واسع النطاق ، شبيه بالعولمة ، وبالقدرة على احتضان الثقافات والجدال والنقد والتيارات الفكرية . فان القيم المثلى المنتقاه هى تلك التى عرفتها قبائل العرب فى احدى مراحلها المبكرة ، ممزوجة بما شهدته

المجتمعات الاسلامية فى عصر الانحطاط . الغـــرب شر مطلـــق ، المدرسة لتعليم الدين فقط ، المرأة لا تتعلم ولا تخرج ، القانون هو شأن الحاكم ومستنابيه ، واللهو حرام ، والعقل فى السجـــن ، والتطبيع هو النموذج » .

ويشترك هذا السلفى فى مصر لدى العديد من أمثاله ــ كما نعرفها خارج مصر فى التجربة الجزائرية فى القريب والافغانية فى البعيد ــ حتى كان من أهم مكونات هذه الايديولوجية بشكل عام هو الموت ، نكثر من الاولاد ونرسلهم عراة الى الموت ليلاقوا وجه ربهم » (٥) .

ورغم أن النمط السلفى فى مصر أقل غلوا منه فى عديد مـــن الأقطار الأخرى ، فانه يشترك معها فى كراهيته التى لا تقبل الفهم أو الجدل لهذه العولمة .

ويلاحظ عدنان الأمين أن هذا السلفى ــ أو رجل الدين ــ يواجه التكنولوجيا بالايديولوجيا ، والطائرة بالدعاء لربهم عليها .

المثقف الرسمى

وينتمى هذا المثقف ــ بشكل ما ــ الى المثقف الرســـمى فى الدولة حيث يمثله المؤسسة الأزهرية التى تتمثل فى توترات دينية تنتمى الى النظام رغم تراجع وسائل القوة فيه فى عصر العولمة ، ومن هذا أنه يتم « توظيف الكاسيت فى نشر خطاب دينى ــ فقهى متشدد ، وذلك كاعلام مواز لاعلام الدولة الدينى ، لا سيما مـــن قبل وعاظ الغضب الراديكاليين الذين ينتجـــون خطـــابا وعظيـــا وانتقاديا يدور حول محاور عدة ، منها نقد الدولة وسلطاتها الرسمية

بديلا عن القوانين الوضعية .. » أى ايثار (أسلمة) الحياة بشكل متشدد ، كما يتأثر هذا المثقف فى قمة غضبه « بالخطاب الدينى المحافظ التى تنتجه المؤسسة الدينية فى بعض البلدان العربية » وهو ما يتم عبر وسائل اليكترونية أو تقنية سائدة ..

ويمضى فى نفس الاتجاه وأن اختلف عنه فى الأسلوب نوع آخر من المثقفين الذين يقفون الى يمين العقيدة ، وان كانوا أكثر راديكالية ، يمكن أن نرصد منهم بعلى التوالى : الاخوان المسلمين والجماعات الاسلامية الراديكالية .

المثقف المتطرف

فرغم موقف النظام من جماعة الاخوان ، فان مثقف الاخوان ـ كما لاحظ نبيل عبد الفتاح فى كتابه (النص والرصاص) قاموا بتوظيف تكنولوجيا الاعلام واساليبه فى حملاتهم الانتخابية بكفاءة ، بل انهم استخدموا الكومبيوتر فى بناء هيكل الجماعة التنظيمى وخريطة انتشارها داخليا وكوادرها ، والغريب انه فى حين استخدمت الجماعة أساليب عصر العولمة فانها لم تتأثر فكريا من حيث المعتقد الدينى « وانما ظل موقفها يدور حول بنية التفسيرات السنية التقليدية لقادتها وكبار منظريها » .

وهو ما أوغل فيه أكثر الجماعات المتشددة ، فقد شهدت الحقبة الأخيرة من القرن العشرين موقف المثقف الاسلامى الراديكالى وهو يتحول من كراهية التكنولوجيا الى توظيفها فى الصراع مع الدولة ، وهو ما نجده فى استخدامها للأجهزة الحديثة بشكل متقدم سواء الأجهزة والبرميجيات الاليكترونية أو (الانترنيت) بشكل اتسع بشكل كبير فى التسعينات .

واذا كان العديد من الكتاب والمفكرين العرب راحوا يصنفوا انماط المثقفين فيبدأوا بالعالم أو رجال الدين ، فمن يتأن عند مواقف هذه الجماعات يلحظ هذه الثنائية التى تتحدد فى التناقضات التى تفصل بين هذه الجماعات وبين منطق الحداثة المعاصر فى العالم اليوم ، ومن هنا فان الخطاب الدينى ـــ السياسى السائد الآن فى هذه المنطقة من العالم ـــ كما نلاحظ عند نبيل عبد الفتاح ـــ يحمل انتقادا لاذعا وبصورة دائمة لقيم الحداثة بوصفها « صنمية مادية » و « انحطاطا خلقيا » ومن ثم يتأسس توظيف المنجزات التكنولوجية وتطوراتها بوصفها مجموعة من الأدوات للاستهلاك ، وهو استهلاك مبتسر ومعلق للتقنية ، ولا سيما فى مجالاتها الأكثر تطورا وهـــذا التوظيف البراجماتى للنزعة للتكنولوجيا فى اطار مشروع الجماعات الاسلامية ، هو محاولة للفصل بين التكنولوجيـــا ، والقيـــم التى انتجتها ، اذ هو استخدام لتكريس المقدس كما يقدم فى خطـــابهم كمشروع سياسى واجتماعى شمولى ، وهدفه هو الاستيلاء عـــلى الدولة وفق أسس ومفاهيم ، وهندسة سياسية وقانونية مغـــايرة لقيم الحداثة السياسية والقانونية .

ويبدو أن هذا الاتجاه يرى أن الحداثة هى جعل الانســـان ـــ الفرد مرجع الكون ، فى حين أن المعتقد السياسى الدينى لجماعات الاسلام السياسى ـــ الدينى لجماعات الاسلام السياسى يتمثل فى أن الحاكمية لله . وأن السلطة لله وحده ، والحكم له جل جلاله . فى حين أن صعود الحداثة ترافق مع التحول الابيتستيمولوجى مـــن الميتافيزيقا الى الوضعية وحل الايمان بوجود حقيقة مطلقة لا يستطيع الانسان استيعابها .

ومهما يكن ، فان هذا الموقف من التكنولوجيا لدى جماعـــات الاسلام السياسى المحافظ أو التقليدى يمثل أهم المواقف التى تتحدد فى (براجماتية) غير واعية لطبيعة العصر الذى يزيد الحـــديث

فيه بلهجة فوكوياما وهنتنجتون ، وتزيد فيه سرعات طائرات الناتو فى المساحة الصربية التى تتعدد فيها الأجناس بغض النظر عن الانتماء الدينى أيا كانت درجته .

المثقف الخبير

والخبير هنا لا يمثل نقيض السلفى ، وانما هو نمط آخر ادرك اكثر من غيره أهمية هذا العالم الجديد ، واتقن أدواتــه فآثر أن يكون أحد الفائزين فيه ، لقد أصبح أمام ظاهر علميــة لهذا المفهوم يمكن أن نجدها فى أى مكان من الكرة الأرضية » .

وهو يمثل مفهوما عالميا بالفعل .

نجد هذا الخبير فى طيارى الخطوط الجوية ومبرمجـــى الكومبيوتر ، وعديد من المخرجين السينمائيين وأصحاب المصارف العالمية ومشاهير السينما والاغنية واختصاصى البيئة وأثريــاء النفط والاحصائيين والمحاسبين والمحامين الجدد ونجوم الكرة ، وغيرهم باتوا يشكلون فى تعبير البعض (بنجامينر . باربر) فئة جديدة من الرجال والنساء يرون فى الدين والثقافة والانتمــاء العرقى عناصر هامشية فهويتهم هى قبل كل شىء فى انتمائهــم المهنى (٦) .

ونجد هذا الخبير فى كثير من الأعمال التى تتطلب حرفيــة تقنية حديثة فقط بمعزل عن أى فكر أو عقيدة ، ويصف صفاته جيمس سميث فى موضع آخر بانه اذا ما أراد خبير أن يكـــون مطلوبا ، فان عليه أن يخاطب السلطة ضمن سياق سيـــاسى وبيرقراطى ، كما أن عليه أن يقول حقائق مفيدة وينبغى أن ينظر دائما الى دعاواهم عن الحقيقة فى ضوء علاقتهم بالسلطة (٧)

يضيف آلن منك Alain Minc فى كتابه الذائع الصيت عـــن (العولمة السعيدة) ان هذا الخبير يمثل مع غيره شريحة يتكون منهم عملاء البورصات وحكام الأسواق المالية ممن يستطيعـــون من خلال شبكة مغايرة من المفاهيم مثل المديونية والانفاق العام وعجز الميزانية ومستوى التضخم وحجـــم البطالــــة أن يقرأ فى الواقع الاقتصادى لبلدهم دون أن يهتمـــوا بالتأثير الفاعـــل فى الاقتصاد الوطنى لمصلحة السيد الجديد فى عصر العولمة .

انه النموذج الأمثل للخبير الذى يهتم بحـــرفيته ولا يهتـــم بسواها ورغم أن التأمل يرينا أن هذا المثقف الخبير كما نراه فى الغرب ليس موجوداً بهذا الشكل عندنا ، فان تأمل حاضرنا فى الدائرة الاقتصادية ترينا أنه يمكن أن نعثر على هذا الخبير فى الشركات المتعددة الجنسيات التى لا بد وأنها تستعين بخبـــراء عرب ، كما اننا نستطيع أن نجد مثل هذا الخبير فى البورصـــــة عندنا الآن ، بل وفى عديد من المناطق التى يغلب فيها مشروعات رجال الأعمال ، والشركات الاستثمارية ، والجهات التى تزيـــد فيها الأجهزة المعلوماتية الحديثة .

الأكثر من هذا أن هذا الخبير عندنا أصبح يمتلك بفعـــل ما تعلمه وما عرفه عن غيره — سواء بفعل التعليم الخاص لغات أو الأجهزة الحديثة — وضعا يعلو عن أى خـــريج جـــامعة أو متخصص وفى أية تخصص آخر ، لقد أصبح الخبير الذى يمتلك مثل هذه الادوات يمتلك العلم المضنون به على غير أهله كمـــا كان يسمى العلم فى العصر العباسى ، فما كنا نمتلكه فى العصر العباسى أصبح يعرف الآن بأدوات العلم الحديث (المعلوماتية) ويخدم السيد الجديد (النظام العالمى الجديد) .

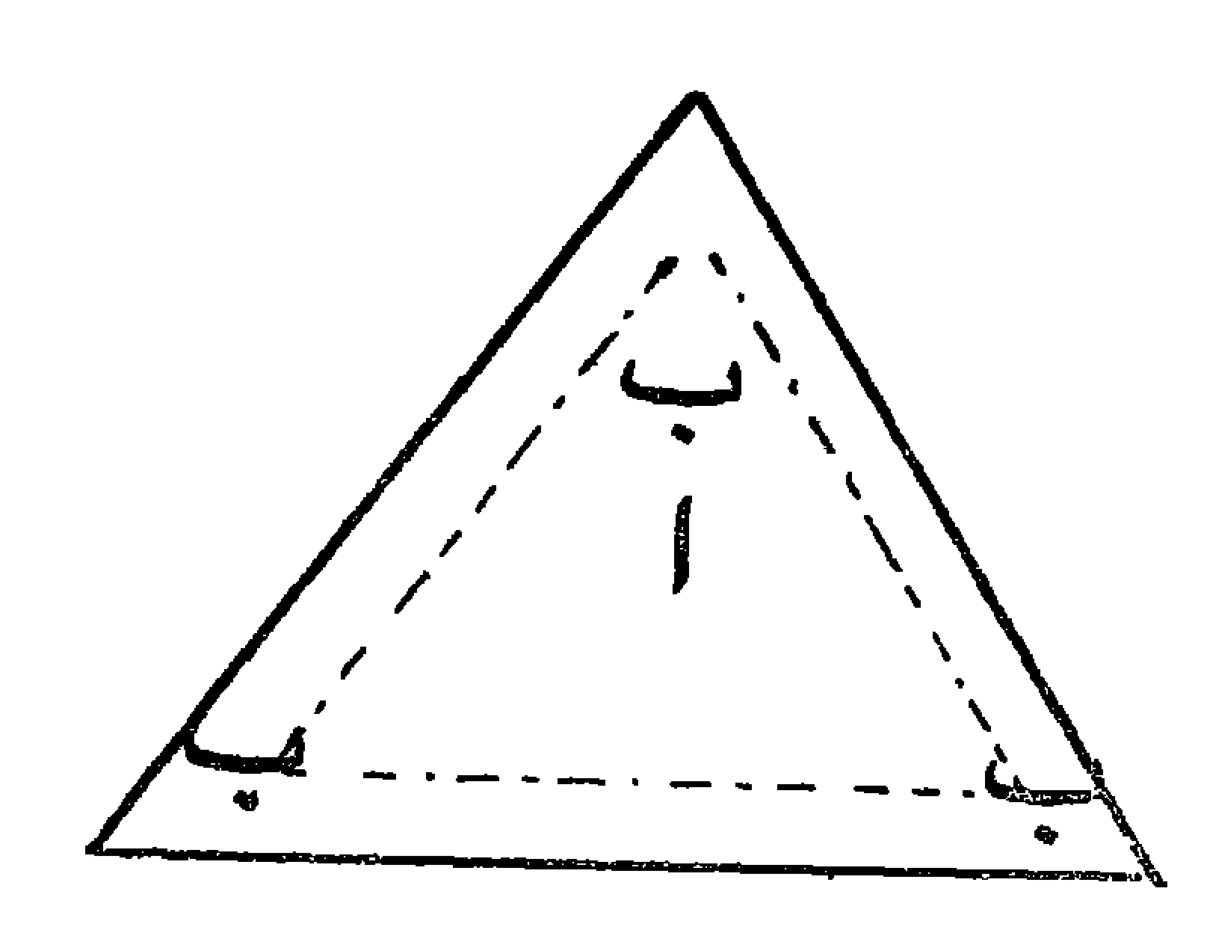
لقد تغيرت الصورة الآن وتحول الهرم الضمنى للتعليم لدينا هرما آخر . لقد أصبح المثقف / الخبير هو الذى يمتطى قمة الهرم فى جمهورية أفلاطون ، بل أصبح الهرم الجديد الآن يمكن أن يكون بديلا لهرم أفلاطون أو محتويا له .

ان الهرم الجديد يشير الى أن الخلق ينقسمون الى اثنين : السادة والعبيد .

ولما كان السادة هم أصحاب النظام العالمى الجديد (أ) فقد أصبح طرفى النموذج (وليكن شكل المثلث هنا) هم المثقفون ، وهم يملكون قمة الهرم وان يكونوا فى القاعدة لكنهم يقفون مجازا وراء الرمز (أ) ليجعلوه قويا ، فى حين أن الشغيلة وهم الذين بنوا الهرم أنفسهم من العبيد (كانوا فى جمهورية أفلاطون من النساء والعبيد وأصبحوا الآن من عامة الناس خارج اطار هذا المثقف الخبير) .

الخارجى : افلاطون

الداخلى : النظام العالمى الجديد



ومن هنا يصبح الخبير هو المثقف العضوى ـ كما عرفنا فى نظام الدولة ـ من بل وهو هو المثقف العضوى الآن ولكن فى نظام آخر يطلق عليه النظام الرأسمالى الجديد ، يعمل له ، وان يكن فى هذا النظام الجديد فى حمايتها وضمن سادتها الجدد ، لا يهبط الى عامة الناس ولا يبتعد عن أصحاب النظام العالمى الجديد .

وهو ما يذكرنا ثانية بالمثقف / الخبير عندنا الآن ، فحين كان نظام الدولة قويا كان للمثقف دورا بالسلب أو الايجاب . كان له دور ما فى أيديولوجية الدولة سواء داخل السجن أو خارجه ، كان فاعلا بشكل ما ، أما الآن ، فقد أصبح للمثقف سيداً آخر هو النظام العالمى الجديد .

المثقف المؤيد

هذا المثقف هو الذى يجرى فى سباق العولمة ، ويخضع ولا يخضع للابهار التكنولوجى ، ويستنيم لحضارة المعلوماتية بآلياتها .

ولا مانع لدى هذا المثقف من أن يستخدم لغتنا فى ترويج بضائع أمريكية ، ويستخدم ما عرفه من تعليم من أموال دافعى الضرائب ليعيد تعريف العلوم كما يريد الغرب ، ويعيد النظر ـ على سبيل المثال ـ الى التراث الشعبى ، ولأن العلاقة وثيقة بين العولمة الامريكية ونظيرتها الاسرائيلية ـ فلا فارق بينها ـ فلا بأس من أن يستخدم علمه فى تأكيد جذور الثقافة والتراث الشعب والاساطير اليهودية .. الخ فى تراثنا وحضارتنا القديمة ولا بأس على هذا المثقف من أن يوظف ثقافته لتأكيد صور الاعلانات للسيد (ماك) ـ ماكدونالد أو ترويج البضاعة الامريكية بأساليب جديدة .

لم يعد الحديث الآن عن مثقف مثلَ العقاد أو طه حسين ، وانما يروج الحديث فى صورنا المرئية والمسموعة عن اسماعيل يس والقصرى (ويمضى يوم ذكرى رحيل العقاد فلا نسمع غير الاحتفاء باسماعيل يس طيلة اليوم اذ يتصادف أن يكون هو نفس يوم ذكرى الممثل الكوميدى) ، وأصبحنا نقرأ لكتاب ومبررين عن قيم رامبو وشوارزنجر ومادونا ومايكل جاكسون ولا نعرف شيئا عن فنانينا الكبار الواعى الغائبين فى عصر العولمة .

ونظن أن ما يحدث الآن فى عالم الاعلان والمسرح — ويشارك فيه كتاب معروفون — غير بعيد عن تيار العولمة .

المثقف الغائب

وهذا المثقف يقترب من المثقف السابق الاشارة اليه . فهو غائب عن الأغلبية الشعبية والعدد من المثقفين — وان كانوا قلة — فانهم مازالوا يحافظون على الوعى الكونى مع عدم اغفال الهوية ، وهو غائب عن قيمنا التى تنتمى اليها الأغلبية ، ومن ثم ، من السهل أن نعبر هنا على هذه الهوة العميقة الجديدة بين المثقف والشارع أو المثقف و (الرجل العادى) .

وهى مهمة لم يغفل عنها المثقف المصرى المنتمى للطبقات الشعبية قط .

وفى حضور الأمية الهجائية والثقافية لدى عدد كبير من أبناء شعبنا ، ينتمى هذا المثقف الى الجانب الآخر ، فيقوم بدور مثقف العولمة فى هذا المناخ التعس ، ففى حين مازلنا نعانى من بطء التنمية والتخلف التكنولوجى والمعلوماتى ... الخ يتفرغ هذا

المثقف الجنس فيشجعه ، ويسعى لتشجيع « ظاهرة النجومية الفنية الثقافية فى جميع المجالات بهدف تحويل انتاجها الى سلع رائجة ومبرمجة » .

المثقف عابر القارات

وهو يطلق على هذا المثقف الذى ينتمى الى هذه الثقافة الجديدة التى جاءتنا من أموال المعونة الامريكية وأدوات الاتصال ، وربما الكومبيوتر ، الذى لم نحرز فيه مواقعا يعتد بها ، وأدوات الاتصال التى تلعب دوراً جديداً الآن فهو مثقف عالمى ينتمى لهذه العولمة مباعد بينه وبين الفئات الاجتماعية المحلية .

وان هذا المثقف صيغ بشكل جديد ، فهو يسعى لاعادة تغيير المجتمع بما يشبه (ديكتاتورية الطبقة) وان كان السائد أن المثقف ينتمى الى فئة وليس طبقة ، وهو يقوم بهذا الدور الحيوى لتغيير السئد ، والتخلى عن القيم التراثية (هذا لا يعنى اننا نرفض القيم الحضارية الحديثة) .

وهذا المثقف نستطيع أن نجده منذ فترة مبكرة فى مراكز الابحاث داخل الجامعات وخارجها ، وفى المراكز البحثية الرسمية أو (الأهلية) التى اقيمت خصيصا من أجله .

ونعثر عليه لدى منظمات أصبحت رائجة واعتدنا عليها لكثرة قيامها بدورها فى قلب المجتمع ، فأصبحنا نقرأ ونسمع ونعرف منظمات كثيرة كمنظمة (حقوق الانسان) و (الاقليات)، بل عرفنا بعضهم يأتى بعديد من المتطرفين ، ويدخلونه مؤسساتهم ، ويزعمون أنهم يقومون بتغيير قناعاتهم التراثية .

المثقف اللاعب

ولا بأس من أن نعثر على هذا المثقف فى لجان دولية أو جماعات تزعم انها تسعى الى السلام ، وتذهب الى (كوبنهاجن) لسنوات لا نعرف عنها شيئا قط ، اللهم الا حين تعلن (بيان) يدعو الى السلام بالتحالف مع جماعات يهودية ودينمركية ومخابراتية اسرائيلية .. الخ (المحزن أن محاولات كثيرة مثل محاولة كوبنهاجن تكررت كثيرا فى تاريخنا القريب ومن أبرز هذه المحاولات محاولة الشاعر فوزى معلوف وجماعته من الفلسطينيين الذين قاموا بمحاولة مشابهة وكتب لها الفشل الذريع لتشابه المقدمات والاطماع الصهيونية العنصرية) .

وعلى هذا ، فنحن أمام أنماط من المثقفين تحاول أن تندمج مع ممثلى العولمة فى الداخل أو الخارج ، يصبح أحد فرسى الرهان فى الخارج فيوفر له ما يريد أو يتحالف مع الداخل سواء مع بعض السياسيين أو رجال الأعمال أما المثقف الذى لم يستطع التواءم مع هذا العصر الجديد وشركات متعددة الجنسيات والحزب الاطلسى الجديد ... الخ فهو يظل من أولئك المهمشين .

المثقف المهمش

.. لنتمهل قليلا عند هذا المثقف المهمش قبل أن نعود ، ثانية ، الى المثقف اللاعب .

وهذا المثقف الذى أراد أن يلعب دور المثقف (العضوى) المرتبط بالدولة فلم يفلح ، فالدولة فى طريقها للتقلص ، وقد تنبه أكثر من كاتب أو اقتصادى الى ما انتهت اليه الدولة مما أطلق عليه ميردال Myrdal بالدولة الرخوة The soft state للاشارة الى

المصير الذى ستنتهى اليه كثير من الحكومات فى ظل الاحتكارات الدولية من تعرض أكثر حكومات الدول النامية للفساد ، ولتجاهل حكم القانون ، ولتغليب مصالح أفرادها الخاصة على المصلحة العامة (٨) وقد تنبه البعض لهذه الظاهرة منذ فترة مبكرة ، قبل أن تتبلور لعبة العولمة جيدا فلاحظ أن « النخب الحاكمة الآن ، من رجال أعمال ومثقفين وخبراء ورجال بنوك وغيرهم ، لا تلتحم مع الدولة ، بل تنافسها وتشاركها » (٩) وفاذا بالمثقف — فى جانب منه ، المؤيد كما أشرنا — كان فى مقدمة الركب .

لقد أصبح الولاء لدى عدد كبير من المثقفين للدولة وقوانينها، ومن هنا اصبح الطريق مفتوحا أمام المثقفين الذين لم يترددوا من أن يهتبلوا الفرصة ويستفيدوا بهذه التغيرات فأصبح الطريق أمامهم مفتوحا أمام الشركات متعددة الجنسيات التى تفعل كل شىء بما فيه « تجنيد مفكرين وكتاب فى مختلف البلاد ، ينظرون ويروجون لأفكار العولمة والكونية ، ويؤكدون أن الشعور لأمة أو وطن أصبح من مخلفات الماض (١٠) بيد اننا فى هذا المناخ لم نعدم المثقف الذى رفض ان يساير الركب ولكنه فى نهاية الأمر مع غيره لم يشكل الا فئة بسيطة لم تستطع الوقوف أمام الدولة ومن وراءها القوى الاقتصادية الضخمة ، ومن ثم ، كان مآلها التهميش.

لقد حاولت هذه القوى — على ضآلتها أن تلعب دورا فاعلا ، لنكها كانت أقل من علو التيار ويسأل بعض المشاركين فى ندوة (العرب والعولمة) التى عقدت ببيروت هذه الاسئلة الحائرة . فما هى يا ترى تلك القوى المعول عليها أن تقوم بدور المقاومة للعولمة الغربية ؟ طبعا هناك فئات مثقفة لا زالت ملتزمة تجاه أمتها وقيمها وثقافتها ... و ... ولكن السؤال : كم ؟ وما هو حجم تلك الفئة ، وما هى امكناتها ؟ وهل تستطيع القيام بذلك الدور .. و .. وبخاصة ان تلك القوة المثقفة ، على فرض وجودها

تقع هى الأخرى تحت هيمنة الدولة وتهميشها لها (١١) ويردد آخر من بين المثقفين الذين اجتمعوا ليتحدثوا عن العولمة عن هذه النخبة ، فيرى انها وان كانت موجودة (الا انها محدودة الفعالية قياسا على حجم المهمة ..) (١٢) .

بيد أننا فى وجود المثقف الواعى ، المهمش فى الوقت نفسه ، أمام مثقف آخر يبدو أقرب من السطحية منه الى الوعى .

المثقف السطحى

والذى يلفت الانتباه فى كل ما نراه لانعدم هذا المثقف المفرغ من الوعى والذى تعود فى المؤتمرات أو فى الكتابات على قول أشياء أقرب الى الشقشقة اللفظية انطلاقا من انه لا يدرك بالضبط خطورة الحاضر العربى ، أنه لا يستطيع أن يقدم اضاءة نقدية ، ولا يتمكن من محاجاة الواقع أو أثراء الحوار ، ان شهادة مثقف مثل محمد جابر الانصارى تؤكد هذه اللغة التى لم نفتقدها منذ فجر النهضة العربى منذ قرابة قرنين من الزمان ويقول الانصارى :

(.. فان بحثنا فى العولمة سيكون ممارسة ذهنية شائعة كممارساتنا الذهنية السابقة بشأن الحداثة وما بعد الحداثة ، وقبلها بشأن الوجودية وغيرها من موجات فكرية متتالية جاءت من الخارج وعبرت عن واقع بيئاتها المجتمعية والحضارية) (١٣) .

وهذا التشخيص نعثر عليه كثيرا فى مؤتمراتنا خاصة التى تثير قضية العولمة واخطارها وما أكثرها اليوم .

وهو ما يقترب بنا أكثر من المثقف السائد : المثقف الجديد .

المثقف الجديد

كما يبدو لنا هذا المثقف الجديد مرتديا أكثر من ثوب من أثواب مثقفى العولمة اليوم — كذلك يبدو — أحيانا — أنه يرتدى مرقعة محاولا أن يقنعنا بنبل مقصده فى حين أن البيع والشراء فى السوق هو ضالته بذكاء منقطع النظير .

ان هذا المثقف يبدو اليوم فى شريحة تتنامى منذ السبعينات دون أن يتنبه اليها احد لانها تؤثر دور المثقف العضوى ، المنتمى للنظام (المحلى أو العالمى) ، وهو أقرب الى رجل الأعمال منه الى المثقف ، مع فارق واحد وانه يبدو أقرب الى المثقف حينا وأقرب الى رجل الأعمال حينا آخر فى حين أنه يبدو أقرب الى نمط المثقف الجديد .

ان هذا المثقف أصبح يعمل ، حين يرتدى زى رجال الأعمال ، ولا تنجلى عن زى المثقف للتمويه فى الاطار الجديد الذى أتاحه له تغيير الظروف ، تستطيع أن تتعرف عليه وهو يمسك السيجار الضخم ويتحدث عن الصراع العربى الاسرائيلى ، يحاور منتقديه فى جدل ذى خبرة ماركسية تعود عليها حين كان ينتمى الى اليسار ، ولا مانع من أن يتحدث عن (ثقافة السلام) وعن (أطفال الحجارة) وفى الوقت نفسه يقبض المبالغ الطائلة من جماعات تخفى وجوهها القبيحة وراء اقنعة كثيرة .

**

انه يتحدث عن تجاربه النضالية السابقة ولا يتردد فى الوقت نفسه من التحدث الى (جمعية) يختار لها اسما براقا شفافا .

وهو فى صورة أخرى يتحدث من منابر حقوق الانسان التى كثرت فى مصر فى التسعينات عن تمكين المرأة وختان الاناث ، ولا ينسى أن يبدو أكثر شفافية من محدثه وأكثر اقناعا .

لم يعد المثقف الجديد يبحث عن الشفافية ولـكنه يرفـع شـعارها .

لم يعد يبحث عن أطفال الحجارة ، لكنه يذهـب اليهـم هناك ، فيمر على جبل ابو غنيم ، ولا بأس من أن يهتف هناك مع زملائه ، ولم يلبث أن يعود بسرعة الى قصوره وحريمه .

لم يعد يدخل فى معارك ــ كما كان فى الماضى ــ مع رجـال الاقطاع الذين تحولوا اليوم الى رجال أعمال فى أغلبهم ، لكنـه يدخل معهم فى (شراكة) مالية أثيرة تحت مسميـات كثـيرة ، وشراكة صهيونية كثيرة بمصطلحات براقة .

كان يتحدث عن الاشتراكية فى الخمسينات وأصـبح الآن يغلو فى تبنى الحرية المطلقة لانتقال راس المال وازالة الحواجـز الجمركية والانظمة ... الخ .

كان يتحدث عن اقتصاد الدولة فأصبح الآن يتحدث باتقان عن اقتصاد السوق .

كان يتحدث عن تأميم الشركات الأجنبية وهو الآن يتحدث عن تأميم القطاع العام .

كان يتحدث عن العدالة الاجتماعية فى منشوراته ومجـلاته فأصبح اليوم يتحدث عن ايمانه بالحرية الاقتصادية .

تحول المثقف الجديد الذى كنا نعده للزمن فى نهاية القرن العشرين الى مثقف جدلى أقرب الى الغرب (= مصلحة ذاتية ونرجسية) منه الى الشرق ، الغرب الراسمالى فى مرحلته المتوحشة لا الشرق المتنامى المتعثر فى بدائية .

باختصار ، بدا المثقف أقرب الى رجل الأعمال ليتحولا بسرعة عبر المصالح المشتركة الى نمط واحد ، نمط خسر فيه المثقف مبادئه وكسب فيه رجل الأعمال مشروعاته ، وكسب الاثنان ما يريدان فى تسعينات القرن العشرين .

حين سأل الأستاذ هيكل عن دور مثقفينا فى كوبنهاجن أصابه الروع وهو يقول :

(ـ قلت للجميع ان هذا ليس دورهم ، لكنى بأمانة لا أعتقد انهم المسئولون عنه وحدهم .
المسئول لعدم وضوح الحدود بين القول والفعل ، والمسئول أن الدولة حين تختص سياساتها لا تطرحها على الحوار العام بما يكفى لتنوير كافة الأطراف ، والمسئول هو أن تقوم الدولة بحركة من وراء ستار) .

وكما يلوم الدولة التى حاولت الافادة منهم لمناوراتها ، كذلك لا يعفيهم من اللوم ، يضيف :

(.. لكنهم هم أيضا مطالبون بأن يلتزموا الخط الفاصل بين الفكر والفعل خصوصا فى مجالات التوافق العام المتصلة بما هو أكثر من تقلبات السياسة بين يوم ويوم) .

كان خطؤهم انهم حاولوا أن يستفيدوا من كل شيء حولهم ، حتى لو كانت الدولة طرفا فى مشروع تتحسس مقدماته قبل الاقبال عليه ، فليس هناك مانع من أن يكونوا أداة لتأكيد أدوارهم المرسومة لهم سلفا ، حتى ولو كنت الحدود اختلطت عليهم دون أن يتبينوا ما أمامهم مباشرة ، يضيف هيكل هنا .

(عندما تقرر أن تفعل مباشرة على أى نحو تراه فى مواضيع السياسة الخارجية . نجد أنفسنا نصنع ما هو أكثر منا وأكبر فى موقف صعب . هذا الكلام ينطبق على « مجموعة كوبنهاجن » ..) (١٤) .

وعود على بدء ، بقيت بعض الملاحظات العابرة لا بد من التنبه اليها :

— ان دور المثقف من الخطورة فى عصر (العولمة) بحيث لا يمكن تجاهله .

— ان الأحداث التى مرت منذ أقيم نظام الدولة التحررية اختلف مع تولى الدولة الساداتية فى السبعينات ، حتى اذا ما جاءت التسعينات ، حتى كان عصر التبعية يتوازى مع عصر المثقف الذى ارتدى اردية كثيرة لم يكن من بينها جلده قط .

— ان التسعينات شهدت تلاشى دور المثقف العربى الى حد التهميش .

— لوحظ أن أنماط المثقف فى التسعينات تداخلت حتى كان من الصعب أن يفصل نمط عن نمط ، ومع ذلك ، فان حاصل الأنماط هو هذا المثقف الجديد .

ـــ أسهم فى تغير دور المثقف ضعف الدولة ، بل دفعهـــا ليلعب المثقف دورا يرسم له فيؤديه بمهارة المثقف حين يتحول الى نقيض مثالياته .

ـــ تحدد موقف المثقفين فى حركتين : حركة المثقف الذى أصبح اليفا الآن ؛ وحركة النظام العالمى الجديد ، وقد أصبـــح النظـــام السائد فى مصر تابعا له ، فأصبح المثقف ومن ثـــم نظامه فى وضع من يتقبل الهيمنة لا يواجهها .

ـــ وقف المثقف فى المعسكر الآخر ، موقف الهيمنة ، مؤثرا التطويع لمتغيراته القيمية عن الانصياع للدور الذى كان يجب أن يلعبه فى مواجهة الرأسمالية الجديدة الشرسة .

ـــ وكما لعب أغلب المثقفين الأدوار التى رسمت لهم ، كذلـــك آثرت قلة أخرى أن تعارض ولكنها وجدت نفسها فى عملية شرسة تكرس لتأكيد الهيمنة وتصبح أداة من أدواتها .

ومن الطبيعى أن يعلق أحد المحاضرين فى ندوة العولمة التى عقدت ببيروت فى نهاية العام الماضى :

(ان الزعامة العربية عند نهايات القرن العشرين لم تعمل البتة على تطوير قيادات جديدة مؤهلة من الجيل الجديد) .

وهى صورة مؤسية للمشهد الأخير فى القرن العشرين للمثقف العربى .

هــوامش الفصل الأول

(١) مجلة عالم الفكر ، المثقفون العرب ، بو علي ياسين ، ص ٤٥ وما بعده ·

(٢) انظر كتابنا : المثقفون وعبد الناصر ، دار سعاد الصباح ، بالقاهرة ١٩٩٤ ·

(٣) ندوة (العرب والعولمة) التي عقدها مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٨ ·

(٤) انظر دراستنا (الدور الأمريكي في اغتيال حسن البنا) ، تحت الطبع ·

(٥) جريدة الحياة اللندنية ، ١٤ أبريل ١٩٩٩ ·

(٦) Le monde. 8/1998.

(٧) James Smith. The Idea Brokers
(New York : Free Press. 1991). cited
in Janet Steele, « Enlisting Experts : Objectivity and Operational Bias
in Television New Analysis of the Persian Gulfwar ».
Media Studies Project (Washington
Woodrw Wilson International Center for Scholars, 1992), p. 13.

(٨) ندوة (العرب والعولمة) ، السابق ، انظر بحث د· جلال أمين ·

(٩) رفيق حبيب ، مصر القادة بين التغريب والتفكير ، دار الشروق بدون ·

(١٠) القاهرة ، ابريل ١٩٩٨٩ ، ص ٨٨ ·

(١١) الندوة ، السابق ·

(١٢) الندوة ، السابق ، صص ١٧٥ ، ١٧٦ ·

(١٣) الندوة ، السابق ، صص ٤٥٥ ، ٤٥٦ ·

(١٤) الندوة ، السابق ، ص ٥٦ ·

(١٥) الأسبوع ، جريدة ، القاهرة ، ١٩-٤-١٩٩٩ ·

الفصــل الثانى

العولمة والفكر الأدبى العربى

الاشـكالية /

أعترف بدء ، أن هذا الفصل حول العولمة والفكر الأدبى فى الوطن العربى لا يثير أية قناعات بقـدر ما يثرى نوعـا مـن (المساءلة) التى تبعث على النقاش الحى المثمر لرصد العلاقات بين طرفى السؤال : العولمة والهوية • وبشكل أدق ، يطرح سؤالا محوريا :

ـ ما هى العلاقة بين العولمة والأدب العربى ؟

ـ ويتحول السؤال السابق الى سـؤال آخر يحـدد أكـثر اشكالية الموضوع وهو :

وهل توجد علاقة ـ بالفعل ـ بين العولمة والفكر العربى ؟

ولا تتوقف القضية عند هذا الحـد ، اذ أن هـذا السؤال الأخير / الاشكالية يتحول ـ حين تنفرط حبات المسبحـة ـ الى تسـاؤلات أخرى معلقة مما يعمق الظاهرة ، ويلقى بضوء أكثر كثافة ـ مع استمرار الحوار ـ الى البحث عن العلاقة بين العولـمة والألسنة فى الوطن العربى (هل توجد حقا ؟) .

فلنتمهل قبل ذلك عند بعض التساؤلات المنهجية .

أولا : تساؤلات منهجية

منهج البحث /

ان الاشكالية يتم تناولها من الناحية النظرية بالاعتماد على الاتجاه الامبريقى فى البحث ، فى اطار المنهج التحليلى الذى يهتم بالملاحظة والمقارنة والاستشهاد ، سواء فى الاطار النظرى الذى يرصد العلاقة الارتباطية بين العولمة / التنميط والفكر الأدبى العربى / الألسنية أو الافادة منه فى المجال التطبيقى فى تحديد دلالات النص فى سياقها المشار اليه هنا . أضف الى هذا أن الباحث وهو يرصد العلاقة بين ثنائية « التنميط / الانسنة » اتجه الى الافادة من منهج وأسلوب دراسة العلاقات المتبادلة ، وهو ما أتاح للباحث رصد علاقات التأثير والتأثر من حيث حجم التأثير واتجاهه ودرجته فى هذا الصدد .

كما أن هذه الاشكالية يتحدد لها زمن بعينه يتماهى مع ارهاصات العولمة وتحولها الى آلية كونية .

فعلى الرغم من أننا يمكن أن نعود الى هذه الارهاصات الى الدائرة البعيدة فى القرن الخامس عشر حيث خرجت أوروبا الى العالم مع الانفتاح على التجارة وحركة المستعمرات أو نقترب بها أكثر من المركز عند النصف الثانى من القرن التاسع عشر حيث أدى اختراع التليغراف والسكك الحديدية والسفن البخارية واختصار المسافات الى تأكيد الامبريالية الانجليزية فى مستعمراتها الكثيرة وصولا الى المركز حيث تسارعت الأحداث الاقتصادية والثورة التكنولوجية الضخمة حتى أصبحت العولمة (أمريكية) .. على الرغم من هذا فان فترة التسعينات من نهاية القرن العشرين هى

الفترة التى تعنينا هنـا حيث أصـبح العصر الكونى هو العصر الأمريكى ، خاصة مع انتهـاء حرب الخليج الثانية ٠

على أننا يجب التنبيه الى أنه وأن كانت التسـمينات شـهدته هى صعود الولايات المتحدة الى قمة التمكن الكونى ، فان المنطقة العربية شهدت ــ فى المقابل ــ هبـوط فى الوعى الكونى وزيادة التنازعات والتراجع القومى وهو ما نجده أكثر ظهورا فى منحنى الابداع العربى وترديه ٠

مفاهيم اجرائية /

لا نستطيع الاقتراب أكثر من هذه الثنائية / الاشكالية دون التأكيد على المفهوم Concept ٠

فعلى الرغم من أن مفهوم « العولمة » أو « الأنسنة » مـن المفاهيم التى تناولها الكتاب كثيرا فانها مازالت حتى اليوم فى حالة أقرب الى الغموض وهو ما يحمل خطر اهدار أو المعـنى العـام (للخطاب) أو تشويهه ، فالمعروف ان عدم ضبط المفـاهيم يحول دون ضبط الدلالة ٠

تمثل هذه الاشكالية خصوصية معينة لأول مرة ، فقد تعرضت أدبيات العولمة من قبل للتغييرات الراهنة على جميع المستويات : السياسية والاقتصادية والثقافية فضلا عن أنظمة وسائل الاتصـال والاعلام والمعلومات وما الى ذلك من مظاهر عصر التكنولوجيـا وآلياتهـا ٠٠ نقول أن الاشكالية التى نعرض لها لم يتم الاشارة اليها من قبل ولكن ببحث العلاقة بين العولمة والفـكر العربى عبر المفاهيم ٠

ولان المفـــاهيم أكثر ما تثير نقاشات (طوباوية) لترديدهـــا بكثرة لافتـة من قبل ، فسوف نكتفى هنا بضبط بعض المفـاهيم الاجرائيـــة ..

فالمعروف أن العولمة Globalisation (*) مفهـوم شـاع معناه فى نوفمبر ١٩٨٩ مع سقوط جدران برلين ، وانتهاء حرب الخليج الثانية يناير ١٩٩١ ومالبث الرئيس بوش أن أعلن مع انتهاء حرب الخليج الثانية قيام النظام العالمى الجديد وهو العــام الذى شهد فى نهايته زوال الاتحاد السوفيتى ١٩٩١ ٠

وما يهمنا هنا أن النظام العــالمى الجديد تبلور فى أوائل التسعينات فى استخدام هذا المفهوم ؛ وقد أدى التشـابك على مستوى العالم فى مجالى الاقتصاد والاعلام بوجه خاص ـ كما جاء فى تعبيرات مؤتمر استوكهـلم نهاية مـارس ١٩٩٨ ـ الى ما يسميه علماء الثقافة وفلاسفة المعرفة الى حالـة من التنميـط Uniformalisation أو التوحيد Unifisation الثقافى للعالم كله ٠

ومراجعـــة الأدبيات التى تناولت هذا المفهوم ـــ ومؤتمراته الكثيرة ـ يتضح لنا أن البعض يسميه (كوكبـــة) والبعض الآخر (كونية) .. الى غير ذلك ؛ غير أن الجميع لا يختلف أن ما حدث فى نهاية القرن العشرين لا يخرج عن شكل من أشـــكال (الحكومة العالمية) التى لا تبـارح الطموح الأمريكى ـ وآخر محـاولة له عرفناها فى « سياتل » ـ فى العقد الأخير من القرن العشرين ٠

(*) يمكن العود للمزيد الى (معجم التـاريخ العربى الحديث) لمصطفى عبد الغنى . تحت الطبع ٠

ورغم أن العولمة تتخذ أبعادا كثيرة ، فمايهمنا منها هنا انها تتخذ شكل الهيمنة والتبعية بشكل يسعى الى التنميط بما يضفى على الاستراتيجية الأمريكية مما يدفع بالبعض الى القول أن أرقام البورصة صارت هى « الرابط الاجتماعى » الوحيد فى « القرية الكونية » (١) ٠

أصبحت العولمة تعنى السيادة المطلقة ليس لنموذج اقتصادى وحسب وانما سيادة النظام الكونى الأمريكى الموحد عبر آلياته وأهدافه التى تؤكد على ذلك يوم بعد يوم ٠

وهو ما يصل بنا الى المفهوم الآخر ؛ فكما يضفى مفهوم العولمة آلية « التنميط » ؛ كذلك ، فان مفهوم الفكر الأدبى العربى يشير الى مفهوم الانسنة Humanisme (Humanism) وهذا الى النزعة العربية المعاصرة التى تشير الى الأجناس الأدبية المفهوم يعبر — عبورا فوق تفسيرات معجمية موسوعية عديدة — (٢) عن الشروح الغربية والسياقات والتى تطور فيها من أفكار عامة (جماليات ، أخلاقيات ، معرفيات ، تربويات .. الخ) مرة (٣) وتبلورها عبر الابداع العربى (الفكر الأدبى العربى) ليمكن تأكيد نزعة مركزية — خاصة بنا فى الجانب الأدبى بوجه خاص — لا تتفاعل معها كمنهج أو نسق وانما (هوية) أدبية خاصة بنا ٠

ان الانسنة العربية لا تتفاعل مع ظاهرة العولمة كمنهج أو سياق غربى وانما (كهوية) ابداعية تحاول أن تعبر عنا فى نهاية القرن العشرين انطلاقا من أن العولمة وهى تعبر عن طموح غربى مضاد تواجه أنسنة عربية تمثل فيها الابداع أهم أوجه الثقافة العربية المعاصرة ٠

وعلى هذا النحو ، فان التضاد الذى يبدو فى الثنائية انما يعبر عن العلاقة بين النمط الثقافى الذى تحاول العولمة الهيمنة به وبين الهوية أو الخصوصية الأدبية التى تحاول التعبير بها ٠

وعلى هذا النحو يصبح الفكر الأدبى العربى فى حالة تمثيله أحد أيديولوجيات المقاومة وهو ما يصل بنا الى السؤال المحورى فى هذه الورقة : اذا كانت هناك هيمنة عنيفة و (نمطية) من الولايات المتحدة الأمريكية علينا ،وعبر وسائلها التكنولوجيا المتقدمة ، فكيف يكون رد فعلنا ؟

ما هى صورة الفكر الأدبى العربى فى هذا العصر ازاء التجليات الغربية فى آخر مرحلة من مراحل الامبريالية الشرسة فى الغرب (= الأمريكى) ؟

هل توجد ـ علاقة بين العولمة والفكر الأدبى العربى ؟

التساؤلات الرئيسية :

ان هذا السؤال له احالات أخرى كثيرة تمر عبر بوابات الأسئلة المتباينة :

ـ ما هى العلاقة بين العولمة والحداثة أو (ما بعد الحداثة) ؟

ـ هل العولمة هى شعار التبعية والهوية هى شعار المقاومة ؟

ـ ما هى تأثير المناخ الأدبى المعاصر ـ العالمى ـ على البنية الابداعية العربية ؟

ـ وبالتبعية ، فهل العلاقة بين العولمة والأنسنة علاقة بين طرف واحد أم طرفى نقيض ؟

ـ ثم كيف يمكن أن نرى الأدب عندنا من منظور العولمة ؟ وكيف نرى العولمة فى منظور الأدب ؟

ـ الى أى مدى استطاع الاديب العربى أن يعبر عن (مأساة) عصر العولمة ؟

ـ هل القضية هنا هى العولمة أم (الهوية) العربيـة عـبر التعبير عنها ابداعيا ؟

ـ ما علاقة هذه العولمة بالوعى القومى العربى (الانتـاج القومى أو الوطنى) ؟

ـ ثم ما المدى الذى وصل اليه الفـكر الأدبى العربى ازاء العولمة ؟

سوف نلتقى عدة ظواهر رئيسية على النحو التـالى :

- غياب المعنى
- (تسليع) الأدب
- ظاهرة التشظى
- العنصر التكنولوجى
- العولمة والتعريب

ثانيا : ثنائية العولمة والفكر الأدبى العربى

تتعدد ظواهر العولمة لكنها تتحدد أكثر فى مواجهة الفعل الأدبى العربى ٠

ان أول ما يلاحظ فى هذا السبيل أن الطرف المؤثر فى العالم يعرف ما يريد جيدا ؛ وهو ما ينعكس فى سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية على وسائل الاعلام ـ على سبيل المثال ـ ومن ثم ، فهى التى تستحوذ على النصيب الأوفر من الوسائط التكنولوجية المعاصرة ، ومن هنا ، فان أكثر ما يطرح علينا فى ذلك اننا الطرف الآخر الأضعف ، يقول حليم بركات « اذن نحن كمستهلكين فى موقع ضعف » (٤) ٠

اننا فى موقف المستقبل ، والمستقبل فى الجنوب ، والجنوب يتوسل بأية وسيلة للنهوض دون جدوى ، فالخصم لا يريد لنا ذلك ، فاذا انتهينا من الجوانب الاقتصادية والسياسية وما الى ذلك ، فان وجه الفكر الأدبى (= الانسنة) يبدو شاحبا ، غير فاعل ، وهنا يتحدد أكثر التباين والتنافر بين الطرفين ، يعبر د٠ حافظ دياب عن هذا الواقع فيقول انه فى حين يتابى الابداع على التأثير المباشر بالتكوين الاجتماعى ـ وهو تكوين كغيره لا يرقى الى مستوى التعامل مع الدور الآخر ـ فاننا نبقى أمام صورة دالة ، اننا « بازاء فعلين متنافيين ، العولمة كهيكلة ناجزة للعالم ، والأدب كمحاولة لانسنة هذا العالم » (٥) ٠

وعلى هذا النحو ، فان حاصل الاحتكاك بين العولمة الناجزة ـ كما رأينا ـ وصور الفكر الأدبى العربى تعكس لنا ظواهر سلبية شتى ٠٠

١ ـ غياب المعنى :

ان مراجعة العديد من نصوص الأدب عندنا فى الحقبة

الأخيرة يقدم لنا تأثرنا الشديد بالمؤثرات الغربية دون الوصول الى أعماقها ، فقد نالتنا — على سبيل المثال — صرعة التفكيكية — بعد عديد من المذاهب والاتجاهات الأخرى — وأهم سمات التفكيكية هى غياب المعنى فى النص والانشغال بالمناهج الغربية نحاول أن نحاكيها دون التنبه الى السياق التى جاءت فيه والاشارة التى طمحت اليها .

كان يمكن لنا منذ منتصف القرن أن نلاحظ اهتمامنا بنظرية اللغة انطلاقا من تيار النقد الغربى الحديث (كأن نحاول فهم عبد القاهر الجرجانى فى كتاب دلائل الاعجاز ، فنحاول فى فترة التفاعل الثقافى (**) مع الغرب اعادة تمثل الواقع بطرفيه لصياغة وعى جديد ، غير اننا الآن نلوى أعناقنا أكثر الى الغرب لنهتم بما يدعى الى اللاقيمة واللامعنى .

وهو ما يلتقى مع التوجه العام للعولمة حيث تشير آلياتها فى هذا الجانب الى فتح كل الحدود (الثقافية / الاقتصادية) دون الاهتمام بالهوية فى درجتها الخاصة بنا ، يلاحظ أحد المتخصصين فى المعلوماتية أن هذا يثير علاقة علم اللغة بنظرية الأدب خاصة وأن « نظرية المعنى قد أصبحت قضية حاسمة جدا من منظور الذكاء الاصطناعى ، وأصبحت العلاقة بين النقد الأدبى ونظرية المعنى هى علاقة مهمة بشدة » (٦) .

ان الغرب فى هذه الحقبة يريد الحصول على المعنى عبر تطور الشكل فى حين اننا نسعى الى التعرف على الشكل الغربى فى

(★★) التفاعل الثقافى Acculturation هنا هو التأثير بين مختلف الجماعات والمجتمعات ؛ بصرف النظر عن قوة كل منها الاقتصادية أو السياسية أو — حتى — التكنولوجية ، بما يشير الى التأثير المتكافىء ، وهو مفهوم أقرب الى مفهوم (التثاقف) كما يطلق عليه فى المغرب العربى

سياقه المختلف دون التنبيه الى العلاقة بين الشـكل والمضمون ، وهو ما يفسر عندنا ، فى كثير من ألوان الابداع ، منح مساحة شاسعة للتجريب الذى يصل الى حد الغموض بهدف تقليد الغرب دون أن تكون هذه المحاولة نابعـة من تجربتنا الخاصة وتراثنـا العربى ·

أضف الى هذا ايغال الشاعر فى نهاية القـرن العشرين فى الاهتمام بالتجريب الشكلانى كرد فعل لادراكه أن الدلالة أصبحت ، لفرط تكرارها ، مستهلكة وعقيمة ·

ان الوعى بحركة الفـكر الأدبى لدينا يحتم علينـا التعـامل مع ما يقدمه الغرب من مناهج وأدوات فنية دون أن يكون ذلـك هو الاطار العـام الذى تتم فيه العملية الابداعية ·

ان غياب المعنى مظهر من مظاهر عـدم الوعى بمـا يريده الغرب ، بل أن الغرب الآن فى تطوره الأدبى والثقافى الجـديد يذهب الى تقليده بهدف تمثله ، وكما ينعكس تفـريغ المعنى على الثقافى ينعكس على الاقتصاد ·

٢ ـ (تسليع) الأدب :

وتفريغ القضايا الهـامة من المعنى (= المضـمون) فى الغرب ينعكس ـ فى عصر العولمة ـ فى الوطن العربى « وهو ما نلحظه مع رصد التطور الأدبى والفنى الغربى اذ يتم تحـويل أعمال الفن الراديكالى والنقـد والأدب الشـائع الى (سـلع) وتدعم نسق العلاقات التى تحتقرها أو تسطحها ، وتسهم التقاليد الأمريكية ـ فى اطار العولمة ـ الى تغيير القيم السائدة لأغراضها من مضمونها ، ومن ثم سلب أية قيمة داخلية » ·

بيد أن المهم هنا ليس تفريغ القيم الأدبية من محتواها فحسب ـ فقد أشرنا اليها ـ وانما ـ كما يلاحظ سادى بلانت ـ أن مؤسسات الغرب سعت الى « استخدام نتاجات حركات مثل الدادا والسوريالية لاعادة انتاج التى تسود الحياة الاجتماعية الراهنة رسميا وكذلك فعليا بعدم التوصل ، والمخادعة ، والرغبة المحمومة فى التجديـــد بوصفه كذلك ، فى التداول السريع لمبتكرات الجادجيت التعسـفية وغير المثيرة للاهتمام » (٧) .

بيد أن تفريغ المعنى وتسطيحه ليس هو الخـطر الوحيـد ، فالمعروف أن الثقافة أداة من أدوات التطوير والتعبير عن الواقع ، ومن هنا ، فان القصور فى هذا الصدد يتبعه تحريف فى أية محاولة للتأثير فى المجتمع ، خاصة مجتمعاتنا العربية التى يقوم الأدب فيه ـ أو يجب أن يقوم ـ بدور فعـال فى التغيير ؛ وهو ما يصل بنا الى أن افتقاد الوعى الأدبى يعنى تحريف « كل محاولات تطوير فهم للمجتمع الحـديث بوصـفه كلا من العـلاقات الاجتماعيـة ، والاقتصادية ، والثقافية الى منظورات منعزلة لا يمكن الحصول منها الا على معرفة جزئية ،وهو ما نجده فى دراسات الغربيين أنفسهم .

وقد يكون من المهم هنا الاشارة الى أن حركة (التسليع) لم تطل الأدب الرسمى فقط ، وانما وصلت الى « الأدب الشعبى » ، فقد لاحظ د. حافظ دياب ـ أحد ألمع الانثروبولوجيين ـ أن القسمات العولمية بدأت تطول بشكل أكثر حدة الأدب الشـعبى ، فقد أصبحت هناك حالة من خفض التعـامل مع هذا الأدب بدلا من استنهـاض القوى التى ابتدعته سابقا واستلهاما ، فقد أصبح هناك تسـليع للأدب الشعبى .. لقد تحولت السيرة الى كاسيت ، هناك أيضا ما يسمى المحاكاة النصية أى محاولة اعادة صياغة بعض من السير

الشعبية بتقنيات اعادة الصياغة أو التهذيب أو التلخيص أو التوثيق بدعوى الحفاظ عليه تحت مسميات الصيانة (٨) ٠

وما يقال عن المصير العولمى لانسنة الأدب - وخاصة الأدب الشعبى - فى الوطن العربى بشكل عام ينصرف من محاولة تشويه الأدب الشعبى وتغير التعامل مع (المثل الشعبى) وغياب (الأغانى الجماعية) وحكايات الأجداد التى تنتمى الى (أنسنة) الفكر الأدبى العربى ٠

وظاهرة تسطيح الأدب وعولمته وتسليعه تحتاج الى دراسة خاصة لخطرها على الذاكرة الشعبية العربية ٠

٣ - ظاهرة التشظى :

من يراجع نصوص الفكر الأدبى اليوم يلاحظ شيوع سمة التشظى فى عديد من النصوص الابداعية ٠ وهذه الظاهرة يمكن أن تسمى (ما بعد الحداثة) كما سنرى :

والواقع أن (التشظى) الذى نجده فى الرواية العربية - كأحد صور التشكيل - ليس ناتجا عن التأثر بالغرب . وانما هو نتاج تطور البيئة العربية فى الغالب ، واذا شئنا الاسراف فى التفسير ، لقلنا أن هذه الظاهرة نتاج الواقع العربى المعاصر (أدبيا) المنعزل عما يحدث من تطورات ابداعية على المستوى الغربى مرتبطا بتطورات عرفتها الرواية العربية منذ فترات تطورها الأول ٠

والتشظى باختصار هو كتابة النص الروائى دون الالتزام الكلاسيكى (بوحدة) الموضوع أو عناصره التقليدية التى تعرف

بها الرواية كما تكتب منذ حقبات بعيدة ، وانما هى قفــز علـى السائد واستجابة الى التمــرد الذى يفــرض نفســه من عدة عوامل ٠

وعلى الرغم من أن هذه السمة تنتمى فى الأساس الى السياق الابداعى الغربى ، فانها تشيع عندنا ٠ وهذا الشيوع للظاهرة عندنا تهمنا من حيث الاحالة ٠

ان شيوع ظاهرة التشظى فى الابداعات الأدبية العربية لا تعود الى تأثر مباشر بمثيلتها فى الغرب ، كما يعتقد البعض ، فحين يعتقد البعض أن الظاهرة هى نتاج الوعى بالتشكيل الفنى للرواية فى الغرب المعاصر يكون مخطئــا ، ونحن لسنـــا مع من يرى أن هناك تيار عربى بصير بالعولمة ونتاجاتها « يتصدى بابراز الشــكل الخصوصى لوطننا واستعادة الحكايات الكبرى بشــكل جديد » ، وهو بهذا يأخذ بالنتاج الغربى فى هذا المجال حين يوظف ظاهرة (تشظى) الرواية العربية الحديثة ويعيد كتابة هذا التشظى بشــكل تصبح فيه الرواية عبارة عن تضمين ورسم واجتهادات تشكيلية عربية ٠

اذن التطور هنا قديم وليس نتاجا عولميا ــ نسبة الى العولمة ــ كما يعتقد البعض (٩) ٠

واذا كان الناقد يعتقد بتأثرنـــا بالتشكيـــل الفنى فى عصر (العولمة) ؛ فان المبدع العربى يؤمن ايمانا جازما أن هذا التأثر (التشظى) خارج عصر العولمة ، وهو نتــاج تطور الرواية العربية ــ كما أسلفنا ــ وهذا لا يمنع تأثرنا بالأشــكال الغربية (فالرواية

نفسها تكونت فى الغرب) ، غير أن هذا التأثير لا يمت بصلة الى تسارع التطور الفنى فى عصر الامبريالية فى الحقبة الأخيرة ٠

ان نجيب محفوظ كان واعيا بأنه يأتى عقب فترة لتطور الرواية بعد أن عرفها العرب منذ القرن الماضى (١٠) ، والمعروف أن نجيب محفوظ نفسه كتب كل المراحل التى يمر بها تطور الرواية واستنفد كثيرا من أشكالها ، ومن هنا ، فان العديد من الأشكال التى شهدها الفكر الأدبى لم يكن منبت الصلة بتطور هذا الشكل أو ذاك منذ دخلنا عصر الحداثة ، وعرفنا هذا القالب ، وهو ما يصل بنا الى أهم ملاحظة نريد التأكيد ، وهى ، أن الوصول الى أحد ملامح (التشكيل) انما يظل نتاج تطور عربى يمتد الى الوراء وليس تواكبا لتطور حديث يرتد الى عصر (العولمة) ، وتهمنا هنا شهادة أديب عربى مثل اليـاس خورى ، يقول :

(ـ ٠٠ بدأنا نكتب رواية على تماس بالواقع المعاش ما نسميه (بالمعيش) ٠٠ و ٠٠ اننى أتذكر اننى لا أقدر أن أفترض أن رواية صنع الله ابراهيم (تلك الرائحة) كانت نابعة من قراءته عن التشظى (وبالتبعية) عن هذه الظواهر الفنية فى الفكر الغربى ، فتجربة تلك الرائحة هى تجربة معايشة فى السجن ، القضية كلها انه جرؤ على أن يكتب فى روايته اللغة اليومية كما تعيشها اللغة اليومية كما يعيشها واقع التشظى والتفكك واللامعنى ٠٠ الى غير ذلك) ٠

وما يقال عن رواية صنع الله ابراهيم (تلك الرائحة) يقال عن عديد من الروايات التى كتبها الروائيون العرب فى الحقبة الأخيرة بغير تأثر مباشر بتقنيات الفن فى عصر العولمة ، ان الياس خورى يذكر أنه اكتشف أن ادوارد سعيد وهو يكتب عن رواية

(الجبل الصغير) احدى رواياته أنها تحتوى على هذا التشظى فقد كان العالم يعيش الواقع العربى الذى يخلق مثل هذه الظواهر وليس بالضرورة ينقلها ، يضيف الروائى اللبنانى عن تجربتـه هو :

(ــ وأتذكر اننى حين كتبت روايتى « الجبل الصغير » لم أكن قد سمعت عن هذه اللفظة «التشظى» أو غيرها مما هو معروف فى التشكيل الفنى ، فعندما كنت أكتب عن الحرب اللبنانية كيف انفجرت ، وكيف كانت صورة هذا المجتمع الذى أعيش فيه فى ذلك الوقت من تشظ وتفكك .. الخ فان ذلك ليس معناه اننى تأثرت بواحد أفرنجى أو أقلد ..) (١١) .

٤ ــ العنصر التكنولوجى

هل توجد علاقة بين منجزات العولمة خاصة فى جانبها التقنى والفـكر الأدبى عندنا ؟

هذا سؤال البدء الذى لا يستطيع المبدع أو المثقف أن يتجاهله فى العام ألفين .

فعلى الرغم من اننا نشـهد بروز العـامل التكنولوجى كأهم نتائج العولمة فى حياتنـا الثقافية ، فان هذا الغياب يأخذ شكلين نقيضين : أما عـدم الوعى بخطورة التطور التكنولوجى وطفراته التى تحدث صدمة مروعة ، واما التعامل مع هذا التطور وان يكن بشكل شأنه مما ينعكس بالسلب على (انسنة) الوعى الأدبى .

واذا سلمنا بأن عـدم الوعى الكافى لدى مبدعينـا مؤكـدا وظاهرا ، فهو ينسحب مع التعامل مع تكنولوجيا العصر بالشكل الهجين (١٢) ، أى اننا لم نستطع التعـامل مع المنجزات الحديثة

بما يمكن أن نستفيد معه بما يقدم لنا من كسر خطية السرد ، خاصة فى العمل الروائى ، ونجاوز ذلك بتخليق تشكيل جديد يتمشى مع تمثيلنا للهوية العربية فى هذا العصر ، وأفادتنا بصور التناص Intertextuality ، والكولاج والتكسير والافادة من محاولات التصنيف و (الأرشفة) التى تتمتع بها هذه الوسائط واهتبال فرصة ما يمكن أن يقدم فى هذا الصدد مما يفجر أساليب جديدة لمنطق مما يثرة الوعى الأدبى عندنا ٠٠ وقبل هذا وبعده تأكيد (أنسنة) النص فى مواجهة تجليات العولمة ٠

الأكثر من هذا أنه بدلا من أن يحاول المبدع العربى الافادة من فيضان المعلومات التى تقدمها لنا التكنولوجيا ، فاننا لا نعثر على افادات واعية فى هذا السبيل ، ربما كانت هناك استثناءات لا تتعدى أصابع اليد الواحدة (مثل صنع الله ابراهيم فى مصر ٠٠) غير أن الاستثناء يؤكد القاعدة من غياب الافادة بالهجين التقنى وثراءه اللانهائى ، حيث لا يستطيع المبدع العربة الافدة من ثراء ما يقدم ٠

وما يقال عن الابداع يقال فى النقد ، وهنا يسأل المثقف الخبير ويجيب :

« ـ كيف نكشف بنية نصوص اللغة العربية ونحن نشكو من ندرة الدراسات المتعلقة بالترابط السياقى والمنطقى فهناك فرق كبير جدا بين الترابط اللغوى والنظرى وبين الترابط المنطقى ، ويمثل هذا فيما يبدو طرفى نقيض ٠٠ ، فكيف يمكن للنصوص الخاصة بنا أن تتناص وان نتابع مسارات التنامى الخاصة بها وبنيتها لم تكشف بشكل واضح ٠ لأن هذه البنية يمكن أن تكشف بشكل واضح بنية النص عن طريق

استخدام ٠٠٠ أدوات لكشف بنية النص ولكن لا يمكن أن يفيد من المنجزات الحضارية حوله ، لأننا نرفض انعزال الوعى مسارات (مسارات الاشتقاق وعلاقات المعانى ٠٠) خاصة فى اسقاط عنصر السياق ٠٠ و ٠٠ ان الكومبيوتر من الممكن أن يوفر قواعد بيانات للنصوص Texteal data bases كثيرة جدا ، ونحن لدينا ذخيرة كبيرة يمكن استخدامها لتحليل الجملة العربية حتى يمكن وضعه على كومبيوتر فى قواعد بيانات النصوص ، هذه سوف تسمح بدراسات جادة للنص العربى وبالتالى دراسة أجناس الكتابة الغربية تمهيدا لوضعها فى اطار احساس الأدب بصفة عامة » (١٣) ٠

-ويصاب المثقف العربى بحيرة شديدة حين يلاحظ أن ما يقدم على جهاز مثل « الانترنيت » فى عديد من المحاولات تعكس محاولات سقيمة تمضى فى الاتجاه السلبى حين تظهر لنا مبادرات مشتركة لاكثر من كاتب عربى لكتابة رواية واحدة عبر عدة أفراد ، فضلا عن أدباء عرب يحاولون الافادة من هذه المنجزات ولكن بشكل معكوس ، فقد لاحظ البعض غير أن تقييم مثل هذه المحاولات وغيرها تشى باخفاقنا فى العثور على محاولة تلقى فى تيار (انسنة) عربية خالصة ٠

ورغم مع ما فى الاغراق فى التكنولوجى من تحفظ يتعارض مع عملية الابداع ، فمما لا شك فيه أن عملية (الأنسنة) العربيسة لدينا لم تستطع حتى الآن الافادة من واقعنا عبورا الى أو مرورا بالامكانات التى يقدمها لنا لتقدم التقنى فى عصر العولمة ٠

اننا لا نلغى الوعى الابداعى لدى المبدع العربى حين يحاول أن يفيد من المنجزات الحضارية حوله ، لأننا نرفض النعزال الوعى

الأدبى عندنا عن الامكانات التى يمكن أن تثرى التجربة الانسانية خاصة فى فترة من أصعب فترات حياتنا نحاول فيها أن نتوسل بالابداع لمقاومة التعدى على هويتنا ووعينا الحضارى ٠

وقد لا يكون بعيدا عن هذا أن الآلة الغربية نفسها ـ وهى غير محايدة ـ تغلو فى الافادات من التقسيمات المعلوماتية التى تقدم عبر الوسائط التقنية وتستطيع تحويل الكثير من القيم الشرقية الى قيم غربية (معولمة ويلاحظ هنا أن تراثنا المبعثر يمكن الافادة منه بالفعل فى عصر الرأسمالية الشرسة التى تحول الرموز والعلامات الى احالات أخر : فشخصية حى بن يقظان تستحيل الى جلفر فى الرواية / الفيلم المعروف ، كما أن شخصية السندباد تتحول لطرزان فى النص / الفيلم ، وقل مثل هذا على كثير من أدبنا وقصصنا الشعبى أو ـ حتى ـ تراثنا ـ الذى يتحول عبر الآلة الرأسمالية الى صور ورموز وعلامات أخرى تستخدم ضدنا ٠

غير أن الأمر يهمنا ـ أكثر ـ حين يتعلق الأمر بالطرف الآخر من الثنائية (التنميط ـ الانسنة) وهو الأنسنة فى الأدب العربى الحديث ، فنجد أنفسنا فى عالم يبس لنا لأننا لا نجد علاقة ايجابية بين آليات العولمة والفعل الابداعى لدينا ٠

٥ ـ غياب التعريب

ان مراجعة أدبيات العولمة ـ وما أكثرها ـ يرينا انها نالت نصيبا كبيرا فى المجالات الأخرى من اقتصادية وسياسية واعلامية ـ الى غير ذلك دون أن ينبه أحد الى تأثيرها فى الفكر الأدبى العربى بشكل خاص والمثقف العربى بشكل عام ٠

ومع تعدد مستويات الاجابة وردود الأفعال لدى كتابنا ، نستطيع أن نرى للعولمة تأثير فى عديد من المجالات لكنه تأثير

لا يظهر خاصة فى الفكر الأدبى العربى وعلى وجه الخصوص فى الشكل التطبيقى له ، اذ ربما لفت نظرنا هنا أو هناك محاولات لتعريف الحداثة وما بعد الحداثى ، وعرفنا العديد من الكتابات النقدية التى تشير الى بعض النظريات الغربية فى المجال النقدى ، غير أن محاولة تمثل هذا فى الجانب الأدبى لدينا يستحيل أو يكاد لا يتوقف الا على الجانب التنظيرى ٠

ورغم أننا لا نستطيع رصد بعض الأعمال الابداعية التى تنحو الى التشكيل الحداثى ، فان الوعى بالجانب التنظيرى ـ فضلا عن التطبيقى ـ لم تنل أى قدر من الاهتمام ، خاصة أن العولمة لم تكن ابنة السياق العربى وانما هى ابن سياق غربى مغـاير لنـا ، ولم نحاول اللحاق بانجازاته التقنية فى الحقبة الأخيرة ٠

وهو ما يعود ـ كما أسلفنا ـ الى قصور تعـامل المثقف والكاتب العربى مع العولمة بآلياتها الشرسة وانعكاسها على الواقع العربى بالسلب ٠

ان السـياق العربى للتعرف على العولمة يظل غائبا مادمنا لم نقترب من عملية (تعريب) لتكويناتها واشكالاتها ، فتعريب العولمة « لابد أن يمر عبر عمليات ثلاث أساسية يفصلها البعض بأنها « تفكيك العولمة واكتشاف عناصرها الحاسمة فى العـلاقات الموحدة لها على ضوء حقلها المعرفى والغربى ، ثم اعـادة بناء هذه العناصر وفق الحقل العربى وعلى نحو تسوغه عناصر العولمة عبر دراسات عيانية وضمن جدلية العـام والخاص ، وأخيرا تمثل هاتين العمليتين عبر الواقع العربى وهضمها » (١٤) ٠

وبدهى أن عدم معرفتنا بمفاهيم العولمة وآلياتها وأدواتها الاجمائيــة ٠٠ وما الى ذلك هو المسئول عن العــلاقة الغائبـة أو الناقصة بين حركة التنميط الغربى للعولمة وحركة الفكر الأدبى الغربى ٠

ويكمل هذا الرأى ويؤكده بعض الكتابات الابداعية فى شتى الأجناس العربية التى عرفت مرحلة التعامل مع العولمة وبدا انهـا تتجـاوب معها ٠

وهى محاولات ـ كما قلنا مرارا ـ تستلهم القصور الذاتى أكثر من التغير الخارجى وآلياته وهو ما نتعرف عليه ـ عرضا ـ عبر بعض النماذج التطبيقية ؛ ودلالتها ٠٠

٦ ـ النص ؛ الدلالة :

وقبل أن نصل الى بعض النماذج ، ثمة ملاحظة يجب تكرارها هنا ، وهى ، أن استجابة الفـكر الأدبى العربى عبر آلة التنميط والهيمنة الغربية لم تكن على مستوى الفعل الغربى فى مرحلتـه الأخيرة ؛ ومن ثم ، فان الاستجابة كانت رد فعـل وليس تمثـلا أو تعاصرا مع ما يحدث حولـا ٠

انه نتاج رد الفعـل العربى فى النصف قرن الأخير ٠

ورد الفعل جاء على صورتين : اما بشكل متعمد واما بشكل غير متعمد ٠

أما الشكل المتعمد فقد مثله نجيب محفوظ اذ كان يدرك منذ فترة مبـكرة انه يسعى الى التأصيل ، فانصرف عن التطورات فى

الرواية الجديدة فى (الثلاثية) ، فكثيرا ما كان يردد : « اننى كنت أكتب بأسلوب أقرأ فيه كل يوم نعيه على لسان فرجينيا وولف » ، فكان الوعى النقدى يعنى أن هذا الأسلوب من المتمثيـل للمجتمع والحياة والحية قد تجاوزته الرواية العالمية لكنه يكتب بلغـة مازال جسدها يحتاج الى أن يتشكل فى هذا الاطـار ، مع أن الاطـار العالمى قد تجاوزه (١٥) ·

كان نجيب محفوظ يدرك حدود دوره ؛ فآثر ألا يخـرج عنه ، غير أن جيل الأخير لم يكن يدرك جيدا هول اللحظة التى يعيشها أو التى ــ من فرض تحولاتها ــ لم يتنبه لها بما فيه الكفاية ·

ان تطور الجيل الجديد ــ وهنا يبدأ الشكل غير المتعمد ــ فهو تطور يمكن أن نسميه بالقصور الذاتى أو التطور الداخلى دون التأثر بالتطورات العاصفة حولنـــا ، فعلى العكس مما يعتقد أن الجيل الأخير كان واعيا لفكرة المركزية العــالمية (العولمة) ، فان رد الفعل الأدبى جاء ، على النقيض من هـذا ، متجـاوزا لروح (الأنسنة) وأهميتها · ان المبدع العربى فى التسعينات ــ على الأقل ــ لم يكن متنبها لروح الصراع الغربى على مقدرات العـالم ، ولم يكن واعيا لنتائج الحركة الرأسمالية فى طورها الأخير ·· ولم يكن واعيا لواقع كرس له تضخم الشركات المتعددة الجنسية والتكنولوجيا ، وشـبكات ومجموعة مصالح ، ومنظومة من الأفكار والقيم ، وأحدث تكنولوجيا الاتصال واعادة تشـكيل الهويات وتراجع دور الدولة وفرض (حكومة عالمية) عبر آليات شرسة ·· وما الى ذلك مما نعرفه ·

كما أن المبدع العربى لم يكن واعيا للمشهد الكونى مثلمـا كان المثقفون العرب على المستوى الأيديولوجى سواء من اليسار

أو الليبراليين الجدد أو القوميين فضلا عن عدد كبير من علماء الأنثروبولوجيا والسياسة ٠٠ وغيرهم ٠ الأكثر من هذا ايلاما أن هذا المبدع لم يكن مطلعا على الابداع العالمى فى تطوره فى نهاية عقد التسعينات وبداية عقد العام الفين ، اذ يمكن أن نجازف بالقول هنا أن أيا من كتابنا ـ على مستوى الأجناس الأدبية التى نعرفها ـ قد عرف ما يجدث على مستوى القارة الأمريكية سواء فى الجنوب أو الشمال ، فما كان يعرف قط هؤلاء على سبيل المثال ـ روايات جون ابدايك أو جون ايرفنج أو تونى موميسون رريتشارد فورد رغم أن بعضهم نال جوائز عالمية وبعضهم الثانى عانى من قضايا الأقليات ـ كالسود ـ وبعضهم الثالث تحدث عن فكره بشىء كثير من الغربة القادمة من الحلم المبهم ، وكلهم يبحثون عن الحلم الأمريكى ـ بما يذكرنا بفكر الباحثين المعروفين فى نفس عقد التسعينات ـ من أمثال فوكوياما وهنتنجنتون ـ ٠

غير أن الابداع الامريكى فى التسعينات اختار أن يعبر عن حلمه بالبحث عن زمان ومكان جديدين يبدأن من خارج أمريكا لا داخلها واعين جميعا الى منظور المركزية الغربية أو (العولمة) الشرسة من المنظر الأمريكى ٠

لم يكن التشكيل الفنى المطرد ، والذى يعكس (الانسنة) فى الفكر الأدبى العربى على مستوى ما يحدث فى العالم ،وما كان ينشر كنماذج تطبيقية كان يعود الى الكتابات الكلاسيكية فى أغلبه ٠

نستطيع ان نخرج من هذه الدائرة المحكمة عددا من الكتابات التى تعكس ــ فى تطور الانسنة ــ ما جاء نتاج الضغوط العنيفة على الوجدان العربى ، فجاء التأثير التشكيلى تجسيدا غير مباشر

معبرا عن اللحظة ، منتميا الى هذه الكتابات التى تكررت كثيرا فى تاريخنا المعاصر نرصد منها ثلاث مرات :

هذا الأدب العاصف آلات من رحم الأرض المحتلة أبان الانتفاضة الفلسطينية .

وهذا الأدب الذى جاء كرد فعل حاد ومؤس لأزمة الخليج الثانية ۹۱/۹۰ وما تبعه من سقوط للمشاريع القومية وغياب الحلم العربى والاسلامى .. وما الى ذلك .

ثم عدد كبير من هذه الكتابات التى تنتمى للحصار الأمريكى على العراق من داخل الأرض العراقية .

وتتوالى فى هذا الصدد نماذج تطبيقية أخرى تلقى فى هذا التيار وتعمقه ..

نحن فى الفكر الأدبى العربى أمام كتابات أخرى تشكلت بعناصر كثيرة من الوعى الفنى والفكرى من بينها (تلك الرائحة) لصنع الله ابراهيم فى فترة مبكرة وكل من (شرف) و (ذات) و (رايت رام الله) لمريد البرغوثى فى التسعينات ثم و (دنا فتدلى) لجمال الغيطانى و (الجبل الصغير) لالياس خورى و (أول زيارات الدهشة) لعفيفى مطر و (ليل ونهار) لسلوى بكر مرورا بالشكل ما بعد حداثى ، فبعض نصوص يسرى الجندى قبل أن يهاجر الى التليفزيون تصل الى أقصى درجات التعبير التشكيل المتشظى والمغاير تحت ضغط الواقع الداخلى

فى الشعر حيث نجد محاولات الكثير من شعراء هذه الأخيرة من تمثال منتصر القفاش وعلاء خالد وناصر أبو عون من مصر ومحمد الدمينى وعبد الله الصيخان وعبد الله الزيد من المملكة العربية السعودية مما ينتمى الى ما بعد الحداثة فى الشعر .

وهو ما يمكن أن يقال معه ان الابداع العربى يمثل الواقع الداخلى المؤسى — لا آليات الحكومة العالمية — الخطاب الرئيسى وراء الكتابة حيث يكتب هذا الجيل « عما هو قائم بالفعل وليس عما هو متخيل فى الذاكرة الرسمية المؤدلجة بعد أن تمت تربية الجمهور سياسيا وثقافيا وجماليا . فالنص الشعرى يدعو الى أن ينفض الناس عن أذهانهم بقايا الماضى وأن يبحثوا عن ألفاء (أبجدية) جديدة » .

انها النماذج التطبيقية الناقصة ، النص والدلالة .

ان النماذج التطبيقية العربية هنا تحاول أن تخلق (انسنة) خاصة بها ، منكفأة على مجتمعها ، غير واعية — دائما — لدور الكيانات الكبرى حولها فى أحداث التغيير — غير مستهلمة للتطور المركزى للرأسمالية فى أعلى نقطة وصلت اليها .

ومن هنا ، نستطيع القول أن لدينا (انسنة) — بالفعل — وانما هى نتاج نزعة مركزية داخلية ، تحاول أن تنمو تحت الضغوط المحلية — قطرية أو قومية — دون التنبه الى حقيقة هامة ، هى أن الابداع الأدبى العربى يجب أن يتمثل مركزية عالمية ، لا تكتفى بالمكان (القطر) أو الزمان (التراث) وانما

تختفى بصياغة التطورات الحادثة المتغيرة حولها بما يمكنهـــا من التنبه لنزعة أخرى خارجية نمت منذ نهايات القرن العشرين الى درجة طمحت معها أن تكون هى وحدها صاحبة نظام عالمى ينتمى الى الغرب ويحتمى بالعنصرية وآليات السوق وتجلياته باختصار ، انما (انسنة) عربية ملتبسة غير واعية لحركـــة (العولمة) الغربية الرأسمالية الشرسة حولها .

هوامش الفصـل الثانى

(١) Le Monde diplomatique, 4/199, Alain Gresh.

(٢) بالعود الى كتابات مفكرى وفلاسفة العصور الوسطى وعصر النهضة الأوربى بشكل عام يتبين لنا أن الأنسنة أو (الانسانوية) تشير الى حركة فكرية يمثلها « انسانيو » النهضة بترارك وبوجيو وفالا واراسم وبوديه وأولريخ ودو هوتن وغيرهم حيث تتميز بمجهود لرفع حركة فكرية يمثلها « انسانيو » النهضة : بترارك وبوجيو وفالا واراسم وبوديه وأولريخ ودو هوتن وغيرهم حيث تتميز بمجهود لرفع كرامة الفكر البشرى وجعله جديرا ، ذا قيمة ، وذلك بوصل الثقافة الحديثة بالثقافة القديمة ٠

ومع أن المصطلح فى ضبطه فى العصر الوسيط والمدرسى تتخذ أبعادا تراثية ، فان أغلب المعاجم الأخرى صعودا الى شيلر ولودانتك وغيرهما ٠ تضيف الى المعنى التراثى الى المعنى الحديث ٠٠

وعلى هذا النحو ، فاذا جاوزنا المعنى الغربى - وهو معنى عام - لوصلنا الى المعنى القومى المعاصر ، ان معنى الأنسنة هنا يتخذ من الفكر الأدبى العربى رمزا دالا له على اعتبار أن الأدب واللغة العربية يملان الفرضية القائمة من تاكية الهوية العربية التى يعبر عنها الابداع العربى الآن ٠٠

انظر للمزيد :

- موسوعة لالاند الفلسفية : المجلد الثانى ، منشورات عويدات - بيروت - باريس من الطبعة العربية ، بدون ص ص ٥٦٦ - ٥٧٠ ٠

- المجتمع الفلسفى : مجمعا للغة العربية ، القاهرة ، ١٩٨٣ ، ص ١٧٤ ٠

(٣) انظر على سبيل المثال هذا المصطلح Genres Litteraires عند تودروف فى :

Dictionnaire Encyclopedique Des Sciences Du Langage. 4 TR, ED. Seuil. Coll, Points, Paris, 1979.

(٤) ندوة بعنوان (العولمة والأجناس الأدبية) اقامتها صفحة (ثقافة عربية) الأهرام الدولى ١٧/١٢ نوفمبر ١٩٩٩ ٠

(٥) السابق ، الندوة ٠

(٦) الندوة ، انظر مداخلة د٠ نبيل على . السـابق ٠

(٧) سادى بلانت ، راية التمرد ـ الأممية الموافقية فى العصر ما بعـد الحداثى ، ترجمة أحمد حسان ، المشروع القومى للترجمة (١١٣) بالمجلس الأعلى للثقافة ، القـاهرة ١٩٩٩ نظر صفحات ٩٢ ـ ١١٣ ـ ٢٠٠ ٠

وانظر للمزيد فى :

ICT : Raoul Vancigem, « Basic Banalitics » ...

ويلاحظ البعض فى قائمة أعدت لهذا فى بداية التسعينات « انه فى كاريكاتور للتناحرات ، تحت السلطة كل واحد أن يكون مع أو ضد بريجيت باردو والرواية الجديدة Nouveau roman ، وسيارة الستروين الأربعـة ، حصـان ، المكرونة الاسباجتى ، ومخدر المسكال ، والجونلات القصيرة ، والأمم المتحدة ، والكلاسيكيات ، والتأميم ، والحرب النووية والسـفر بالأتوستوب ٠ يسأل الجميع عن رأيهم فى كل تفصيلة من أجل منعهم من تكوين رأى حول المجموع » ٠

ويلاحظ فانيجيم فى قائمته فى بداية التسعينات انها تضم آسيد هاوس Acid House (مراهقون يتعاطون المخدرات أبدعوا موسيقى اليكترونيـة) وتليفزيون الأقمار الصناعية ، وقوانين الهرطقة ، وصدام حسين ، والعقار المخدر Ecstasy ٠٠ الخلة والمهم هنا أن هذه التصنيفات التى تروج فى الغرب ليس مهمتها تتحدد فى الغرب وحسب ، وانما هى لاحكام صياغة (العولمة) بثوبها الجديد حتى هذه اللحظة ٠

(٨) الندوة ، السابق ٠

(٩) الندوة ، السابق ، مداخلة منى طلبـة ٠

(١٠) قد يكون من المهم هنا أن نؤكد اننا عرفنا الرواية العربية منذ القرن الماضى بالشكل الأوربى خاصة ، عبر الروايات المترجمة ثم المؤلفـة وفى الوقت نفسه محاكاة القالب الغربى ممثلا فى حديث ابن هشام للمويلحى ٠

ويبدو أن الشاميين كانوا أول من ألف الرواية من أمثال فرانسيس مراش السورى (١٨٨٦ ـ ١٨٧٣) الذى تبنى الشـكل الغربى مباشرة حين كتب رواية (غابة الحق) عام ١٨٦٥ « ولعلها أول رواية عربية مؤلفة » كما تذهب ببليوجرافيا ـ الرواية العربية الحديثة) التى صدرت بالقـاهرة (١٩٩٨) ، ج ٢٠ ٠

(١١) شهادة الياس خورى كانت فى الندوة المشـار اليها من قبل ٠

(١٢) صاحب هذا المفهوم هو د٠ نبيل على ، انظر ندوة (العولمة والأجناس الادبية) ، السـابق ٠

(١٣) انظر الندوة ، السابق ٠

(١٤) عن حافظ دياب (تعريب العولمة مساءلة نقدية) عن مجلة قضايا عربية ، ك ١٩ ن ٢٠ أكتوبر ١٩٩٩ ، ص ١٦٠ ٠

(١٥) الندوة ، السابق ، مداخلة ٠

الفصـــل الثـــالث

ثقافة العولمة : أجناس أم فكر ؟!

ثمة قضية الآن تفرض علينا أكثر من أية قضية أخرى ٠٠

وهذه القضية هى قضية العولمة وعلاقاتها الثقافية والاجتماعية وعلاقتها بالأجناس الأدبية بوجه خاص ٠

ويزيد من أهمية القضية ان كل من تناول قضية العولمة ــ كما سنشير ــ لم يتنبه الى ان الانسان لايستطيع ان يكشف واقعه اليومى ووعيه الاجتماعى قط ، اللهم الا عبر لغة ايديولوجية و (لغة شعرية) وابداعيــــة ٠

وزاد من تحمسنا لطرح القضية أكثر هنا اننـا أقمنا ندوة (*) « حاولت الاقتراب من العولمة ، وقد تطورت عبر أشـــكال معرفيـــة وأدبية ــ ضمن أشكال أخرى ــ وشارك فيها عدد كبير من ثقـــافة عدد كبير من ثقافة العلماء والمثقفين ٠

فلنتمهل الآن عبر العلاقة بين العولمة والأجناس الأدبية ٠

(*) انظر ندوة (الأهرام الدولى) بعنوان (العولمة والأجنـاس الأدبية) صيف ١٩٩٩ ، اقيمت بالقـاهرة ٠

وكلاهما ـ العولمة والأدب ـ من أهم القضايا التى لايخلو منهما بحث فلسفى أو اجتماعى فى الغرب اليوم ٠

وهى من أهم القضايا التى تشكل وجدان الانسان بمعزل عن المعرفية الرأسمالية فى مستوياتها الأعلى والأشرس ٠

فلنتمهل أكثر عند هذه القضية قبل ان نصل الى ما تثيره من تساؤلات ٠

(١)

لقد فرضت القضية ـ نفسها ـ لأنها ـ رغم طرحها النظرى فى الغرب طويلا عبر مفاهيم الحداثة وما بعد الحداثة والتفكيكية ٠٠ وما الى ذلك ، فانها مازالت عندنا تنام فى ادراج العزلة وعدم معاصرة مايحدث اليوم فى العالم المعاصر ، وهو مايعود بنا ثانية الى العولمة والأجناس الأدبية ٠٠

★★ أما العولمة فقد زادت ندواتها ومداخلاتها حتى وصلت الآن الى أكثر من ثلاثين ألف ندوة ومؤتمـــر ومداخلة ٠٠ الخ حسب احصاء أحد المكاتب اليابانية فى فرنسا ، ومن هنا فقد عرفنا الكثير من التعريفات والمداخل لهذا المفهوم العولمة ٠

وربما كان آخر تعريف لها ما أورده محمود أمين العالم فى العدد الأخير من مجلة (قضايا فكرية) حين قال ان (*) مصطلح العولمة فى عصرنا الراهن هو تعبير عن ظاهرة تاريخية موضوعية ٠٠ تمثلت فى

(★) قضايا فكرية (فصلية ، مجلة يشرف عليهـــا محمود أمين العـــالم اكتوبر ١٩٩٩ ٠

البداية فى ثقافة ــ بالمعنى الانثربولوجى ــ تخلقت وتشكلت من رحم الانساق الاقطاعية فى أوربا فى القرن السادس عشر تتسم بنمط انتاجى هو نمط الانتاج الرأسمالى الذى أخذ يمتد ويتوسع ويسود حتى أصبح لامجرد حضارة غربية كما يقال بل حضارة عصرنا الراهن وان اختلف مستواها من مجتمع الى آخر • انها اليوم حضارة رأسمالية عالمية تعد امتدادا تاريخيا متطورا متجاوزا لمختلف الثقافات والحضارات الانسانية السابقة ، والتى ماتزال معالمها وآثارها باقية حية داخل نمطها الانتاجى الرأسمالى الجديد •

ولهذا يتنوع هذا النمط الانتاجى الرأسمالى بدوره بتنوع الثقافات التى يحتويها ويسيطر عليها دون ان يلغيها تماما رغم سعيه الى ذلك •• الى غير ذلك من الطرح الذى يطرحه الأستاذ العالم فى أكثر من موضع فى كتاباته الأخيرة •

وهو ما يوافق عليه البعض حين يرى ان الفكر الكامن وراء العولمة هو الفكر البراجماتى النفعى الالهائى ولكن يزاحمه الآن ويقف خلفه فى وعى العقول الغربية المفكرة المابعد حداثى الذى يتضمن من بين مايتضمن البعد التفكيكى التدميرى (مؤتمر الاسلام والعولمة) •

☆☆ أما الأجناس الأدبية ، فمعروف أن الجنس الأدبى هو النوع الذى يعرف به الأثر الأدبى (كالمسرحية والرواية والشعر •• الخ) (١) ، وتطور هذا المفهوم فى الغرب معروف منذ القرن الثامن عشر حين تميز كل نوع عن غيره بقواعد وسماته ، وما لحق بهذا من تطور حين حاول ذلك الناقد الفرنسى برونتير

ثم ما ارتبط بهذا كله فى القرن العشرين من أعاد الفصل بين هذه الأجناس أو الوصل بينها فى جماعات ومفاهيم كثيرة (٢) •

وكما أن مفاهيم العولمة المتغايرة لاتجعلنا نتمسك بتفسير شكلى بعينه ، كذلك ، فان التطور الأدبى يجعلنا لانتمسك بشكل معين تنتهى اليه الأجناس الأدبية خاصة فى عالمنا الثالث حيث تضعنا الثنائية بين العولمة والأجناس وبشكل مباشر ، نحن المحسوبين على دول الجنوب المتخلف •• فى خلفية المشهد الفكرى المعاصر فى علاقته ـ خاصة بالمجتمع ـ •

اذن ، دعونا نرجىء الخلاف حول المفاهيم الى العلاقة بينهما •

اننا أمام قضايا كثيرة يثيرها هذا الطرح ، خاصة فى نهاية التسعينات من هذا القرن •

نحن أمام قضايا خلافية كثيرة وتعريفات ونظريات من ذلك :

ـ قضية الحداثة •
ـ وما بعد الحداثة •
ـ والهرمنيوطيقا •
ـ وخطاب « الما بعد » •
ـ ثنائية الزمن •
ـ عناصر الحكاية والزمن واللغة •
ـ ومجالات النقد الأدبى والاجتماعى والفنى والمعمارى والسياسى والاقتصادى •
ـ الترجمة
ـ الصورة
ـ التناص

ـ اللغـــــة

ـ النقـــد

ـ والسير الذاتية

ـ بالحساسية الجديدة (٣) ٠

وقبل ان أستطرد أكثر أحب أن أسجل ملاحظة هامة قد تفيدنا في هذا السياق ، وهو اننا اذا حاولنا رصد العولمة وتأثيرها في الأدب عندنا يمكن ان نرصدها قبل ذلك ـ ليس كما هو شائع منذ بدايات التسعينات ـ قبل هذا كان من السهل للمدقق في حركة الأدب العربي ان يلحظ اعادة صـــياغة مراحل الامبرياليـة في طور يتعدى نشأة الرسمالية الغربية الى نمط رأسمالى متطور من التوسع الى الاحتكار الى التركيز فى أشكال رأسمالية جديدة لاتجاوز شـــكل الاحتكارات الكبرى داخل عدة ارهاصات تغريبية بدت فى الثمانينات في شكلها المتنامي ، وتصاعدت الى أقصى ذروة لها منذ انهيار الاتحاد السوفيتي وسقوط سور برلين وقصف بغداد ٠٠ الى غير ذلك ٠

ويجب الاسراع بالقول هنـــا ، أن الابداع العربى ـ وان شهد بعض الاستثناءات فى الثمانينات ، مالبث أن شهد تجليات أبعد فى أجناسها فى الوطن العربى كله ، ففى الرواية المصرية ـ على سـبيل المثال ـ عرفنا بعض النصوص ـ كمـــا سـنرى ـ وهو ما وجدناه بشكل ما فى المسرح وتجاربه التي وددت لها مواسم كثيرة ومهرجانات متكررة فى مصر ثم في الشعر الذى وجد له فى مصر منذ الثمانينات ارهاصات ومحاولات وتجليـــات كثيرة لايمكن ان نعــدم فيها بعض التاثرات بالصور الحداثية فى عصر العولمة ٠

وهو مايقترب بنا ـ كمـــا سنرى ـ من ظواهر التأثـر بالعولمة ، وبداياتها ٠

بيد اننـــا نرجـأ هذا كله الى ان تتضـح الصورة أكثر فى التمهل أكثر عند العلاقة بين الاثنين : العولمة والأنواع الآبية وهى علاقة لاتخرج عن التأثير فى المجال الاجتماعى أكثر مجالات العولمة تأثيرا وفعالية فى نهاية الألفية الثانية ٠

ولنحاول الوصول الى فهم أكثر وضوحا عبر تساؤلات تطرح نفسها بعنف فى هذا الصدد ٠

فلنر هذه الأسئلة قبل أن نفرغ الى ما تثيره مرة أخرى ٠

(٢)

وبعيدا عن الاسهاب نكتفى هنا بالأسئلة التى تختم بها هذه لرؤية ، وهى أسئلة ، فيما نعتقد ، تمثل نصف الاجابات لو أحسن صياغتها ، من ذلك :

- **هل استوعب الأدب العـــربى التغييرات المعاصرة من الحداثة وما بعد الحداثة وما الى ذلك من المفاهيم ؟**

الاجابة بهذا الشرط يحتم علينا ان نعود الى ظواهره فى الحكى والتمسرح ولغة الشعر وطرائقه الجديدة ٠

أما عدم الاجابة فتشير الى اننا مازلنا نعيش فى النمط المعرفى الحكائى (الأسطورى) القديم ، أو على أحسن تقدير ، نمط عصر الحكاية الذى يطلق عليـــه فى عصر الحداثة النمط المعـــرفى - الميتاحكائى ٠٠

- ثم نبدأ باجابة يعقبها سؤال آخر

الاجابة هي ان بعض الأعمال (وهي نادرة عندنا) اتجهت الى هذا النمط المعـــرفي المابعد حداثي ، وعملـــت فيـــه ، فكيف :

ـ هنا يجيء السؤال ـ كيف انعكس هذا الأدب في نهـــاية الألفية الثانية ؟

● هل يعي العقل (الأدبي) العربي ما تسمى اليه المجتمعات الغربية اليوم ما بعد حداثية من امتصاص لعقول وأموال ومجتمعاتنا (الحكائية) لحساب المجتمعات (العلمية) في الغرب ٠٠ ؟

ربما تسمثلت **العقول** : فضلا عن العقول العلمية العقول الأدبية هناك وما أكثرها ٠

والأموال حين تصـــل العولمة ـ في تصـــور الحداثة ـ الى أنها تطور عال من الرأسمالية الاحتكارية ٠

● الى متى يظل الجنوب ـ وعالمنا الثالث فيه ـ في حـــالة تأرجح بين التراث والحداثة وما بعد الحداثة في أحسن الأحوال ؟

وبعد ، هذه جملة من التساؤلات التي تحتاج الى اجابات كثيرة وواعية ننتظر ان يصل اليها مثقفونا ونحسب اننـــا واجدون لديهم الكثير ٠٠

مثقف العولمة ٠٠ حول جدل المفاهيم !

جدل المفاهيم ٠٠

كان جدل المفاهيم أكثر ما لفت نظري في هذا التجمع الذي شهد وجود المثقف اللبناني والسوري والمغربي والعراقي والفلسطيني والمصري ٠٠ الخ بعضهم يعيش في الأقطـــار العربيـــة وبعضهم في

بلاد المهجر فى شتى أنحاء العالم الغربى ، بعضهم آثر ان يتوقف عند البحث العلمى أو التقنى وبعضهم اختار منذ البداية - النص الابداعى ، وان لم يخل وعلى الجميع من العمل التنظيرى فمارسه من آن لآخر لطبيعة الفترة التى يمر بها الوطن والتحديات التى تجعل الكثيرين - رغم تخصص البعض - يحمل وعيا تنويريا موسوعيا بحكم ماهية المثقف وطبيعة المهمة الشاقة التى يضطلع بها ٠

أقول كان جدل المفاهيم وبشكل أدق صدمة المفاهيم أكثر مالفت نظرى منذ بداية هذه الندوة التى أقامتها صفحة (ثقافة عربية) فى الأهرام الدولى ، وشارك فيها مثقفون واعون كثيرون من العرب من أمثال هشام شرابى ومحسن جاسم الموسوى ونبيل على وصلاح فضل والياس خورى ومنى طلبة وليـــانة بدر وغيرهم ممن يثرون الحوار الدائر الآن ٠

واذا كنا فى العالم الثالث مازلنا يبحث عن المفاهيم وضبطها ، فان المثقف الحقيقى يظل - بحق - هو ذلك القادر على الوعى القيمى فى ابتكار المفاهيم ٠

وعود على بدء ، فان القضية التى لفتتت نظرى (٤) لم تكن ضبط المصطلحات منذ الدقائق الأولى ، وانما محـــاولة ضبطها فى هذا السياق الذى يتجه - ولم يبق أسابيع على الألفية الثالثة - ، ومن ثم القدرة على نحت وابتكار مفاهيم خاصة بنا ٠

واذا وضعنا فى الاعتبـــار ان العـــرب فى القرن العشرين « لم يساهموا بشىء فى الفكر العالمى » ، فقد كانت صدمتى مضاعفة من التباين حين كان لابد ان يتصدى أكثر من مثقف لموضوع الندوة (العولمة ٠٠ والأجناس الأدبية العربية) ٠

أما العولمة فقد كنت قد أكدت في البداية انه من الصعب ان نتفق جميعا حول مفهومها ، ومن ثم ، فان محاولة فهم (مصطلح) جديد يرمي في تيار اشكالية معلقة ، أما (الأجناس الأدبية) فقد كان على ان أتقدم بمفهوم معجمي ليسهل فهم العلاقة كما قلت بين العولمة والأنواع الأدبية ·

فلنحاول تفكيك المصطلح قبل ان نصل الى ما يثيره ·

(١)

منذ البداية راح محمود أمين العالم يشير الى اننا لايمكن ان ندرس علاقة الأجناس الأدبية بالعولمة لو لم نتفق سلفا حول مفهوم (العولمة) ، وربما يسبق هذا كله بحث العلاقة بين الهوية والعولمة ثم الثقافة والعولمة ثم ··

وبعد ان استطرد الأستاذ العـــالم حـول مفهومه عن العولمة واقترابها من الهيمنة التي يمكن تفسيرها أكثر حين نقول ان « الهيمنة سيطرة بعض دول على العولمة » ، وبعد اسهاب طويل أرجو الا ننال منه هنا انتهى الى ان مايهمنا هو العلاقة بين الهوية والعولمة أو بين الخصوصيات الثقافية والعولمة ·

ومع انه يبدو اتفاق محمد برادة مع الأستاذ العالم ، غير انه مالبث ان اختلف معه ثانية ، مفسرا بقوله « ان هناك اختلاف لأن العلاقة بين الهوية والعولمة موضوع واسع ·· نحن نريد الحديث عن الأدب أساسا والوقت لايسمح لمناقشـــة موضـــوع الهوية ،

وأظن ان الأدب كصيغة من صيغ التعبير أمام طغيان التكنولوجيــــا الجديدة وامتداداتها المختلفة : بايجابياتها أو سلبياتها ٠٠

بيد ان المفاجأة الثالثة جاءت من طرف أستاذ كبير هو د ٠ نبيل على الذى راح يشير الى الشاطىء الآخر من السياق ، بأننا يجب (اقترح) ان يتم تعريف الأدب من منظور العولمة ثم نتكلم عن أثر العولمة على الأدب ، ثم على الأجناس ـ ثم ـ أثرها على الأدب العربى ، فهذا التسلسل ـ أضــــاف خبير المعلومات الكبير ـ يجعلنا بالفعل نوحد المفاهيم ٠

ان تعريفات العولمة كثيرة ولكن تعريفها من منظور الأدب العربى يحتاج الى وقفة أكبر (٥) ٠

وفى حين راح د ٠ صلاح فضل يؤيد هذا الرأى ، متفقا معه كاتب هذه السطور من ان الاطار العريض يمكن ان يكون ـ دون تخصص ـ هو البحث بين العلاقة بين العولمة والفكر الأدبى ، راح د ٠ حــــامد أبو أحمد يعود بنا ـ فى قضية المفاهيم ـ الى طريق آخر ٠

لقد أشار الى التعريفات الكثيرة للعولمة ، والقضايا الكثيرة التى مرت بها المصطلحات مثل مثل مصطلح (الأجناس الأدبية) ، ومن ثم ، قال بوضوح شديد بعد الاقرار بضرورة الانتبــــاه الى ما قبل العولمة :

ـ « لماذا لانقفز على قضية العولمة والأجناس الأدبية بنوع من التأمل ؟ اننا دائما نأخذ ماهو مطروح فى الغرب ونتحدث فيه ونحاول تعميمه » ٠

ان العولمة ليست قضيتنا ـ هكذا بدأ استاذ الاسبانية صريحا ـ فنحن لم نصل الى الحداثة ، واذا كان البعض رأى اننا وصلنا اليها فاننا لم نخلص منها ، وبالتالى فان هذه القضايا مطروحه أساسا من أعلى ، فلماذا ؟ ـ تســـاءل لماذا لانربط بين العولمة والأجنـــاس الأدبيـــة (٦) ٠

دهشت ، كان المناقشـــون يشغلون أنفسهم بنفى ان نتمهل عند العولمة (كمصطلح) و (الأجناس الأدبية) كمصطلح آخر ، رأى الجميع اننا يجب ان نتنبه الى ان الهوية لابد ان تواجه العولمة التى هى ، فى حقيقتها (هيمنة) فى حين ان البعض الآخر ، وان لم ينكر هذا كله ، فانه راح يعود من الطريق الأول :

ـ لماذا لا نتجه الى قضية (العولمة والأجناس الأدبية) ٠ فالقضية ليست قضيتنا أساسا فلماذا لانتناولها كمـــا تتناول بعيدا عنا ؟ وهنا عاد الصخب المفاهيمى يفرض نفسه بكيفية جديدة حين اختلف الروائى اللبنانى ٠

(٢)

لم يكن الياس خورى قد سلم بمفهوم العولمة كما هو سائد فى الأدبيات السياسية الآن ، بل راح يقول انه لاتوجد قضايا خاصة بنا وقضايا ليست خاصة بنا ، فنحن نخضع لمفاهيم هذه القضايا ومن ثم فان العولمة ـ وهنا راح يعيد تفسير المصطلح ـ هدفه التغطية على مصطلح آخر بسيط هو الهيمنة ٠

وفى حين راح اليـــاس خورى فى حديث طويل حـــول العولمة والأجناس الأدبية وتحويل المقاومة الآن الى شكل من أشكال الأدب

العربى المقاوم راح حليم بركات يغذى مؤكدا غلبة الهيمنة فى شكل التكنولوجيا الاعلامية ٠٠

بدا ان الخلاف عميق على أكثر من مصطلح ، وفى غمار هذا كله ، انصرف الكثيرون لاغراء الحديث عن العولمة ، وهو اغـــراء يمكن ان يمسك بتلابيب البعض فلا ينصرف عنـــه الا بعد وقت طويل ، وفى غمرة هذا فان تأثير العولمة على الأجناس الأدبى أو ـ لنستدرك هنا ـ تأثير العولمة على الأدب أو الفكر الأدبى يتحول الى المرتبة الثانية أو الثالثة ، فالعولمة اما فى مفاهيمها المبكرة أو مواقعها الجدية ، اما فىاتجاهها السياسى أو اتجاهها الاجتماعى تنصرف عن الجانب الابداعى الذى كان الهدف الأول من هذا النقاش ٠

كانت القضية التى تلح على ، ولم أتوقف عن التذكير بها . قط ، هى العلاقة بين مفهوم العولمة (= الهيمنة كما أطلق عليها البعض) و (الفكر الابداعى أو ـ حتى ـ البحث الأدبى أو رؤية العالم أو التفكيكية أو السيرة الذاتية أو اللغة أو التناص أو التناص ٠٠ الى غير ذلك مما يثيره المفهوم فى هذا الصدد ٠

تنبهت ليانه بدر الى ما يثيره تأثير العولمة على الأدب ، وراحت تضرب أمثلة غربية كثيرة ، وان تكن فى الجانب العالمى ، فى حين توقفت كثيرا أيضا عن (هوية) الأدب عندنا ، كيف نحافظ عليها ، كيف نعبر عن تاريخنا الخاص ونكتب عن المسكوت عنه والمهمش داخلنا ، وان يتم ـ فى الوقت نفسه ـ الاعتراف بنـــا لاتهميشنا خارج دائـرة العولمة التى نتوقع فيهـــا نحن لا التى يرســم الغرب أيديولوجيتها والياتها ٠

ورغم ان مصطلح ـ الأجناس الأدبية) تردد على فترات ، فان الهوة لم تضيق قط كلما شرعنا فى تناول القضية ٠

لقد بدا الخروج الى قضـــية (الترجمة) لتبتعد عن القضية المحورية لنا ، بل أخذ البعض من قضية النقد الأدبى حجة لاقامة الحد على النقاد ، وكان بعضهم موجودا فشهدنا ما يشـــبه الحوار الساخن أو النقاش المحتد خارج دائرة المفاهيم ، وبدا البعض يدخل فى متاهات تقترب من الغموض أكثر منها من الوضوح والاشراق فى محاولة رؤية العولمة فى علاقتهـا بابداعنـــا ودرجة تعبيرنا عن قضايانا فى عصر لم يعد ليهتم الا بالقضايا الايديولوجية على مستوى رأسمالى أو امبريالى شرس ٠

ورغم كل هذا الجدل ، كان علينـــا ان ننتظـــر ان يتحدث حافظ ديـاب ٠

لقد أسهب حول ان الأدب كفاعلية انسانية تعبير يتأبى على التأثير المباشر بالتكوين الاجتماعى كما اننا أمام فعلين متنافسين : العولمة كهيكلة ناجزة للعالم ، والأدب كمحاولة لا لستة هذا العالم ثم ان الأستاذ الانثربولوجى أضاف أنه علينا الا نغفل انه قد وقع منذ نهاية السبعينات وفى وطننا العربى تحديدا حديث يتصـــل بحساسيات ما بعد الحداثة ، ونستطيع ان نتذكر معه الأعمال التى قدمها عبد الكريم الخطيبى حول تفكيك الخطاب ، وأعمال الطاهر لبيب ، وأيضا أعمال أحمد أبو زيد حول رؤية العالم وأعمال أستاذنا صلاح فضل حول التناص كذلك ما قدمه جابر عصفور حول التناص وصبرى حافظ حول الحساسية الجديدة (لحافظ دياب دراسة قيمة مقاربة لهذا الموضوع (٧) ٠

كان يمكن ان نذكر معه مفاهيم العولمة الكثيرة التى تشق طرقها بدأب فى حقل علم الاجتماع والانثربولوجيـــا والفلســـفة والاقتصاد والتكنولوجيا فضلا عن الاهتمام البحثى فى شتى الميادين

لولا ان قضيتنا هنا لم تكن لتخرج عن رصد تأثير العولمة فى الفكر الأدبي العربى ، ولولا ان المحاولات الابداعيـــة الكثيرة منذ قرابة ثلث قرن تتناثر و (تتشظى) ـ بتعبير عولى تردد كثيرا ٠

ومن ثم ، فان تأثير العولمة على الوجه الأدبى وممارساته كانت أظهر مايتم التركيز عليها هنا ٠

والأهـــم من هذا ان تأثير المنظور التكنوقراطى المتخصص فى الكومبيوتر كان يسعى الى فرض نفسه على النص ٠

هو ما نتمهل عنده ، أكثر ٠

حوار المنظور التكنولوجى

لم يكن جدل المصطلح غير وجه واحد من وجوه كثيرة أثيرت ٠ كان لطفرة التكنولوجيا وأثر المصـــالح الحيوية للاحتكار وحضور الرأسمالية خاصة فى تأثيرها على الفكر الأدبى عندنا ٠٠ الى غير ذلك من ظواهر (العولمة) وجوه أكثر خطورة وأشد ضراوة ٠

العولمة ، اذن ، وأهم عناصرها التكنولوجيا قد فرضت نفسها بعنف فى هذه الحقبة ، وعبر التعامل مع الهويات الأخرى ٠

كانت العلاقة الآن بين المنظور التكنوقراطى الغربى و (النص) العـــربى ٠

وهو ما انعكس أكثر وضـــوحا عبر عدد كبير من الرموز من المثقفين العرب ، خاصى حين اشـتدت درجـــة الحوار بين كثير من المشاركين بينهم الناقد الاسلوبى أو الانثربولوجى أو الروائى ٠٠ الخ٠

ولأهمية الجانب التكنولوجى فى هذا الحوار فسوف نتوقف عند أهم ما قاله خبير الكومبيوتر ، وهو ما يعكس بشكل ما أفكار المثقفين الآخرين ـ فى مقدمتهم صلاح فضل وحافظ دياب ـ لخطورة هذا الجانب على الابداع العربى اليوم .

لنتمهل عند بعض ملامح المشهد التكنولوجى .

(١)

ما هو أثر العولمة على الأدب ؟

فى نقاط متلاحقة راح يشير نبيـل على الى أثر التكنولوجيـا كأحد مكونات العولمة .

فقد بدا واضحا الآن ان تكنولوجيا المعلومات راحت تنمى اعادة الاستخدام ، واعادة الانتاج بشكل من الأشكال . أى ان الأدب كما لاحظ خبير المعلومات سوف يتحول الى (كولاج) والى نصوص يمكن اعادة استخدامها من جديد .

ولكن أية أهمية لهذا ؟

الأهمية تنبع من اعادة استخدام النصوص القديمـة سيصبح مهما جدا ، وهو يؤكد ـ فى هذا السياق أهمية النصوص التراثية .

ان هذا فى حد ذاته يمثل نقطة أخـرى يمكن ان نطلق عليها (الهجين التكنولوجى) وذلك بالمزج بين أشياء وأشياء وهو ما مكنتنا منه هذه الخاصية ، ان التغير التكنولوجى الجديد يسـمح بشىء يسمى Hyperification ما يطلق عليه عندنا بالتناص (٨) ، ان يتناص نص مع نص آخر او ـ حتى ـ مع نفسه ، وهذا سيؤدى الآن الى كسر خطية السرد وخطية الرواية .

ونحن اليوم أصبحنا نبحث عن النص غير الخطى خروجا من النص التقليدى ، وهو ما يصل بنا الى محاولة كتابة أو بروز كتابة أسلوب جديد للرواية ٠

بل ان هناك بالفعل محاولات فى هذا عبر الانترنت ، يقوم بها مجموعة من الهاوين أو ـ حتى المحترفين ـ غير ان رصد بعض هذه المحاولات سيتأكد لنا انها مازالت فى طور جنينى ، وان ما يحدث من محاولة كتابة رواية ، وغم الطموح ، لايزيد ـ كما يرى خبير المعلومات ـ ان يكون (لعبة) أكثر من كونها أمر جاد ٠٠

تبرز فى الطريق الى هذا قضية اللغة ، أو قضية اســـتخدام اللغة فى الكتابة الروائية ، وهنا نكتشف ان علاقة علم اللغة بالأدب أصبحت قضية حاسمة جدا من منظور الذكاء الاصطناعى ٠

لقد أصـــبحنا بين ثالوث (الذكاء الاصطناعى والنقد الأدبى ونظرية المعنى) أمام لوحة فى غاية الأهمية فى مناخ أصـــبحت فيه قضية المعنى لها دلالة كبيرة ٠

بيد ان النقطة الهامة التى يصل بنـــا اليها خبير المعلومات تعكس لنا واقعا عربيا بشعا ، وهو ما عبر عنه بالعلاقة بين الأدب والتكنولوجيا فى وجه سلبى غريب ٠

هذه العلاقة التى سيبدو انها ستقلل من تأثير الأدب واستمرار تأثيره « فمع تدفق المعلومات ومع حمـــل المعلومات الزائد ستصبح النصوص قصيرة العمر الا لو كانت ممتعة للغـــاية ، فان أكثـــر النصوص ـ بهذا الشكل سيكون مآلها ـ هكذا ـ صناديق القمامة »٠

أستمع الى صوت عالم التقنية وأنا أحدث نفسى :

وكأن عشرات النصوص الآن ، بعيدا عن هذا التأثير المعلوماتى ، ليس مالها (صناديق القمامة) ٠

وهو ما أثار لدينا مشاعر متضاربة من الحزن واليقين والخوف والترقب والتأرجح ٠٠

ان كاتب هذه السطور يتلقى يوميا عددا لا بأس به من النصوص الأدبية ، وهى نصوص يغلب عليها التهافت وضعف الوعى بالقيمة ٠٠ وما الى ذلك من خصائص الأدب ، ومن ثم ، فانه لايفعل أكثر من انه ، بعد ان يتأمل النص جيدا ، ويطالع فيه أحيانا ، حتى يجد نفسه ، دون ان يدرى ، وقد دفع به الى (صناديق القمامة) ٠

صحيح ان هناك بعض النصوص الجيدة ، لكنها الاستثناء التى لايمكن أن تؤرخ به لحركة أدبية أو لتيار مذهبى أو لوعى معاصر ونحن على منعطف أخطر قرن نواجهه على الاطلاق ٠

بل ان د ٠ صلاح فضل الذى راح يضيف الى د ٠ نبيل على — وكأنه فى الجانب الآخر — ان « كثيراً من أشكال هذا الابداع سينتهى مصيرها فى المستقبل الى صناديق القمامة ، ان هذا نفسه يحدث فى أشكال الابداع المتخيلة التقليدية ، فالدراسات السيسيولوجية مثلا تثبت انه خلال القرن العشرين سيكون من بين مائة عمل ابداعى فى الشعر » والرواية أو غيرهما ينتجها تجمع معين ٩٠٪ منها يلقى فيما يطلق عليه سلة (قمامة الكتابة) ولا يعيش فى المتوسط حتى فى أكثر المجتمعات احتفالا واحتفالية للأشكال الجديدة نسبة ١٠٪ وهذه النسبة الأخيرة هى التى تثبت أصالتها والقدرة الخلاقة لمبدعيها على تحقيق المعادلة الصعبة ٠ واستمر الناقد الكبير فى تحليله لجملة ما جاء به خبير المعلومات ، فى حين راح نبيل على يواصل رسم أكثر الصور بشاعة اليوم حين نتمهل عند العلاقة بين التكنولوجيا والفكر الأدبى المعاصر ٠

ان الأكثر بشاعة هنا ان للعولمة ذلك الوجه السلبى شديد

الخطورة على الكاتب العربى ، خاصة لمن يدقق فى مئات النصوص التى تمر أمامنا عبر شبكة الانترنت ·

(٢)

وهو ما يعود بنا ثانية الى الوجه التكنولوجى ·

وعود الى خبير المعلومات فهو يذكرنا فى وضوح شديد بأن هناك كتاب مصريين وعرب يقتفى أثرهم (فاجدهم يأخذون نصوصا ليس لها هوية الكاتب ويحيلوها الى أنفسهم وهو ما يفسر لنا الآن ان لدينا كتابة غير أصيلة وغير موثقة ومرجعية تائهة فى سراديب هذه الشبكة ·· (و) ··) ·

وأضاف ان الأكثر من هذا اننى أجد الكثير جدا من المقالات فى الصحف العربية مأخوذة من على شبكة الانترنت ومترجمة الى العربية دون اثبات ، انها مأخوذة من على شبكة الانترنت ، ومجيبا ــ موجها حديثة لمن سأله عن الأسماء ــ أكد الخبير المعلوماتى ان تعفينى من ذكر الأسماء فهى كثيرة ، وحين أضاف الى هذا البعض ·· والرسائل الجامعية ! وافق على الفور نبيل ، ان هنـــاك الكثير من الرســائل والأبحاث التى تستخدم استخداما فعليــا فى الجامعـات ومراكز البحوث ، ويتعامل معها على انها نتاجات أصيلة ، فى حين ان العود الى (الشبكة) ترينا انها مأخوذة بالحرف من (الويب) دون ذكر المصدر ·

ووصل هذا بنا الى علاقة الأدب باللغة ، حين راحت نظـــرية تشومسكى المتاثرة بالمعنى منذ ربع قرن تهتز لان تشومسكى ركز على الجانب النحوى · ومع هذا فقد لاحظ فى هذا تفجـــر أساليب جديدة للمنطق عالية الرنين ، وهو ماسيغير من فهم بنية السياق ·

وانتقل الخبير من الابداع الى النقد ·

راح يؤكد ضرورة الربط بين نظرية الأدب بالذكاء الاصطناعى بعلم اللغه وهو تالوث أصبح لازما فى العمليه النقديه ، خاصه ونحن نشكو من قلة الدراسات فى العربية التى تتعلق بالترابط السياقى والمنطقى ٠

راح يذكر لنا ضرورة توفر أدوات معلوماتية وعلمية تكشف عن بنية النص ، لكنه لايمكن ان يحدث دون دراسات لغوية تقول لنا ـ مثلا ـ عن علاقات مسارات الاشتقاق وعلاقات المعانى ٠

وشغل طويلا بمعاجمنا التى لاتجدد ، حيث ينقصها المعانى خاصه فى اسقاط عنصر السياق ، والقواميس التى تردد تعبيرات بيضاء فى تفسير مصطلحات هامة ، ومن هنا ، عاد الى ذكر أهمية الكومبيوتر الذى يوفر لنا قواعد بيانات للنصوص ، وهى كثيرة جدا ، ونحن لدينا ذخيرة كبيرة جدا يمكن استخدامها لتحليل الجملة العربى ليمكن وضعها على الكومبيوتر ، فهذه القواعد يسمح بدراسات جادة للنص العربى ، وبالتالى دراسة أجناس الكتابة العربيــة تمهيــدا لوضعها فى اطار أجناس الأدب بصفة عامة ٠

بيد ان أكثر ما شغلنا به الخبير المعلوماتى صراحته الشديدة فى قضية الترجمة (٩) ٠

قضية الترجمة (من) و (الى) اللغة العربية ٠

فمن الغريب ان الأجهزة المخابراتية الغربية تهتم بهذا الجانب اهتماما خاصا ، ولم يتردد فى القول صراحة وبوضوح وبغير حرج

ان المخابرات الأمريكية الآن تهتم كثيرا هذا الجانب (ان الخابرات الأمريكية تطاردنى الآن) لعمل ترجمة من العربية الى الانجليزية) لمـاذا ؟

لنجد صعوبة كبيرة لفهم هذا فى سياق الندوة أو خارجها ، فالهدف هو كشف بنية الفكر العربي وكشف مايجوز فى وجدان الانسان العربى تحكما فى ردود أفعاله لأن أفعـاله أصبحت مقيدة للغـاية ٠

★★ راح حافظ دياب يواصـل حديثه عن الوجه النقدى البشع الذى عرفنـاه على أثر معرفتنـا لارهاصـات العولمة منذ السبعينات ، ويطيل حول قضية الترجمة (عابرة القارات) وتراجع مدى (الأدب المقارن) ، فى حين سبقه صلاح فضل ليفيض فى حديث طويل فيما يصل بين العولمة والأدب من حاجات ابداعيـة ومنظومة نقدية وتطور الأشكال الأدبية للتعبير عن طاقتها فى أجناس تتحول الى تميع وتداخل وتهجين وتوليد الى غير ذلك من ظواهر الأدب فى هذا العصر ، فى حين ظـل صـوت تبيل على يحـاول عبر المنظور التكنولوجى أعاد صياغة ما سمعه أو مايوشك ان يسمعه ٠

لقد أثر الخبيران يكون (كما اعترف فى بداية المداخلة) هو الوجه الآخـر ٠

هذا الوجه الآخر الذى سعى لاعادة صياغة ما قيل من منظور تكنوقراطى جديد ٠

من القاهرة الى مدريد ·· وقضية المصطلح !!

عدت من مدريد ، كنت أحسب ان جدل المفاهيم الذى تركته ورائى فى القاهرة قد انتهى ، لكننى ما ان هيأت للحديث والسماع ـ فى مؤتمر طه حسين الذى عقد بمدريد أخيرا ـ حتى وجدتنى أعود ثانية الى نفس المناخ ـ جدل المفاهيم ـ حاولت أن أبذل جهدا حثيثا لمحاولة الاقتراب من المشاركين الأخرين فى ضوء مفهوم واحد دون جدوى ، وحين عدت الى القاهرة ثانية وجدتنى فى جدل مدريد من جديد ، القضية نفسها مازالت قائمة : والجهل بالمفهوم هو هو ، وسوء النية أحيانا ـ فى فهم المصطلح هو هو ، وخسارة جبهة الوعى العربى بما يحدث قبل هذا وبعده هو هو (١٠) ··

كنت قد خصصت المقال الماضى عن جدل المفاهيم ، وها أنا الآن ـ للعود من نفس الطريق من مؤتمر (ذكرى طه حسين ··) الذى أقامه المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد ، وهو

ما يتكرر فى أغلب الندوات فى السنوات الأخيرة فالقضية واحدة هى غياب المفهوم أو الجهل به ..

ها أنا أعود ـ كما عدت الى هذه القضية مرارا من قبل .

انها صورة من صور (المثقف والعولمة) الآن ، حيث تبدو الأمور غائمة أو غائبة ، وحين تروج للأفكار السهلة ، وحين يبدو المثقف فى الظاهر أكثر (تثاقفا) ـ كما يقول اخواننا المغاربة ، فاذا بنا نتحدث كثيرا ، ونفهم قليلا ، وتقل قدراتنا الثاقبة على الوعى بالمفهوم المكثف ، دعك من محاولة ابتكار لا لمفهوم الجديدى بعد نحته ومراقبة تطويره .

وكما أصبح تسطيح المفاهيم سمة سائدة فى عصر العولمة ، كذلك أصبح تسليع الأفكار العائدة الينا شيئا مألوفا .

وعلى أية حال ، لاننا فى المرة القادمة ضربنا مثلا لمصطلح (الأجناس الأدبية) ورأيته عبر كل ألوان الطيف ، فسوف نتمهل الآن عند بعض المصطلحات التى شهدت فى مدريد مؤتمر حضره عدد كبير من العرب والاسبان .

لقد تناثرت المصطلحات هنا وهناك ، وهى تمر أمامنا مر الكرام ، وكلما تعامل الحاضرون مع مصطلح زادت هوة الخلاف ، لا نستثنى فى هذا قضية واحدة من القضايا التى اثيرت

وما أكثرهـا ، وسوف أتمهل ـ على المسـتوى الشخصى ـ عنـد مصطلحين أثارا ردود أفعال كثيرة ـ فور عرضهما فى الجلسـة الثانية من اليوم الأول ٠

وقد زاد الخلاف حول هذا المصطلح أو ذاك ، أما لغياب البحث واكتفاء الحاضرين (بالسماع) وهو ما نجده فى (كل) المؤتمرات التى تعقد فى بلادنا سواء لسوء الفهم واما ـ أكاد أقول ـ سوء الظن لدى البعض ٠٠

فلنر بعض هذه المفاهيم وتعارضها ٠

(١)

لم يكد كاتب هذه السطور أن ينتهى من القاء بحثه بالصورة (الملخصـة) التى أصـبحت شـائعة وتعرف بما الأبحـاث فى المؤتمرات ، حتى واجه سيلا من التسـاؤلات التى كانت أغلبها ضـحية لعـدم قراءة البحث ، وبعضها الآن لعـدم ربط المفهوم بسياقه دون الخروج به الى سياق آخر ٠٠

عنوان البحث كان هو (المؤثرات الفكرية التى ٠٠) وجاء فى هذا انها محاولة (رصد درجة المؤثرات الغربية لدى المثقف العربى كجزء من عملية العصرية أو التغريب ٠٠) وبمجرد ان أطل مصطلح التغريب Westernization (١١) فى عمليـة التطور الغربى الذى بدأ ذروته فى بدايات القرن (أقول بداية القرن) حيث كانت عبارة التغريب هنا لا تعنى أكثر من (العصرية)

في زمتها حتى جاءت ردور الأفعال معاكسة : فيبدو ان مصطلح التغريب يظل غامضا أو لا يفهم الا في اطار زمنه ٠

كان الحديث ينصب على تبلور المؤثرات الغربية حين تعرف طه حسين على معلميه في الغرب فمنذ عرف الغرب في مصر أو بعد ان غادرها الى فرنسا ، وان عمليـة التغريب هذه لم تتعـد فهم (المنهج) الذى تعامل به طه حسين مع (مقدمة) ابن خلدون (١٢)، هذا المنهج الذى تأثر بعلوم القرن الثامن عشر فى أوروبا وعديد من أسـاتذته فى القرن التاسـع عشر مثل كازانوفا ودور كايم وجوستاف لانسون وشارل ديهل والفونس بولار وقبلهم قبل أن يغـادر مصر فى الجامعـة الأهلية مثل كارلو نالينو وسـنتيلانا وميلونى وليتمان ٠٠ وغيرهم ٠

انه التأثير الذى مثل مقدمات فصول رسالته التى حصل بها من فرنسا على رسالته عن الفلسفة الاجتماعية عند ابن خلدون عام ١٩١٧ ٠

لم يكن تعبير التغريب هنا ـ وقد كان شائعا فى الدراسات التاريخية والفكرية ـ غير احد التيـارات التى كانت قائمة فى بدايات القرن التاسع عشر (التياران الأخران هما : التغريبى الخالص ومثله اسماعيل مظهر ، والدينى ومثله حسن البنا) ، وهذا هو اتيار الثالث الذى عرف ـ كما فعل جابر الأنصارى فى كتابه « صراع الاضداد » ـ بمصطلح (العلمنة والرفض) قبل أن تدخل الثلاثينات بالفـكر الليبرالى الى درجات الاحبـاط على المستوى الوطنى والسياسى ٠

لقد كان هذا المصطلح منذ فترة مبكرة يتبنـاه محمد على وأتباعه حين حاول (عصرنة) البلاد ، لكن التغريب الذى اتخذ فيما بعد معنى (العصرية) اكثر لدى تيار بعينه من اتباعه كان محمد عبده وأتبـاعه والمناصرون له الذين كانوا يؤمنون بامكان تعايش العصرية داخـل الاطار الوطنى كانوا يرون ضرورة مواءمة الأساليب العصرية بالمتطلبـات المحليـة ‥ انهم فى اعتقـادى الليبراليون الحقيقيون ‥

كان الجميع من شتى تيـــارات الفكر فى نـدوة « مدريد » يدهشون لاستخدام التغريب لدى طه حسين ، بما يعنى ـ لديهم ـ أسباغ التبعية والانتماء للغرب وتكوين صورة مغايرة لما عرف عن طه حسين ، فى حين ان الأمر لم يكن ليحتاج الى كل هذا الجهد. خاصة ، وقد كررت لأكثر من مرة ان التغريب كان التأثر بالغرب دون التخلى عن الهوية التراثيـة ، وان طه حسين كان من أبرز أبناء جيله وعيا بما يمثله الغرب وفى الوقت نفسه وعيا بما يمثله التراث العربى بالهوية واللغة والتاريخ وما الى ذلك ٠

وهو ما دفـع بى ان أنهى البحث بعبـارة تؤكد انه حين عاد الى مصر وطيـلة حيـاته كان قد بلور فكره فى اطار الاعتدال المتطور أو انه (جمع الى عنف التحديث وعى التراث) ٠

ببساطة شديدة ، فان طه حسين لم يكن ليستطيع أن يصنع (قطيعة) مع الماضى دون أن يربط بالقطيعة المعـرفة بالتواصـل المعرفى المعاصر ٠

أى اننـــا لابد أن نتعـــامل مع الماضى هذه (القطيـــعة المعرفية) (١٣) الواعية ٠

وهو ما أثار ـ مرة أخرى ـ مصطلح آخر ـ لم يجد أحدهم سبيلا الى فهمه الا بتوجيه سهام النقد بدون تردد ، لقد فهم البعض انها أحداث القطيعة الخالصة (هكذا) مع الماضي ، وهل يمكن هذا ؟

هل يمكن صنع قطيعة مع ماضينا ـ ذاكرتنا الحية ؟

سألت نفسي ، وعدت الى محاولة التبسيط والشرح ٠

(٢)

ما هي (القطيعة المعرفية) ؟

فرغم انني عرضت لشرح هذا المصطلح في هذا المكان قبل ذلك ، فقد اضطررت الى العود اليه ثانية لتوضيحه ٠

وما أكثر ما يعود الكاتب هذا الزمان الى مصطلح لتوضيحه المرة بعد المرة بعد المرة ٠

ورغم ان المصطلح يعود الى عديد من الكتاب الغربيين في شتى التخصصات ، فانه لا يخلو من دلالة انه اشترك في بحثه وتأكيد فلسفة العلوم والعلوم الطبيعية وقبلهما علم الكلام ، وأسهم فيه عالم الطبيعة باشلر والماركسي المجدد التوسير وتعانق فيه لينين ولوكاتش ثم جاء عدد من العرب يسهمون في المصطلح لتأكيده على المستوى العربي ومن بينهم يمنى طريف العيد التي تركز في أحد كتبها ان القطيعة عندنا (ابستمولوجية ولن تصبح حضارية أو أيديولوجية) ٠

ورغم ان (للقطيعة المعرفية) شروح كثيرة ، فان اجتهاد يمنى العيد يظل آخر ما طرح فى هذا الشـأن ، ولأن القضية ليس من السهل بسطها فى هذا الحيز البسيط فسوف نجهد لتلخيص نبسعى أن يكون غير مخل ٠

ان القطيعة المعرفية ترتبط بالحركة الجدلية بين الحضور والغياب ــ لاثبات والنفى ــ الاتصال والانفصال لتكون « ثمة اضافة كيفية حقا لنسق علمى تنتسب اليه وليست مجرد اضافة كمية ٠ انها ترتكز فى أصولها الى قانون الجدل الشهير : تراكمات بنوع من القطع الكيفى ، وهو ما يؤكد معه ان التقدم العلمى مبنى على أساس قطع الصلة بالماضى ليس بمعنى نفيه أو انكاره أو التنكر له فذلك غيروارد ، تقول يمنى الخولى هنا :

(ــ ان القطيعة المعرفية لا تعنى المسخ الحضارى ، كما انها لا تعنى المحو والالغاء افناء الماضى ، ليكون البدء المطلق والمستحيل معرفيا وليس ورائى شيء البتة ٠٠ كما بدأ انسان نياندرتال أو كما بدأ آدم ٠٠ كلا بالطبع وبالقطع ٠ القطيعة المعرفية ان أبدأ درجة أعلى ليست تكرارية أو لا اضافية كمية ، بل هى حلقة جديدة فى سلسلة التقدم المتوالية ، لم أصـل اليها الا بعد الحلقـات السابقات فترفض القطيعة ــ بوصفها مقولة ابستمولوجية مجدية وفعالة فكرة الانسلاخ والافتراق البائن الذى يقطع جذوره فى كل ماضى ويبحث عن مسـتقبل هائم بقفز ووثب لا يصنع حضـارة ولا يقيم نهضة) (١٤) ٠

وبعيدا عن فلسفة العلوم ووضـع الطبيعيات أو اللجوء الى علم الكلام ٠٠ الخ فان الانسلاخ عن التراث يظل موقفا مناقضا لأى موقف (علمى) يحثنا عليه ديننا ، وتحثنا عليه كل الأديان ،

لما في احداث قطيعة خالصة بين الماضي والحاضر مقولة غير عملية وواقعية ٠

فالفكرة هنا لا تكون تكرارا كميا لأفكار الماضي ، وانما هي عمل دائم ووعي دائب بانجاز الحداثة في ضوء الاثنين : الماضي للصعود ـ على أرض الحاضر ـ الى والمستقبل ٠

★★ وها قد عدت الى القاهرة وها هي المفاهيم ـ هناك كما هي هنا ـ غريبة ، متماثلة بعضها لدى البعض يمثل سوء الفهم وحساسية المعنى اذ تتسرب من مرجعيات متباينة وبعضها لدى البعض الآخر يمثل سوء القصد ، وهو موقف مسبق يتم عن الغرض وليس العلن وكلاهما ـ سوء الفهم وسوء القصد ـ يمثل وعيا مفقودا لاهم قضايا التعبير والتفكير وكلاهما وعي كان لابد من التنبه اليه ـ ربما ـ حين دقت مدافع نابليون أسوار القاهرة قبل قرنين أو قبل ذلك بكثير غير ان الأخطر من هذا كله يظل ان القطيعة بيننا وبين عقولنا مازالت قاطعة ، قائمة ٠

هوامش الفصل الثالث

(★) انظر ندوة (الأهرام الدولى) بعنوان (العولمة والأجنـــاس الأدبية ، صيف ١٩٩٩ اقيمت بالقاهرة ٠

(★★) قضايا فكرية (فصلية) ، مجلة يشرف عليها العالم ، ١٠/١٩٩٩ ٠

(١) موسوعة لالاند الفلسفية ، م (١) منشورات عويدات – بيروت باريس ط ١ ١٩٩٦ ٠

(٢) السابق ٠

(٣) السابق ٠

(٤) السابق ٠

(٥) السابق ٠

(٦) قضايا فكرية . السابق ٠

(٧) مصطفى عبد الغنى ، قضايا فكرية ، الدار المصرية اللبنانية ، ينـاير ١٩٩٩ ، انظر مصطلح التناص ، ص ٩٥ ٠

(٨) السابق ٠

(٩) ندوة (العولمة والأجناس الادبية) السابق ٠

(١٠) عفـاف لطفى السـيد ، تجربة مصر الليبرالية ، المركز العربى للبحث والنشر ، القـاهرة ١٩٨٠ ، ص ٣٢٥ ٠

(١٢) ندوة مدريد ، السابق ٠

(١٣) يحيى الخولى ، القطيعة المعرفية : القـاهرة ١٩٩٩ (المقدمة) ٠

(١٤) السـابق . ص ٣٦ ٠

الفصـــل الرابع

الثقافة والعولمة .. نموذج كوبنهاجن

١ - حيرة البــداية :

قاومت الحيرة طويلا وأنا أحاول تبين هوية أولئك المثقفين في ضجة كوبنهاجن طيلة أيامها التي طفت فيها على الساحة الثقافية ٠

فالذين ذهبوا الى عاصمة النرويج وعادوا قالوا كلاما ٠

والذين لم يذهبوا قالوا كلاما آخر ٠

والذين ذهبــوا أو لم يذهبوا كان القاســم المشترك بينهــم جميعا مصطلح أو مفهوم (التطبيع) ، وعلى هذا النحو ، امتدت مساحات الحيرة الى كامب ديفيد وربما وراءها حين عرف الصراع العربي - الاسرائيلي صراعا مسلحا على الوجود وليس الحدود فقط ثم اخواتها فيما بعد حيث أوسلو ومدريد ٠٠ الخ ، ومن ثم ، بدا ان تحديد هوية مثقفي كوبنهاجن قضية عصــية على الفــهم خاصة في غيبة مرجعية مقنعة لهم ٠

وزاد الأمر غموضا ، وجود مصداقية كبيرة لمن لم يذهبوا ، وخاصة ، ان أولئك الأخيرين توقفوا عند مفهوم التطبيع على انه مرادف للاستسلام ولوم الثقافي للتأثير في السياسي أو الاستفادة بورقته ومما زاد الأمر صعوبة اختلاط الأوراق في هذه الفترة ٠

ـ لقد شـــارك فى الاعداد (لاعلان كوبنهاجن) عـدد من رجـال الأعمال سواء الذين ذهبوا منـهم أو الذين لم يذهبوا ، ورجل الأعمال ـ مهما يكن موقفه الوطنى ـ فهناك دائما عالم المال الذى يؤثر فى اتخاذ أى موقف ٠

ـ وبارك مبادرة كوبنهاجن وزير الخارجيـة المصرى عمرو موسى بما عرف عنه من موقف وطنى وفاعلية سياسية ، فقد رحب الوزير المصرى ـ السياسى ـ بالمبادرة وأرسل ـ فيما بعد برقية لأصـحابها بالتأييد ، الأكثر من هذا ، انه عقب الاعلان عن التحالف أرسل عدد من الرؤساء تأييدا كان من بينهم الرئيس مبارك نفسه ٠

ـ والتبس الموقف أكثر حين كان بعض ممثـلى كوبنهاجن تربطهم بالحزب الوطنى الحاكم فى مصر علاقات وثيقة ، بل ان البعض الآخـر يرتدى رداء الاشتراكيـة وينتمون الى بعض أحزاب المعارضة داخل مصر مما لا يمكن أن يكونوا قد خرجوا عن الاجماع مع توحد حركة الدولة والمعارضين فى حركة سياسية واحـدة ، ولا يمكن ـ كما كان الاعتقاد فى البداية ـ ان ثمة موقفا معاكسا للاجماع الوطنى يمكن أن يحدثه بعض المثقفين سواء انتموا الى حزب رسمى أو غير رسمى فهؤلا ـ كما لاحظ البعض (الشرق الأوسط ٢/٩) تربطهم بالحزب الوطنى الحاكم فى مصر علاقات وثيقـة والبعض الآخر ممن يلبسون رداء الاشتراكيـة مع وجود شبهات قوية ، ان من بين هؤلاء الاشتراكيين من يرتبطون بعلاقات غير معلنة بالسياسة الأمريكية ٠

ـ وقد زاد الأمر صـعوبة انه شارك فى صـياغة الاعلان وتقديمه للجمهور عديد من وسائل الاعلام الرسمية أو الحكومية، فسمح لهم ـ لمثقفى كوبنهاجن ـ بالتعبير عما أرادوا بحرية شديدة

وفى الوقت نفسه كانت ممارسات نتانياهو تؤكد ـ فى المعسكر الآخر ـ على الزيادة الكبيرة فى جرعة الغطرسة والاستهانة بارادة الشعوب .

ـ ولم يكن بعيدا عن الأذهان هذا الاجتماع الذى تم بين ممثلى حزبى الليكود والعمل ، وتمخض الاجتماع عن وثيقة تسمى بوثيقة بيلين ـ ايتان لا تؤكد الخلاف حول استراتيجية الحزبين بالنسبة للموقف من السلام مع العرب وانما تؤكد ـ تماما ـ على توحد الموقف المعادى للعرب فى وجود خلاف عقائدى شاسع قيل انه لم يتراجع بينهما طيلة الاجتماعات وقبل ـ أو بعد ـ اعلان هذه الوثيقة التى اتفقت على الحد الأدنى فى تحديد الموقف الاسرائيلى من كثير من القضايا العربية يفهم منه ـ من هذا الموقف ـ المعاداة للقضايا العربية أو محاولة تفهم موقف العرب .

ـ وفى الجانب الآخر بدأ ان المعادين لاعلان كوبنهاجن قد وصلوا الى أقصى درجات غضبهم ، وتطور الأمر من الاستهجان الى الدخول فى متاهات الخلاف بين المثقفين من الاتهام بالغفلة الى القذف بالخيانة ، وقد صهر هذا الغضب الى أقصى درجاته فى عديد من القنوات الفضائية التى شارك فيها الكثير من المثقفين من الجانبين ، والتى راح فى احداها أحد المعادين لهذه الوثيقة ـ سعد وهبة ـ ينظر الى مثقفى كوبنهاجن وهو يردد أمام عيون مشاهدين انه عرف الآن فقط مقولة وليم شكسبير فى رائعته (هاملت) هذه الرائحة العفنة التى تأتى من الدانمارك .

وحين حاولت فى بعض المراحل التفهم أكثر لموقف مثقفى كوبنهاجن ، وحاولت الفصل الكيفى بينهم وبين مناهضيهم لجأت الى جهاز الأنترنت ، ليزيد الأمر صعوبة ، فقد فوجئت ، وأنا

أبحث على هذا الجهاز على ما اصطلح على تسميته (اعلان كوبنهاجن) بمادة وصلت الى أكثر من ثلاثين الف وثيقة وثيقة تطوى كلها تحت عنوان (اعلان كوبنهاجن) وتتراوح المادة فيها بين اللقاءات السريه وغير السرية ، والقرارات الناقصة ، والشخصيات التى كانت تأتى بشكل مستمر وهذه التى كانت تنقطع بعد مرة أو مرتين ، وبعض رسائل المشاركين من مثقفى مصر أو الأردن او فلسطين أو اسرائيل ٠٠ وغيرهم ممن لعبوا أدورا طيلة السنوات الماضية فى بلورة هذا لاعلان الذى انتهى فى ٣٠ يناير الماضى بهذا الشكل (اعلان كوبنهاجن) ووزع على وكالات الأنباء ونشر فى عدد من الصحف العربية والغربية ، والذى عرفت له فى العربية فقط أكثر من خمس ترجمات تكاد لا تتفق واحدة منها مع الأخرى فى كثير من الأحوال ٠٠

★★ وفى كل مرة كنت أكتشف اننى ازداد حيرة ٠

اقتربت من الأنتر نيت وعدت الى (كل) ما كتب عن هذا (التحالف) ـ كما أطلق عليه ـ وأنا أغرق فى مقالات الكاتبين من أنصار كوبنهاجن وأعدائه ، وبيانات شبكات الاتصال الحديثة وأوراق وكالات الأنباء ٠٠ لخ وحاولت فى هذا كله أن أفهم كيف أصبح المثقف العربى الآن ؟؟ هل ثمة علاقة أصبحت بينه وبين السياسى ؟ وهل كان يذهب الى كوبنهاجن وهو يحمل روح المثقف الناقد ـ كما تعرفه الأدبيات العربية منذ نصف قرن أو يزيد ؟ ـ أو كان يحاول أن يرتدى ثوب السياسى أو الدبلوماسى ؟ وهل نفض آثار المواقف التقليدية ـ كما يقول ـ ليشارك السياسى فى محاولة صنع السلام بعد أن جربنا الحروب كثيرا دون جدوى ؟

باختصار ، حاولت أكثر فهم نمط هذا المثقف : مثقف كوبنهاجن ٠٠

بيد أن فهم هذا المثقف اليوم لابد أن يمر بمساحات كثيرة ، نتعرف فيها على الواقع المصرى سواء بتياراته الفكرية أو تياراته المتجهة — فى مواقفها — الى اسرائيل ، لنحدد ، من ثم ، طبيعة هذا المثقف الذى تعرفنا عليه فى كوبنهاجن ٠

تيــارات الفكر المصرى

٢ — لم يعد مثقف اليوم هو مثقف الأمس المؤيد أو المتردد ، كما لم تعد السلطة هي النظام البسيط الذى كنا نعرفه ، لقد تغيرت أشياء كثيرة ، أصبح المثقف فى نهاية القرن العشرين أكثر ارتباطا بالسلطة ، خاصة هذا المثقف الذى تخلى عن دوره القديم الى دور جديد يكون فيه أكثر قوة ، وأكثر فهما ٠لتطورات العصر ٠

وقد حاولنا أن نحدد أنماط المثقف الى عدة أنماط من قبل (*) ، انتهينا الآن منها الى نمطين اثنين أكثر شيوعا وتأثيرا فى الواقع العربى المعاصر : — أحدهما ينتمى الى السلطة — والآخر ينتمى الى خارجها ٠

وهذا المثقف الذى انتمى الى السلطة ، هو مثقف كوبنهاجن — كما سنرى — الذى انتمى الى التيارات الفكرية الســائدة فى موقفها من اسرائيل ٠

(★) يذهب اغلب الكتاب المعاصرين الى أن أنماط المثقف الآن تتحدد فى أنماط عدة هى : مثقف السلطان ، المثقف النقدى ، المثقف القومى ، المثقف الخبير ٠ انظر — على سبيل المثال :

— دراسة مجلة المستقبل العربى عدد ١٩٦ — ١٩٩٦/٦ ، ص ٤٧ ٠

— أيضا : مقالة محمود الريماوى ، جريدة الحياة اللندنية ١٩٩٧/٢/١٠ ٠

— يمكن العودة للمزيد الى دراستنا (المثقفون وعبد الناصر) التى صدرت عن دار سعاد الصباح ١٩٩٤ ٠

— أيضا ، انظر : كراسات السجن لانطونيو جرامش ٠

ان مراجعة التيارات الفكرية التى تبلورت في اتخاذ مواقف محددة تجاه إسرائيل ، ترينا اننا اما اتجاهين ، احدهما ـ الاتجاه الأول ـ يضم تيارين : الدينى والقومى ، وهما يتخذان موقفا مناقضا من اسرائيل بحكم اعتبارات دينية وحضارية ، ويحتله مثقفون يلعبون أدوارا حيوية منذ فترة مبكرة من اسرائيل .

أما التيار الآخر ، فهو يضم ـ فيما يضم ـ تيارين : يسارى ، وليبرالى وكلاهما لم يتخذ موقفا عدائيا من اسرائيل ، اذ كان قبول الدخول فى علاقات سياسية واقتصادية لاعتبارات تجارية سرية أو علنية خاصة ، وان هذا الاتجاه الأخير يضم ـ فضلا عن المثقفين ـ عددا كبيرا من رجال الأعمال الكبار ، وهذا الاتجاه الأخير يلعب دوره الايجابى خاصة منذ (كامب ديفيد) ، وهو دور تزايد خاصة فى التسعينات مع اتفاقات مدريد وأوسلو وغيرهما .

ومن السهل ان نرصد مثقف كوبنهاجن فى هذا الاتجاه الأخير .

وينطلق هذا التيار ـ كما يقول أحد مثقفيه ـ من فرضية هى أن « السلام هو مبدأ استراتيجى لتسوية الصراع العربى ـ الاسرائيلى . ومن ثم ، فان المقاطعة المصرية لاسرائيل ينبغي أن تكون وسيلة وليست غاية فى حد ذاتها ، حيث لا ينبغى النظر الى المجتمع الاسرائيلى على انه كتلة صماء ، وانما كمجتمع به من التباينات الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية فى توجهاته السياسية ، وبخاصة تلك الكتلة الصامتة غير المنتمية سياسيا لأى حزب والتى تتوقف مواقفها على سير وتطور الأحداث وهى لكتلة ذاتها التى ترجح وصول حزب دون آخر لمقاعد الحكم ،

اسرائيل (**) وقد تحدد موقف هذا التيار أكثر مع تولى بنيامين نتانياهو رئاسة الحكومة فى اسرائيل أثر فوزه فى الانتخابات العامة هناك ·

وقبل أن نحث الخطا أكثر في هذا الموقف لابد أن نتمهل أكثر عند هذا المثقف الذى لم يكن نقديا منفصلا عن النظام ، وانما أصبح قريبا من النظام معبرا عنه ·

نمط المثقف السائد

٣ ـ واذا حاولنا تحديد نمط هذا المثقف أكثر فسوف يعود بنا الى تعريف أنطونيو جرامشى للمثقفين ، اذ ان هذا المثقف ـ مثقف كوبنهاجن ـ ينتمي ـ حسى جرامشى ـ الى المثقف العضوى ـ ، هذا المثقف الذى ارتبط بالنظام فى حركته الدائبة وبطبقاتها ، وارتباطه بدأ عضويا فى تجليه العام ·

وعبورا فوق تعريفات كثيرة للمفكر الايطالى ، فسوف نكتشف أن مثقفنا هو من نوع قريب من المثقف العضوى Organic Intellectuals ، وبهذا المفهوم فان لدينا مثقفا ينتمى الى النظام السائد انتماءا كاملا فى الواقع العربى المعاصر فى صراعنا مع اسرائيل ·

لقد حاول هذا المثقف أن يعبر عن هذا النظام وتطلعاته ، واختياراته فى عالم نهاية القرن الذى نحياه ، حيث لا يخرج هذا المثقف والفئة التى ينتمى اليها عن التحولات الكبرى فى المنطقة ، وعن تمثيل النظام والتحدث باسمه والدفاع بايديولوجيته ·

(★★) منى مكرم عبيد ، الحياة اللندنية ، ١٩٩٦/١٢/١٣ ·

وعلى هذا النحو ، يتبدى أمامنا رويدا رويدا مثقف كوبنهاجن ، الفئة التى حين نشير اليها فى وثيقة عاصمة الدانمارك ، فهى فئة لا تعدو أن تكون من الموظفين الواعين ، الذين يحاولوا أن يقوموا بالدور المطلوب منهم ، أو التمثل برموز النظام لتكوين خاص غالب على كيانهم كما سنرى ، وبهذا ، فهم يقومون بانتاج أفكار النظام بطريقة تبدو مغايرة ٠

ان هذه الفئة تعرف بالقطع ماذا يريد النظام السائد بالضبط ، أو تسمع جيدا ما يقال لها بشكل غير مباشر ، ثم تقوم بتأكيده عبر مواقفها السرية أو العلنية ، وفى سبيل ذلك ، لا تتردد عن توظيف امكاناتها الخطابية والتمثيلية والكتابية وملكاتها التكوينية فى الجدل الثقافى والأدبى وخبراتها الطويلة سواء فى اليسار أو فى الحزب الرسمى ٠

وعلى هذا النحو ، نلاحظ ان المثقف الذى ينتمى الى هذه الطبقة مولع بالسياسة ولعا هائلا ومع ان رموز هذه الفئة تنتمى الى أكثر من تيار ، فمن الملاحظ ان أغلبهم ينتمون الى اليسار (لطفى الخولى الى حزب التجمع على سبيل المثال) ، ورغم ان هذه الفترة تعود بتاريخها الى المرجعية الاشتراكية منذ الأربعينات . فانها فى مرجعيتها الحيوية والحقيقية تعود الى السبعينات عقب سقوط الكتلة الشرقية وأفكارها الماركسية ، ومن ثم ، يصلوا الى واقع جديد يتواءموا معه جيدا ، مستخدمين أدواتهم القديمة من المحافظة على الوعى الجماهيرى الى درجة ترديدهم الدائم يمثلون الجماهير الشعبية ، ويملكون اقامة التحالفات باسم الجميع ، ويجيدون تكتيك المثقف المراوغ ٠

ومن هنا ، فان هذه الفئة استفادت كثيرا من الأحداث التالية لحرب الخليج وراحت تتأقلم بسرعة مع السلطة المركزية وتعيد

انتاج أفكارها التى تتوائم مع النظام السائد ، اذ ان السنوات التى أعقبت حرب الخليج الثانية ١٩٩٠ أسقطت أغلب رموز اليسار من الوعى الشعبى ، ومن هنا ، كانت حصيلة هذه الفترة الزمنية الطويلة مثقفا من نوع جديد ، يحوم حول نار السلطة المحرمة ، يتشوف الى دفئها ، ويغامر بسمعته وربما بحياته من أجل الوصول الى أهدافه ٠

وهو ما يحدث لو ان الفراشة فقدت توازنها وسقطت في النار المحرمة (= السلطة) ٠

وفي دراسة جادة لعبد العليم محمد (الخطاب الساداتى) نلاحظ ان هذا المثقف في اعادة انتاج خطابه السياسى الذى يقوم به لا يبقى عند مجرد ان يظل منتجا « قيم استهلاكية فى لحظة فقط وانما هو يخضع لعملية تفكير وتأمل متجددتين » ، وعلى هذا النحو ، فان فكره الذى ينتهى اليه فى أحد المواقف يتحول الى « قناعات ومن ثم ممارسات يومية وهذه العملية لها جانبها السيكولوجى الذى يعتمد على ما يمكن أن تسميه ميكانيزم « الالحاح ، الى تكرار أفكار ومفاهيم بذاتها بعد فترة زمنية منتظمة بهدف المحاصرة والسيطرة على تفكير المواطن » (كتاب الأهالى ، ص ٣٦) ٠

فاذا أضفنا ان هذا المثقف استطاع أن يستفيد من وسائل الاعلام والتطور الجديد في شبكة الاتصالات الجديدة لتخيلنا الى أى مدى يمكنه التأثير فى الجماهير بشكل أوسع ٠ وعلى هذا ، فان استخدام كل هذه الامكانات ــ الشخصية والرسمية ــ تجعله جزءا عضويا من ايديولوجية النظام الاجتماعى القائم ٠

ومن هنا ، نستطيع أن ندرك ببساطة ان (الخطاب) الذى يقدمه هذا المثقف فى الظاهر ، لا يعدو ان يكون ٠ فى الباطن ــ

اعادة انتاج أفكار النظام السائد ، بل وتسويق أفكاره فى أحسن صورة ٠

وهو ما يدفع به أكثر للتعبير عن رأى السياسى على انه رأيه الخاص ، أو التعبير بالسياسى على انه رأى المثقف ٠

ولأن هذا المثقف قادر على استيعاب أفكار السياسى ، فانه يكون ــ بالتبعية ــ أكثر قدرة على استيعاب المناخ العالمى الذى يحيا فيه هذا السياسى ، ومن ثم ، يحدد دوره ، بأنه كلما فهم هذا المناخ واستوعبه ، زاد اقترابه من النظام ٠

وكلما زاد استيعابه لحركة العصر وآلياتها فى حركة الصراع العالمى ، زادت فرصته أكثر للتقرب من السياسى والحرب بسيفه ، ومن ثم ، التوفيق بين الذات والآخر فى عملية جدلية نرجسية وهذا يعنى ، اننا لن نستطيع فهم ملابسات (كوبنهاجن) دون أن نتفهم أكثر دور هذا المثقف عن ما يحدث حوله ٠

وهنا تأتى المحاولات الغربية والصهيونية لاغلاق الدائرة ٠

فلنتمهل ، اذن ، عند دور الراعى الأمريكى فى تحديد دور هذا المثقف ٠

عن الراعى

٤ ــ لم تأت كوبنهاجن من فراغ ، وانما كان وراءهـا العم سام ٠٠ وهذا كلام يحتاج الى تفسير فمن يتابع المشهد الذى كان يردده كادر التعاون بين آمريكا واسرائيل ، كان من السهل أن يلاحظ ، انه مع خفوت الأضواء وسطوعها ، وتغير الديكور واعادته ،

كان الموقف الأمريكى ثابتا من اسرائيل على وجه التقريب لنصف قرن أو يزيد ·

وقد عبر هذا الموقف عن نفسه فى كثير من المواقف سواء فى العلن أو فيما وراء المنظور ، فمن يراجع الكتابات التى دارت حول علاقة « الموساد » مع « السى · آى · ايه » سيجد تعاونا وثيقا ، تنحرف فيه العلاقة أحيانا حين يكتشف الجانب الأمريكى ان بعض عناصر الموساد تتجسس على مقدراته فى الداخل أو الخارج ، أو تعود الى اعتدالها ، حين يتأكد ان ثمة تعاونا وثيقا كان يتم بين المراكز الثقافية أو المخابراتية الأمريكية ونظيرتها فى اسرائيل فى دول العالم الثالث خاصة بعد (كامب ديفيد) حين أصبحت الظروف أكثر يسرا فى التجسس ومسح المناطق العربية تحت مسميات شتى ، بل ان التعاون السافر الواضح ضد العرب كان يظهر كثيرا فى هذه العلاقة بين الولايات المتحدة الأمريكية والصهيونية فى اسرائيل . وربما كان آخر أمثلة لها تتمثل فى المرتين اللتين استخدمت فيها الولايات المتحدة الأمريكية فيهما (الفيتو) لصالح اسرائيل فى الأمم المتحدة ومجلس الأمن ، كان القرار « يطالب اسرائيل بوقف الاستيطان بجبل أبو غنيم بالقدس الشرقية المحتلة فورا » أو الحيلولة دون استمرار الجرارات فى الأرض العربية فى (أبو غنيم) ، وقد صوتت الولايات المتحدة الأمريكية الى جانب اسرائيل ضد دول العالم كله ·

كان الموقف الأمريكى سافرا بحيث لم يكن ليحتاج دليلا لنؤكد به هذا الميل الواضح الى جانب القوى الصهيونية ضد العرب ·

ومن هنا ، فلا يمكن ان نتحدث عن (بيان كوبنهاجن) وتبعاته دون أن نشير الى الأثر الأمريكى ، ورغم ان هذا الأثر لا يظهر

واضحا ـ كما رأينا من قبل وكما سنرى الآن ـ فاننا لا نحتاج لجهد كبير لنكشف هذا الدور ، وراء بعض المواقف التى لا تحتمل اللبس فى تحديد دور العم سام فيها فقد نستطيع أن نلمس هذا ـ على سبيل المثال ـ وبوضوح شديد ، حين نرصد حركة أمريكى (من أصل يهودى) هو ستيفن كوهين ـ عضو مجلس العلاقات الخارجية الأمريكية ـ حين زار القاهرة فى نهاية عام ١٩٩٦ ، داعيا ، وبشكل سافر الى انشاء شكل من أشكال التعاون بين المثقفين المصريين وأقرانهم من الاسرائيليين تحت شعار (من أجل السلام) ٠

بل ان كوهين فى الفترة القصيرة التى قضاها فى القاهرة راح يمنح هذا التصور شكله ، فوضع له صورة (المنتدى) الذى يجب ان يقوم على أعضاء من المصريين والاسرائيليين ، وهى صورة أراد أن يقرنها ـ شاء أو لم يشأ ـ بتجمع آخر عرف (بمنتدى دافوس الاقتصادى) ، وأراد أن يضع له ـ بالمقارنة أو المشابهة الفاعلة ـ الأساس الذى سوف يقوم عليه والجهاز الذى سوف يقوم عليه والجهاز الذى سوف يحركه والادارة الدائمة التى ستعقد له ٠٠ وما الى ذلك ٠

وما كاد كوهين (= الأمريكى) ليترك القاهرة حتى جاء من يتولى الفكرة ويحاول التمهيد لها عبر عدد من المثقفين الاسرائيليين الذين يعملوا ـ أو سبق ان عملوا ـ فى مراكز مخابراتية ، أو يرتدون مسوح الجامعة . وقد كان أهمهم فى هذه الفترة هو رائيف ٠

كان زائيف وكوهين وغيرهما فى المرحلة النهائية التى يوشك بعدها الافصاح عن (اعلان كوبنهاجن) بوضوح ، فقد كان وراءهما ندوات شارك فيها عدد كبير من المثقفين المصريين ، قيل فى بعض

المرات أنهم زادوا على السبعين (كما يقول لطفى الخولى) ، وتمخضت بعد لقاءات عدة عن هذا البيان ٠

ومع الاعلان عن البيان أو التحالف فى ٣٠ يناير ١٩٩٧ كان لابد ان تحدث (الفتنة الكبرى) بين المثقفين ، لينسحب الراعى رويدا رويدا الى الوراء ، ليتقدم به ـ ومن خلاله ـ عدة مؤتمرات راحت تسهم فى تأكيد فعالية (كوبنهاجن) ٠

وعلى هذه الصورة خرجت أخوات (كوبنهاجن) وقد وجدنا فى المؤتمرات الجديدة أغلب الوجوه الى الوجود فى بدايات عام ١٩٩٧ ٠

وهو ما سنتمهل معه أكثر ، خاصة وقد وجدنا فى هذه المؤتمرات أغلب الوجوه المصرية التى شاركت من قبل ـ فى كوبنهاجن ، مع تغير طفيف فى بعض الأسماء وبعض الملابسات فقط ، ما لم يتغير كان الراعى الأمريكى ٠

فى شهر واحد راحت أخوات كوبنهاجن تتوالى فى الفضاء العربى ٠

ففى منتصف مارس عقد فى أحد فنادق نويبع المصرية مؤتمر حضره عدد كبير من المثقفين أغلبهم شاركوا من قبل فى كوبنهاجن ٠

تقول أوراق المؤتمر ان الدعوة كانت من جامعة « ميرلاند » الأمريكية ، وحضره عدد كبير من الأمريكيين من أصحاب الدعوة خاصة الى جانب نظرائهم من المصريين والاسرائيليين ، حيث وصل العدد الى تسعة عشر مشاركا ، جميعهم ممن جاء أسمائهم فى هذا

المؤتمر لم يخفوا أمره بعضهم جاء مباشرة وتحدث حديثا طويلا عن التحالف والسلام في مقدمتهم من المصريين كان د٠ عبد المنعم سعيد مدير مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية الذى لم تفوته الفرصة وراح يحاضر عن (فهم النقد الآكاديمى لعملية السلام العربى ـ الاسرائيلى) ثم د٠ سعد الدين ابراهيم رئيس مركز ابن خلدون للدراسات الانمائية بينما اعتذر لظروف شديدة كل من د٠ منى مكرم عبيد والمهندس أمين المهدى ٠

كما راح د٠ سعد الدين ابراهيم يقترح فى صوت جهير تأييد المؤتمرين لوثيقة كوبنهاجن الأولى وتأييد الحلف الذى تشكل فى العاصمة النرويجية ، وراح يقدم من عندياته تفسيرات كثيرة لغضب المثقفين المصريين الذين اعترضـــوا على وثيقة كوبنهاجن وطريقة التمثيل التى تم بها اخراج هذه الدراما ، وراح الجميع يوافق على ذلك ، فى حين علا صوت أحد الاسرائيليين الحاضرين ٠

والغريب فى الأمر انه فى حين اعترض بعض الحاضرين من الاسرائيليين على المؤتمر ، لم يعترض الوفد الفلسطينى الذى كان يتكون من شخصيات تحمل الجنسية الأمريكية !!

ولم تمض أيام قلائل حتى بدأ مؤتمر آخر ـ ٢٠ مارس ـ أقيم هذه المرة فى هلسنكى (أسماه البعض لقاء هلسنكى) ، شاركت فيه أعداد كبيرة ممن شـــارك فى أغلبهـم فى المؤتمرات السابقة ، فلم تفتقد د٠ سعد الدين ابراهيم كما جـاء كل من د٠ منى مكرم عبيد ود٠ عبد المنعم سعيد ، واللواء أحمد عبد الحليم٠

ولم يكن ليخلو من دلالة ان المشاركين فى الجانب الاسرائيلى عدد كبير من الساسة مثل مستشار نتانياهو وعدد آخر من أساتذة الجامعة العبرية ٠

المهم ان المؤتمر أتيم تحت رعـاية الراعى أى مجمـوعة من الدبلوماسيين الأمريكيين أيضا فى مقدمتهم كان السياسى الأمريكى الكبير وليم كوانت ٠

لقد أدرك الراعى ان المؤتمرات التى يقيمها بشكل مبـاشر أو بالنيابة تستطيع ان تشق الصف العربى للمثقفين العرب ، فى وقت ، لم يدرك فيه هؤلاء المثقفين ـ فى كوبنهاجن أو هلسنكى أو نويبع ٠٠ الخ ـ ان الحوار يجب أن يتم مع عدو يعترف لك بحقوقك ، وليس عدوا مدججـا بالسـلاح ، وبالغطرسة التى يقف وراءها الراعى الأمريكى ٠

وهو بعض ما لم يستوعبه مثقف (كوبنهاجن) بعد ٠

اللوبى الصهيونى فى كوبنهاجن :

٥ ـ بدهى ان الراعى الأمريكى لم يكن وحـده وراء اعلان (كوبنهاجن) ٠

فمن يراجع ملف هذا الاعلان يلاحظ ان ما حدث لم يأت من فراغ ، فلقاء كوبنهاجن لم يزد على ان يكون « محاولة جديدة من محاولات قادة حركة (السلام الاسرائيلية الآن) ، المرتبطة عضويا بمؤسسات الحكم الاسرائيلية لتوظيف المثقفين العرب لخدمة عملية لا يمكن الاحاطة بكامل جوانبها » ٠

وعلى هذا النحو ، نكون قد خرجنـــا رويدا رويدا من حيرة البدايات الى صور من البدهيات التى تطرح أمامنا ولا يريد أصحاب هذا التحالف تركها لنا لنراها ٠

ولا بأس من ان نعيد قراءة البدهيـــات فى هذه الفصـــول الحزينــــة ٠

فحين نعود لقراءة ملف كوبنهاجن مرة أخرى فى ضوء اللقاءات المستمرة لأكثر من سنتين ، قبل اعلان هذا البيان وبعده ، نلاحظ ، ان نتياناهو لا يرى فيما يحدث فى الشرق الأوسط غير سلام الردع ، ومحاولات اجراء (تحالف) أو ــ حتى ــ (حوار) يستمد قيمته من غفلة مثقفينا أو وعيهم بذواتهم ومصالحهم فقط ازاء استراتيجية العدو الذى لم يتوقف عن التهديد والمناورة قبل اعلان (كوبنهاجن) أو بعد جرافات (أبو غنيم) بالقدس حيث لم يتغير موقف اسرائيل عما قبلها ٠

ان هذا رأى سابق لأوانه الآن ٠

لنعود الى بدايات كوبنهاجن ٠٠

فمن البدهيات ان نرصد الدور الصهيونى منذ صيف ١٩٩٥ حين تولت وزارة الخارجية الدانماركية رعاية اقتراح الصحافى الدانماركى المعروف هربرت بونديك ، رئيس تحرير جريدة (بوليتيكا) السابق بترتيب حوار بين المثقفين المصريين والاسرائيليين المهتمين بالتسوية السياسية للصراع العربى الاسرائيلى ٠ والمعروف ان مهندس البدايات هو هربرت بونديك وهو يهودى يدير جريدته ــ كما لاحظت منى انيس دستور ٢/٢٩ ــ ليس من كوبنهاجن فقط وانما من تل أبيب حيث منزله وعائلته وتقول قصة بونديك انه أحد مؤسسى حركة السلام الآن فى اسرائيل ، وان أحد أبنائه قتل فى أحدى الحروب العربية الاسرائيلية ، وان ابنه الثانى هو مستشار ليوسى بيلين وهو أحد الذين مهدوا لقاءات أوسلو السرية ٠٠ وأن اختيار بونديك لأعضاء الوفد الاسرائيلى تركز على ابنة موشى ديان ، وشقيق وزير خارجية نتانياهو وأعضاء من الليكود وضابطا من المخابرات الاسرائيلية ٠٠ الخ ، وتبدلت الأسماء طيلة الاجتماعات التى استمرت لسنتين ، ولكنها لم تخرج فى الجانب الاسرائيلى عن

هذه الشخصيات التى لم تنفي ذاتيتها : أما من الموساد أو من رجال الأعمال أو الشخصيات العامة التى تدين بأجهزة صهيونية بروابط معينة باختصار ، فان منظم البدايات والوصول بها الى يوم اعلانها فى الثلاثين من يناير الماضى هو اللوبى الصـــهيونى فى البلدان الاسكندنافيه الذى يقف فيه بوندى « فى القلب » ·

والغريب فى الأمر كله ان المهندس العربى للاعلان ـ لطفى الخولى ـ يخصص صفحات كاملة بالأهرام ليومين فى الأسبوع ليدافع عنه ـ سلبا أو ايجابا ـ انه بعد أن يطرح بدايات الفكرة يتحدث عن دور بونديك فى (المبادرة) ـ كما يسميها ـ ويلقى المزيد من الضوء على البدايات ،فيقول :

(ـ استهدفت المبادرة فى خطواتها الأولى ، التى بدأت فى أوائل عام ١٩٩٥ التعرف على رأى عدد من المثقفين المصريين ، بلغ عددهم حسب مانمـــا الى علمى ستة وعشرين مثقفا جرى الاتصـــال بهم ـ فرادى ـ خلال زيارات متتابعة قام بها بونديك الى القـــاهرة أحيانا منفردا ، وأحيانا أخرى بمصـــاحبة الدبلوماسى توربين بريل ، مســـئول مكتب العلاقات مع البلاد العربية واسرائيل وأمريكا اللاتينية فى الخارجية الدانماركية ، أو مع الكاتب الاسرائيلى آموس آمون أحـــد مؤسسى وقادة حركة الســـلام الآن ، أو ديفيد كيمحى رئيس مجلس العـــلاقات الدولية وهى مؤسسة دراسات غير حكومية ، وكان من قبل السكرتير العام لوزير الخارجية الاسرائيلية ، بعد ان ترك منصـــبا قياديا فى الموســـاد (المخابرات الاسرائيليـــة ·· و ·· اســـتطرادا راح بونديك وآلون يتســـاءلون عمـــا اذا كانت الظروف مواتية ، وخاصة بعد ان قامت السلطة الوطنية على

الأرض الفلسطينية لتنظيم حوار ، بدعوة من الدانمارك التى لا تاريخ سابق لها فى الصراع أو الانحياز لطرف فيه ضـــد طرف آخر • بين عدد من المثقفين المصريين والاسرائيليين المهتمين بالتسوية السـياسية السـلمية للصراع بصفاتهم الشخصية ، وذلك من أجل استكشاف اتفاقية تفاهم للعمل المشترك ، لدفع واستمرار عملية التسوية السلمية المتعثرة •• على ان يتم توسيع دائرة الحوار بعد ذلك ••) •

(أهرام ١٩٩٧/٢/٢٥)

ويشير لطفى الخولى ـ وبقية أوراق الملف ـ الى عدد كبير من المثقفين المصريين الذين شـــاركوا فى هذه (المبادرة) ـ وصلوا بشـــهادة لطفى الخولى ـ فى بعض المرات الى سبعين مثقفا مصريا فقط ، ومن مختلف الاتجاهات (١) ـ اذ لبى الدعوة للاجتماعات على فترات أسماء كثيرة بعضها استمر وبعضها خرج بعد اللقاء الأول أو الثانى •• وهكذا ، نقرأ أسماء مثقفين كثيرين (٢) لعبوا هذا الدور بايعاز من القوى التى سعت الى ذلك •

بين المثقف والسياسى ••

٦ ـ وربما كان (بيان كوبنهاجن) الذى صدر بعد هذا كله ، يمنحنا فى تحليله مزيدا من الفهم لموقف أولئك المثقفين ، وخاصة ، المهندس المصرى لها ـ الى جانب نظرائه من الاسرائيليين أو الغربيين ـ غير أننـا سنرجىء هذا الى موضع آخر ، لنتمهل عند بعض الملاحظات الأخيرة •

من أهم ما يثيره الاعلان ما يلى :

١ ــ ان الحركة تقترب ــ منذ البداية ــ من الايعــاز بدور المثقفين ، لكنها ــ مع الوقت ــ تؤكد الهدف التى قامت من أجله ، وهو الهدف السياسى ، الذى يمنحه لطفى الخولى مشروعية أشمل (فعل ثقافى سياسى شعبى) ٠

٢ ــ ان الخلط بين الثقافى والسياسى هنا يبدو متعمدا ، فكيف يمكن للمثقف المستقل ، غير المنتج لايديولوجية النظام ، ان يشارك فى عمل أقل ما يقال عنه انه يقترب من (تهافت المثقفين) بما يوازى ــ مع فرق القياس ــ (هرولة الساسة) ٠

٣ ــ يخلو العمل من شفافية الموقف ، فوراء هذا الاعلان ــ فضلا عن الراعى الأمريكى والالتفاف الصهيونى ــ علاقات رجال الأعمال ومصالحهم ، فابراهيم كامل ــ على سبيل المثال ــ صاحب مصالح اقتصادية فى اسرائيل (على سبيل المثال) اشترى حصة فى شركة « كور » الاسرائيلية فى الفترة الأخيرة ٠

٤ ــ ما قام به لطفى الخولى كان نتاجا لاتفاق مباشر أو غير مباشر مع النظام السائر ، اذ أن النظام ــ فى أى قطر ــ يعتقد ان المثقفين يستطيعون ان يلعبوا دورا فى الضغط على قوى اتخاذ القرار الســياسى فى اسرائيل اذا أحســنوا حركتهم ، وأعلنوا ارتباطاتهم بالمطالبين بالسلام فى اسرائيل ٠

٥ ــ انتجت الحركة فى تطورها الزمنى خلافا بين المثقفين على أكثر من مستوى ، خلافا داخليا ، وهو ما حدث بين لطفى الخولى ومحمد سيد أحمد فقد قيل وقتها ان الباعث على هذا الخلاف بينهما كان البحث عن مكان الريادة لدى كل منهما (٣) كما أكدت على

اتساع الخلاف الى أقصاه بين منقفى كوبنهاجن ـ وهم أقلية ـ وبقية المثقفين المصريين ـ وهم أغلبية ـ بما يشير الى أن اختراق كوبنهاجن لم ينجح فى انهيار الجبهة الثقافية ، وان نجح فى تفاهم خلافات المثقفين وتنافسهم بدون مبرر ٠

المهم فى هذا كله ، ان لطفى الخولى لم يكن موفقا ـ وبشكل أدق ـ فى الاشتراك فى هذا التحالف ، بما يعنى ان هناك عدم توفيق أو تسرع يعود ـ فيما نرى ـ الى أن المثقف المتحول الى النظام المتحول الى النظام السائد ، هو مثقف افترق عن دوره حين كان من قبل مستقلا عنه وناقدا له ٠

وبشكل أدق ، نستطيع ان نرى فى لطفى الخولى ، وقد أصبح الآن قريبا من السياسى ، انه أثر أن يلعب دور السياسى لصالح لطفى الخولى ٠

انه المثقف الذاتى ، النرجسى ٠٠

ومستقبل الصراع مع العدو الاسرائيلى لا يتحمل مثل هذا التهـــافت ٠

هوامش الفصل الرابع

(١) يقول لطفى الخولى فيما بعد :

ـ في رصد قامت به مراكز الدراسات فانه عقد ما يتراوح بين ٢٩ وبين ٣٢ اجتماعا من هذا النوع منذ ١٩٨٩ حتى ١٩٩٦ · شارك فيه كل الوان الطيف الفكرى السياسى من الاسرائيليين والعرب ، يمكن تلخيص وتجسيد المشاركة العربية فى هذه الاجتماعات ، بأنها اتسعت لتشمل عديدا من المفكرين الاسلاميين والشيوعيين واليساريين والقوميين والناصريين والليبراليين ؛ وذلك ابتداء من الأستاذ فهمى هويدى ، والدكتور حسن الترابى (السودان) وحتى الأستاذ محمد سيد أحمد والدكتور محمد عزيز شكرى (سوريا) الأهرام · ١٨ مارس ١٩٩٧ وهو ما يمنح خاطة شاسعة حاولت هذه القوى جذرها فى الواقع العربى والتأثير فيه ·

(٢) من هذه الأسماء التى شاركت فى كوبنهاجن على فترات ، وشهدوا اخواتها فى نوييع أو هلسنكى وغيرهما : لطفى الخولى ومحمد سيد أحمد ، أحمد فخر ، منى مكرم عبيد ، مراد وهبه وعبد المنعم سعيد وابراهيم كامل وسميحة فوزى وجمال عبد الجواد ، ثم فى فترات تالية بين نوييع وهلسنكى والقدس سعد الدين ابراهيم واللواء أحمد عبد الحليم صلاح بسيونى وصلاح منتصر وأحمد متولى وغيرهم ويلاحظ أن هؤلاء توزعوا بين صحفيين ومسئولين عن مراكز سياسية خاصة وباحثين وأساتذة جامعات ورجال أعمال ، فضلا عن أن كل من الجانب الاسرائيلى والأردنى شهد عناصر رسمية حكومية أو مسئولين

سابقين فى تنظيمات مقاومة أو حكومية رسمية فان لطفى الخولى يقول بداية كتاباته أنه قد قام بالمبادرة بهذا الاعلان مجموعات من (المثقفين) ، وهو ما يشير الى تضخم الذات المثقفة هنا ، لترى فى خانة النرجسية ، حيث تفـوم هـذه الجماعة – على حد قوله – بالاقدام على مسئولياتهم الشخصية (على فعل ثقافى سياسى شعبى يكسر الدائرة المفرغة) ·

(٣) شغل المثقفون بهذه الاختلافات لفترة طويلة ، وشارك فيها من عرف المبادرة الكوبنهاجية أو من أيدها عن بعد بعد أن فاته انتهاز الفرصة ، وقد سود محمد سيد أحمد صفحات كثيرة للدفاع عن موقفه/الاختلاف مع أصحاب هذه المبادرة ، ولم يفت لطفى الخولى أن يهاجم هذا الأخير لأكثر من مرة فى الاذاعات الأجنبية أو المجلات العربية ، وربما كان أشهر مقالة له فى هذا ما كتبه تحت عنوانه الرئيسى عن كوبنهاجن بعنوان (التحـالف بين مدرسة « التجريس » ومدرسة « اللعم » ، وهذا التعبير الاخير (اللعم) يقصد به لطفى الخولى كما فى مقالته بالأهرام (ذلك التدخل المذهل فى المواقف الفكرية والسياسية بين « لا » و « نعم » لدى المثقفين حول نفس الموضوع فى نفس اللحظة) أهرام ١٩ مارس ١٩٩٧ ، كما شهدت الفترة الأخيرة معركة أخرى بين رئيس تحرير جريدة الأهالى عبد العال الباقورى و د· سعد الدين ابراهيم حين كتب الأول مقالته بعنوان (أسوأ دفاع عن اعلان كوبنهاجن) ورفض نشر رد د· سعد – كما يدعى عبد العـال الباقورى – بحجة أن صاحب (ابن خلدون) ينتقد صحيفة الأهالى وحزبها ويصفى حساباته مع جميع معارضى ما يسمى باعلان كوبنهاجن (المجتمع المدنى ، ابريل ١٩٩٧) العدد ٦٤ ·

الفصل الخامس

الثقافة والمثقف .. العولمة والمستقبل

« .. ولماذا هذا الحمـاس الذى يتجاوز حدود اللياقة للسـلام مع دولة لم تبد ميلا كبيرا ، بل أى ميل ، للتنازل عقائديا أو على الأرض .. »

(ادوارد سعيد)

نسعى فى هذه الدراسة الى تأكيد بدهية ، لا تحتاج لتأكيد
فنحن فى عصر يحتاج الى تأكيد البدهيات
ونسعى الى استعادة دروس التاريخ
ونحن فى عصر أصبح استعادة التاريخ لزوم ما لا يلزم
وقبل هذا وذاك نسعى الى استشراف المستقبل
فى وقت أصبح المستقبل فيه مرهونا بالقدرة على مواجهة الاختراق الصهيونى

وعلى ذلك ، فمن قدر الانسـان العربى الآن أن يعود الى البدهيات لتأكيدها ، وأن يتمهل عند ذكر الماضى ليؤكد للجميع أن التاريخ حين يكرر مرة بعد يتحول الى مأساة

وما أكثر المآسى فى تاريخنا المعاصر

نريد أن نقول ، ان لدينا عددا غير قليل من المثقفين الذين يقفون فى الصفوف الشعبية فى مواجهة الاختراق الصهيونى الذى يحاول أن يلتف علينا من آن لآخر ، مرة باسم السلام ومرة باسم التطبيع ، ومرات بأسماء التحالف والتعايش مع الاسرائيلين من دعاة السلام (هل حقا هناك اسرائليون يريدون السلام ؟) ٠

وبعيدا عن البدهية الساذجة والتكرار الممجوج ، فان المثقف مازال قادرا على أن يكون نمطا معارضا متحولا الى موقف وليس الى نمـــط سياسى ـ يتأرجح بين المنطقة التى تفضل بين المثقف والسياسة ، ويقفز دوما أو طوعا الى منطقة السياسى ، فيتحول دوره من المثقف ـ خارج لعبة السياسة ـ الى أحد مهرجى السيرك فى لعبة الساسة وهى لعبة ليس له دور بين لاغبيها ٠

وعلى هذا النحو ، فســـوف نتمهل ـ من الآن ـ عن هذا المثقف / الآخر ٠ الوعى ، الذى يمثل (خطابه) الرئيسى الوعى الجماهيرى فى موجهة الاختراق الصهيونى للمنطقة ، وهزل المشروع الصهيونى ووقاحة منطقة ٠

وقبل أن نصل الى ذلك لابد من التمهل عند مفهوم (الخطاب) وطبيعة المادة المكتوبة التى عبر بها المثقف عن موقفه فى عديد من وسائل الاعلام المقروءة والمسموعة أو المشاهدة ٠

أولا الخطاب :

الخطاب يعنى هنا الأقوال والعبارات و (المنطوق) التى تحدده مساحات كبيرة فى الصحف والمجلات والدوريات والندوات والقنوات الفضائية ٠٠ الخ ٠

ووحدة الخطاب تقوم على الدلالة الثقافية فى المقام الأول أى أنها تستمد مشروعيتها من الموقف الفكرى لهذا المثقف أو ذاك ٠

الموقف هو الذى يحدد القضية ٠

ومن هنا ، يتحدد خطاب المثقف العربى عبر هذه الكتابات التى اتخذت موقفا مضادا من قضية التعامل مع العدو الصهيونى فيما سمى بقضية (التطبيع) أو (التحالف) ، وهى القضية التى عرفت ـ تحديدا (باعلان كوبنهاجن) ٠

أضف الى هذا أن تبلور (الخطاب) لن يتحدد أكثر الا عبر البنية الدلالية ٠

وبشكل أكثر تحديدا عبر منظومة سياسية وفكرية تتخذ من (الخطاب أداة لها) ٠

والى جـــانب (الخطاب) نتخذ القراءة التحليلية أداة أخرى نحاول من خلالها أكثر الاقتراب من النص ـ الوثيقة ؟ المادة ـ لفهم ما لم يقله النص بشكل مباشر ، ومن هنا فان التأمل فى المحيط الواسع حولنا والنظر بعين الطائر فضلا عن الخبرة الخاصـــة فى التعامل مع هذه الأدوات يعيننا على فهم الموقف الايجابى للمثقف المعـــاصر ٠

ان القراءة التحليلية للنص سوف نستخدم تحديد الوثيقة (وثيقة كوبنهاجن) ، فنقوم بتحليلها عبر المفاهيم المكونة لوحداته الداخلية سواء بالعودة الى جذر المفهوم أو بتحديد علقة هذا المفهوم بالواقع حوله ٠

معنى هذا ، اننا لن نقوم بمحاولة تفكيك النص ـ كما يفعل التفكيكيون ـ وانما نسعى الى تحليل وحداته ، وتحديد العلاقة بينها فى اطار واحد قبل أن نعاود النظر اليها نظرة عامة نظرا للشبكة العضوية التى تربط العام بالخاص ، وهو ما يعنى أننا لن نتمهل داخل النص ، ونغيب فيه ، وانما نسعى منه الى خارجه ، لفهم أكثر ، فلا يمكن فهم العناصر الداخلية دون فهم واضح لعلاقاتها بعضها ببعض وعلاقتها بخارجها ٠

وعلى هذا ، نكون قد استفدنا باثنين :

ـ « الخطاب » ـ الدلالى

ـ القراءة التحليلية

وهما لا يتعارضان معا بقدر ما يصنعا منهجا واحد لفهم ظاهرة التحالف الذى حدث فى أقصى الشمال (كوبنهاجن) وعبر ممثليه من شتى الأقطار التى تمثل المنطق التى نعيش فيها ، علاقة الداخل بالخارج فى اطار الاستجابة الفعلية ٠

ثانيا : طبيعة المادة :

هذه (عينة) أكبر تعبيرا عن غيرها تم رصدها لموقف المثقف فى شتى المجالات : الوثيقة ، المقالة ، الافتتاحية ، الحوار ، البيان ٠٠٠ الخ ، وهى تمتد حسب الجدول المرفق عبر عدة ملاحظات ٠

وقبل ان نصل الى أهم صور المثقف المقاوم عبر (الخطاب) الذى اختاره لابد أن نشير الى مادة هذا (الخطاب) ونوع المادة التى نشرت أو أعلنت عبر الأثير ٠

جدول يبين المادة المكتوبة اوالمسموعة ونوع المادة وطبيعتها

مصدر المادة	النوع						
	وثيقة	مقالة افتتاحية	حوار	ق٠ف	بيان	تحليل	ندوة
١ ـ الأهرام		٤٩			١		
٢ ـ الأهالى		٣	٣		٥	١	
٣ ـ الدستور		٢			١	١	١
٤ ـ روز اليوسف		٣					
٥ ـ الشعب					٣		١
٦ ـ الوفد		١	١				
٧ ـ العربى		٣			١		(مصرية)
٨ ـ أخبار الأدب			١				
٩ ـ المصور		١	١				١
١٠ـ الأسبوع		١					
١١ـ القدس		١					
١٢ـ المجتمع المدنى		١					
١٣ـ الأحرار		١					
١٤ـ العـالم اليوم			٢				
١٥ـ السياسى المصرى		١	١				
١٦ـ اليسار		١			١		
١٧ـ سطور		١					
١٨ـ الحياة اللندنية		٢٨			٦		
١٩ـ الشرق الأوسط		٦				١	
٢٠ـ البيـان		٢					
٢١ـ الأيام		٢					(عربية)
٢٢ـ الوسط			١				
٢٣ـ السياسة		٣					
٢٤ـ اخبار الخليج			١				
٢٥ـ المشاهد السياسى		١					
٢٦ـ بيلدن ـ ايتان							
٢٧ـ Art	١						
٢٨ـ Coenhegen Decleration				١			(اجنبية)

ويمكن أن نشير الى بعض هذه الملاحظات على النحو التالى :

١ ـ ان المادة التى اعتمدنا عليها هنا ، تمثل عينة من كم هائل من الكتابات تمثل فى مجملها (خطاب) المثقف المقاوم للاختراق الصهيونى والمعادى لحركة (تحالف) طرفها الآخر صهيونى يتكون فى أغلبه من عناصر مخابراتية أو أوربية من أصول يهودية يشك كثيرا فى ولائها للسلام العربى أو ـ حتى ـ فى مدى سيطرتها على القرار السياسى داخل اسرائيل ٠

٢ ـ يلاحظ أن أغلب ما كتب فى هذا الاتجاه يعتمد على الصحف المصرية ، وبوجه خاص جريدة (الأهرام) التى استمدت قيمتها من أن أحد أهم العناصر المشـــاركة فى (التحالف) من كتابها ـ لطفى الخولى ـ ومعه لفيف آخر من المثقفين الذين ينتمى بعضهم ـ الى الأهرام وبعضهم الآخر خارجه ٠

كما أن أكثر الصحف التى امتلأت بالعناصر المقاومة ـ بعد جريدة الأهرام ـ (الحياة اللندنية) وجريدتها (الوسط) ففى حين وصلت مقالات الأهرام قرابة ٤٩ مقالة فانها وصلت فى الحياة الى ٢٨ ، وهو ما يعنى أن الجريدة الأخيرة فتحت أبوابها للمشاركين فى اتخاذ موقف من (التحالف) بالسلب أو بالايجاب ٠

٣ ـ يلاحظ أن المثقف المقاوم ينتمى ـ فى الغالب ـ الى التيار اليسارى وهو يمثل دلالة أن ممثلى كوبنهاجن كانوا فى أغلبهم من اليسار ، وهو ما يدل على أن عمق فهم تيار المقاومة امتد الى التيار اليسارى نفسه ، وهو ما نراه فى صحيفة مثل (الأهالى) وجريدتها (اليسار) فى مصر ، أى امتد الى الفهم الراديكالى لقضية الصراع العربى الاسرائيلى فى التيارات الأخرى ٠

٤ ـ فى المقابل ، نلاحظ افتقـاد افتتاحيات الصحف التى تتعرض للتحالف بالهجوم أو ـ حتى بالدفاع ـ وهو ما يعود الى حرج الاتجاه الرسـمى أى فى الوطن العـربى من اعتنـاق فكر مثقفى كوبنهاجن ، فى الوقت الذى نجد فيه ان (تحالف كوبنهاجن) يحظى فيه بالتأكيد الخفى أو المعلن فى بعض الأحيان وهو ما يشير الى مؤشر لا بد ان يدرس لفهم العلاقة بين الثقافى والسياسى من وجهة نظر النظام الرسمى وتأثير ذلك فى (لعبة السياسة) ٠

٥ ـ يلاحظ ان خلافات المثقفين وحرائقهم ابان هذا التحالف وصلت الى اقصاها سواء على المستوى الفردى أو عبر النقابات والجمعيات والجماعات المؤسسة للمقاومة ضد العدو الصهيونى ، وهو ما يشير فى الباطن الى استمرار الصراع بين تيارين ظهرا فى نهايات فترة عبد الناصر وبداية حكم السادات ، أحدهما يؤيد التعاون مع أنصار السـلام الاسرائيلى ! ويرى أننا فى معركة لسـنا فيها الطرف الأقوى فلا بد من التعامل مع الطرف الآخر ، فى حين ان التيار الآخر المقاوم وهو الأغلبية هنا (ويقف فى صف الجماهير الشعبية) يرى أنه لا فائدة من ادارة دفة التعامل مع عدو متغطرس لا يخفى اطماعه وازدراءه ، ومع أنصـار السـلام المزعومين من الاسرائيليين ، كما ان السـير وراء جماعة تزعم مسـاعدة الجبهة السياسية انما هو رضا بسياسة الهزيمة ٠

هذا يفسر كثرة المساجلات والمجالات الدائرة فى الصحف أو الاذاعات الأجنبية أو القنوات الفضائية ، رأينا هذا التكثيف الذى لاحظناه فى صحف ومجلات (الحياة) و (اليسار) و (الوفد) و (الشعب) و (المصور) ـ وبالطبع فى « الأهرام » ٠٠٠ الخ ٠

ان هذه العينة هنا تعبر ـ فى المقام ـ عن الخطاب الواعى ، المقاوم ، أما الخطاب الآخر فقد وقع ـ مع افتراض حسن النية ـ فى

فخ السلام الاسرائيلى المزعوم الذى يحاول الطرف الآخر به ان يشق جبهة المثقفين ، وبالتبعية الجماهير المعبر عنها ٠

٦ ـ وكما ان هذا المثقف الواعى لا يتوقف عند صحيفة معينة ، أو وسيلة أثيرية خاصة ، كذلك ، فانه لا يرصد عند تيار بعينه ، وانما يشارك فيه كل التيارات الرئيسية والمتفرعة منها على وجه سواء ، ويظهر هذا فى الكتابات الغاضبة والبيانات الملتهبة فى الصحف ، بالقدر الذى يظهر فى البيانات الجماعية الكثيرة التى عبرت عن نفسها فى النقابات والاتحادات والجمعيات ٠٠ الخ ٠

وهو ما كان يصعب معه تحديد كم معين للكتاب والمثقفين أو عمل احصاء لعدد من أولئك الممثلين للخطاب المقاوم المعبر عن الرأى العام فى مواجهة جبهة الاختراق الاسرائيلى ٠

٧ ـ يلاحظ ان هذه الفترة من خطــاب المثقف تمتد من الاعلان عن (تحالف كوبنهاجن) فى ٣٠ ينـاير ١٩٩٧ واستمرت طيلة النصف الأول من العام ، مع الوضع فى الحسبان ان مقاومة التطبيع بشكل عام ـ وهذا لتحالف أهم محطاته ـ تعود الى ما قبل ذلك ـ زمنيا ـ ، وأبعد من هذا بكثير ـ جغرافيا (**) ٠

وان كانت هذه الفترة التى أعقبت اعلان كوبنهاجن تعد من أهم هذه المحاولات لاختراق العقل العربى المثقف بشكل خاص ٠

٨ ـ من المعروف ان التصدى للاختراق الصهيونى بشكل حـاد جاء عقب هذا الاعلان ، وبالتالى ، فاننا سـنجد ان موقف المثقف ينطلق من هذا الاعلان فى المقام الأول ويعود اليه ثانية بعد أن يحلق فى آفاق الصراع العربى ـ الاسرائيلى لنصف قرن أو يزيد ٠

ومن هنا ، فان ايراد عناصر هذا الاعلان / الوثيقة سيتم عبر مفردات تصدى الخطاب المقاوم مرجئين (نص) الخطاب الى ما بعد (١) بعد السياق العام ٠

٩ ـ لابد أن يكون واضحا اننا لا يمكن أن نفهم مفردات وثيقة كوبنهاجن دون أن نتنبه الى وثيقتين أخريين ظهرتا فى نفس الحقبة ، احداهما تعرف بوثيقة بيلين ـ ايتلين ـ والأخرى وثيقة بيلين ـ أبو مازن فهما يمثلان خلفية لفهم تنامى الأحداث فى الاطار الزمنى والسياسى لهذه الفترة (٢) ، ومن هنا ، فان هذه النصوص تكون لازمة لفهم ملابسات ما حدث فى هذه الفترة٠

١٠ ـ ولابد أن نشير ـ فى هذا الصدد ـ ان اهتمامنا سيتحدد ـ هنا ـ أولا ـ حول المثقف المقاوم ـ فهو الذى يهمنا فى هذا الموضع ، كما أننا سنحاول فهم هذا الموقف فى المسار الزمنى المطرد راصدين ردود الأفعال وأهميتها فى هذا الصراع ٠

١١ ـ وسوف نلاحظ ان موقف أى من المثقفين فى قضية معينة سيتكرر بنفس المنطق فى عدد من وسائل الاعلام المرئية أو المكتوبة أو الندوات أو البيانات ، لكنه لن يتغير قط ، ومن ثم ، فان الايجاز على موقف فى موضع معين سيكون ممثلا لهذا الكاتب أو ذاك فى عدة مواقف ٠

وهو ما يصل بنا الى أهم عناصر (الخطاب) المقاوم ٠

ثالثا : المواجهة وقضايا المستقبل :

وقبل أن نتمهل عند أهم القضايا والموضوعات التى تمنحها لنا قراءة وثيقة الدانيمارك لابد من عدة اشارات تلفت النظر ،

لعل من أهمها أن رصد الجانب السياسى الرسمى للنظام يرينا ان النظام السياسي لم يعترض على هذا التحالف ، الأكثر من هذا انه أيده فى الفترة الأولى من الاعلان عنه (٣) ، وان يكون هذا ـ فى رأينا ـ لمحاولة التأثير على الرأى العام الاسرائيلى ·

فاذا تركنا محاولات السياسى للافادة من العناصر الفاعلة أمامه ، ومحاولة استخدام أى أساليب فى (لعبة السياسة) ، فان المثقف هنا يظل له ماهية معينة يحددها وعيه بالفارق بين السياسى والثقافى ·

وأول ما يلفت النظر فى هذا الاتجاه ما ردده عدد من مثقفى كوبنهاجن من ان ما حدث ليس غير تحالف (سياسى) على المستوى الثقافى أو (مبادرة) من مثقفين للسعى الى السلام مع مؤيدى السلام فى الجانب الاسرائيلى ، وهذا ليس غير ذر للرماد فى العيون صرفا عن المقولات الأساسية فى الوثيقة التى تحاول ـ على العكس مما هو معلن ـ أن تفيد لساسة الاسرائيليين ـ وان تؤكد الواقع كما هو ـ كما يجب أن يتغير ، اللهم الا اذا رأينا التغير الوحيد يظل فى جانب الصهاينة ·

وقبل أن نسهب عن الدوافع وراء المفردات السياسية فى البيان ، يجب أن نتمهل أكثر عند ماهية المثقف فى البيان ، ثم المدى الذى انتهى اليه من رأى انه معبر عن المثقفين الآخرين أو عن القوى الشعبية فى داخل البلاد كما قرأنا فى ديباجة البيان :

١ ـ المثقف والسياسى :

أول ما يلفت النظر هنا هو طرح قضية التفرقة بين المثقف والسياسى ·

ان خلط الأمور بين الصفتين : الثقافي والسياسي يلغي الأدوار ، ودور المثقف بشكل خاص (٤) ، وقد اشتعلت حدة هذا الحوار في الشهور لتالية لاعلان كوبنهاجن تعبيرا عن تحديد المواقف ، والتهم المتبادلة بين المثقفين ، ولان التهم كانت مجالا لكثير من الشبهات ، وهو ما لاحظه بالفعل محمد سيد أحمد ، فانه راح يؤكد ـ بصراحة ـ في جريدة الدستور ٢٩ يناير ١٩٩٧ وعلى حد قوله :

« ـ انه تم استغلال توظيف بعض المقالات التي كتبتها ونشرت في جريدتي الأهرام والحياة في مشروع لا يمكن أن يندرج بأى حال من الأحوال ضمن ما يجوز لكاتب أو مثقف وطني مثلي أن يقوم به من أدوار ، فأنا من حيث المبدأ مع الحوار مع الطرف الآخر ، ولا اعتبر هذا تطبيعا فأنا أقف في نفس الخندق الذى تقف فيه كل القوى الوطنية الرافضة للتطبيع مع اسرائيل لكني في نفس الوقت لا أرى ولا أقبل أن يكون دور المثقف هو الانخراط في عملية تفاوض موازية لعملية ، ولكنى أرى دورى هو ابراز أوجه الاختلاف والتنقيب عن الأسباب الحقيقية للصراع ، لا التفاوض والتوقيع على وثائق التفاوض الرسمي » .

وهو يعزو رفضه لحضور اجتماع كوبنهاجن أو التوقيع لهذا السبب .

غير انه يبدو أن موقف محمد سيد أحمد من هذا الاعلان لم ينطلق فقط من ايمانه بالدور الحقيقي للمثقف ، وانما لعزله في الفترة الأخيرة خاصة عن المشاركة في اجتماعات كوبنهاجن أو ايثار غيره ليقوم بدور بدا فيه ـ هذا الأخير ـ أكثر ايغالا في السياسية وأكثر تعبيرا عن اجتماعات ، ان محمد سيد أحمد

يضيف بعد يوم واحد - ٣٠ يناير ١٩٩٧ - ان اعتراضه على البيان جاء للسرعة التى خرج بها دون أن تتاح له الفرصة المناسبة للتعرف عليه ٠

انه يضيف الى الوجهة الاجرائية الدور الأساسى للمثقف ، يقول فى الحياة اللندنية ١/٣٠ ان :

« - الوارد - عمليا - هو ان يوقع المشاركون دون أن تتاح لهم فرصة اجراء مناقشة جادة ، على أن يعقبهم بعد ذلك ، استناد الى توقيقاتهم « كل من يريد » على حد قول منظمى اللقاء « دعم مسيرة السلام » باضافة توقيعه » ٠

ويعود لطرح اعتراضاته اجرائيا فيتساءل :

« - الوارد - عمليا - هو ان يوقع المشاركون دون أن تتاح لهم فرصة مناقشته مناقشة مستفيضة ، كيف يتسق هذا مع مفهوم المثقف أصلا ؟ ان مهمة أى مثقف ، على حد فهمى ، ليس السعى الى أن يتفق مع مثقفين غيره يختلفون معه فى الموقع والرأى والرؤية ، هذا قد يكون مهمة مفاوضين ، أما المثقفون ، فان مهمتهم التنبيه الى الثغرات والنواقص وأبراز الاشكاليات وأوجه عدم الاتساق ، لاطمسها وتذويبها واخفائها توخيا للعدل » ٠

ويردد محمد سيد أحمد هذا كثيرا ، مؤكدا انه لابد أن يكون للمثقف دور ، ولكنه الدور الذى يبتعد عن دور السياسى ، ثم يحدد هذا الدور بعدة مهمات يفصلها على النحو التالى :

« - علىَ المثقفين أن يتصدوا لمهمات ليست هى مهمات الديبلوماسية ، ولا هى مهمات المكلفين واختلاف نوعية الأشخاص الذين يزاولونها » ٠

ومن هنا ، فانه يرفض أن يكون الحوار بين جدران أو بعيدا عن الرأى العام انما يجب أن يكون علينا لتمكين الراى العام من الحكم على مواقف المشاركين فيه ، فالسرية ليست مطلوبة الا بين السياسيين ، أما بين المثقفين فيجب أن تكون (الشفافية) التامة أهم ما يحرص عليـه ٠

وعلى هذا النحو ، فان اعتراضه على هذا التحالف العربى الاسرائيلى يعود الى توظيف المثقفين ، فقد أسفرت هذه العملية عن هذا التوظيف « من أجل خـدمة عمليـة التفاوض وخلق مسـار تفاوضى مواز للمفاوضات الرسمية يكملها ، وتتكشف من خلاله موازين القوى بين الأطراف ، دون تحميل المفاوضين عواقب تكشف مواقعهم المتبادلة ٠ وليس هذا على وجه التأكيد ـ كما يشير ـ دور المثقفين ولا نوعيـة من النشـاط تحفزهـم على النهوض بدور ايجابى خلاق ، وللمزيد من توضـيح دور المثقف العربى خاصـة يوضح فى كتاباته التـالية ارتباط الدور النظرى بالواقـع الذى يحاول هذا الاعلان فرضه ٠

انه يعود فى ٥ فبراير ـ جريـدة الأهـالى ـ الى ترديـد خصوصية موقف المثقفين والمفكرين بعيدا عن السياسية ، سائلا عن مهمة المثقفين ٠

« ـ أليس تكشف آثار هذه الخصوصية مهمة « المثقفين » و « المفكرين » من الجانبين « لا ان ينهضوا – بديلا عن المتفاوضين ـ بمهام التفاوض والبحث عن نقاط اتفاق شأنها حجب وطمس نقاط الخلاف الأساسية فى الصراع ٠٠ كيف يكون هناك تحالف عربى / اسرائيلى وقضية القدس مازالت غير محلولة البتة ؟ أو حول انفراد اسرائيل بامتلاك ترسانة نووية على اتساع منطقة الشرق الأوسط ؟

أو حول استمرار تعويق عودة الفلسطينيين الى ديارهم بينما الهجرة اليهودية الى اسرائيل متدفقة » ·

ان هذا الخلط بين الثقافى والسياسى نظر اليه صلاح الدين حافظ برؤية آخرى ، ففى رأيه ان هؤلاء المثقفين تركوا بأدوات شعبية وبأسماء غير حكومية من حيث المظهر على الأقل وتحت شعار تحالف بين العرب واسرائيل فانهم بأدروا الى وسيلة تجعلهم يمارسون التطبيع مع العدو الصهيونى ·

يفصل صلاح الدين حافظ موقفهم بقوله فى الأهرام ١٩٩٧/٢/٥ فالجديد « ان هؤلاء الذين ينتمون كما يقولون الى « المثقفين العرب والاسرائيليين » بادروا الى نوع التطبيع الطوعى بينما معظم جبهة المثقفين العرب أساسا تقف بصلابه رافضة التطبيع مادامت العربية الحقوق العربية ناقصة ومادام السلام الاسرائيلى مع كل من سوريا ولبنان وفلسطين يتعرض للمناورات والابتزاز والضغط ومادامت القدس حبيسة فى الأسر اليهودى ·· » الى آخر هذه التجاوزات التى تقوم بها اسرائيل فى حين يقوم وفد سياسى ومخابراتى من عندها بالجلوس باسم المثقفين مع مثقفين عرب ليقيموا تحالفا من أجل السلام المزعوم وتآلفا شعبيا لم يخولهم أحد اياه ·

وهذا الفصل بين السياسى والثقافى يمثل أغلب عناصر الخطاب المقاوم على مستوى الوطن العربى كله ·

ان محمد خالد الأزعر ـ على سبيل المثال ـ يتحدث طويلا عن دور المثقف الملتزم بفكر واع ، فيقول فى (الحياة) ٨ فبراير الفقرة التالية :

« ــ فاذا كان السـياسى ملزما ــ أو مسوقـا ــ الى دفـع استحقاقـات تفوق ما يمكن وصـفه بالانجازات ، فما الذى على المثقف ان يفعله • هل دوره ان يبرر ؟ هل ينبغى عليه أن يقول لا •• ؟ ثم يختـفى بضمير مسـتتر أو قلق : فماذا عن المثقف الضالع حتى أذنيه فى العملية السياسية التى يتطوع بمباركتها والتأمين على مخرجاتها ؟ هل يتعين على الثقافى عموما ان يسائل السياسى تأسيسا على ثوابت الحكم • أم أن الأمر يحتاج معادلة تلقى على السـياسى أن يتعاطى مع اليومى المستجد الخاضـع لضغوط حقيقية أو موهومة » •

على أن بعض المثقفين الواعين يلاحظ مدى ارتباط مثقف هذا التحالف السياسي ، وعلى سبيل المثال ، يقول أحمد أبو الفتح فى الشرق الأوسط ٩ فبراير ما يلى :

« ــ ان الكتاب الذين حضروا من مصر ذلك المؤتمر ان بعضهم تربطهم بالحزب الوطنى الحاكم فى مصر علاقات وثيقة والبعض الآخر ممن يلبسون رداء الاشتراكية مع وجود شبهات قوية ان من بين هؤلاء الاشتراكيين من يرتبطون بعـلاقات غير معلنـة بالسياسة الأمريكية » •

وعلى هذا النحو ، فان رصد (خطاب) المثقف العربى المقاوم يؤكد على الدور الذى يجب أن يرتبط به المثقف ، فلا يجب أن يكون براجماتيا أو مرتبطا بالسياسة ارتباطا خالصا بل يتمسك برؤاه الخاصة التى تستمد من وعيه الثقافى فى المقام الأول •

وسـوف نلاحظ أن عددا كبيرا من هؤلاء المثقفين يبذلون هذا الرأى ويرددونه أكثر من مرة ، يشترك فى هذا ضياء رشوان فى

الحياة ١٩٩٧/٢/٧ أو محمود الريماوى فى ١٩٩٧/٢/١٠ أو جميل مطر ١٩٩٧/٢/١٤ أو السيد يسين فى أهرام ٢٠ فبراير أو راغدة درغام فى الحياة ١٩٩٧/٢/٢٨ أو سليمان فياض فى أخبار الأدب ١٩٩٧/٢/٢٣ أو عبـــد العليـم محمد فى ١٩٩٧/٢/٢٥ ، وهو ما يتردد فى الشهور التالية مع أسماء واعية كثيرة منها عبد الاله بلقريز أو محمد السيد سليم أو محمود أمين العالم أو على عقلة عرسان أو سعد الدين وهبة أو ايليا حريق أو محى الدين اللاذقانى أو غالية قبانى أو محمد سكران أو صلاح عز أو جلال أمين أو ماجد كيالى أو سيد خميس ٠

وهو ما ترد فى كل بيانات المثقفين على مستوى المؤسسات الثقافية أو الروابط أو الاتحادات ٠٠ الى غير ذلك من التجمعات التى رأت أن التحالف مع اسرائيــل لا يجب أن يتم بين مثقفين عرب ونظرائهم من العملاء الاسرائيليين، والا فقدوا صفاتهم كمثقفين لهم أدوارهم التى لا يجب أن يتخلوا عنها ٠

ويلاحظ هنا ان توجهات المثقف الواعى ، المقاوم ، لم تقتصر على نفى التحالف بين مثقفين عرب واسرائيليين انطلاقا من دور المثقف ، فقط ، وانما تعرض منهم عدد غير قليل الى هذا المثقف الذى خدع (صلاح عز أهرام ١٩٩٧/٥/١٤) ، والمثقف الذى يخرج من كتيبة المثقفين لانه قام بدور ليس بدوره كما أكد ادوارد سعيد فى مقدمة مقالته بالحياة ١٩٧٧/٥/٧ وهذا النوع الأخير الذى لم يلتفت كثيرا الى المستقبل وهو ما يجب أن نتمهل عنده أكثر ٠

٢ ـ اسئله التمثيل :

كانت أهم قضية انارتها وثيقة كوبنهاجن هى قضية التمثيل أو التفويض ٠

وهى قضية أثيرت كثيرا على شكل اسئله تجيب عن نفسها بنفسها دون الحاجة المحاولة الاقتراب من اجابة واحدة لها ٠

ان مراجعة نص الوثيقه ترينا ان الجانب العربى لا يتصور وجوده على آنه يمثل (قاعدة شعبية) ، وهم يتحدثون بصفه الجمع فتتردد في الوثيقة عبارات من مثل (اننا مقتنعون اننا نعكس ارادة أغلبية شعوب المنطقة) و (٠٠ لذا فاننا ـ نحن الشعوب) ، والملاحظة الهامة هي اننا نلاحظ تكرار ضمير الجمع التمثيلى بشكل لافت (اجتمعنا / اننا / اننا / اننا / اننا ٠٠) وهو ما يشير الى اقتناعهم بأن هذا التمثيل يمثل جميع فئات الشعب وخاصة المثقفين منهم ٠

والواقع ان أول مالفت انتباه المثقف المقاوم هذه النبرة التى طرحت سؤالا لا تضيف اجابته الى المجتمعين فى كوبنهاجن أية شرعية ، ان صلاح الدين حافظ بعد أن يستعرض أولئك المجتمعين يطرح هذا السؤال في الأيام الأولى بجريدة الأهرام ٥ فبراير ، على هذا النحو :

« ـ من يمثل هؤلاء ؟ هل يمثلون حكومة أو هيئة أو حزبا أو تنظيما نقابيا أو شعبيا ، بصراحة ورغم الاحترام الكامل لأشخاصهم ما هى صفتهم التمثيلية ، التى بها وقعوا على مثل هذه الوثيقة الخارقة لحصار التطبيع والمثيرة للرأى العام المؤدية حتما الى اضعاف المفاوض العربى ؟

ويصل من سؤاله المجيب عنه سلفا الى اجابة أكثر واقعية ٠

ان هذا التكوين من تحالف عربى ـ اسرائيلى « يحاول اخذ صفه الشعبية تارة وتلتصق بالمثقفين تارة أخرى لكى يجهض سلاح المقاطعة ويكسر حصار مقاومة التطبيع الشعبى مع اسرائيل باسم الواقعية والعقلانيـة » ، كما انهم « أعطوا لأنفسهم طبقا لبيانهم السياسى ـ وثيقة التحالف ـ صفة تمثيلية مطلقة لا يزعمها لنفسه حاكم أو حزب أو نقابة ٠٠ (و) ٠٠ فمن حقا الذى أعطاهم هذا الحق كله ، ومن فوضهم فى الاتفاق على وثيقة أعدت سرا ، وتكوين تحالف وتنفيذ برنامج عمل غامض ، لم يقرأه أحد غيرهم ، ولم يناقشه أحد ، ولم يعرفها الرأى العام الا بعد توقيعه » ، وبهذا ينتفى تمثيلهم لآية فئة داخل البلاد ٠

ويذهب محمد سيد أحمد الى أبعد من ذلك ، فما كتبه فى الأهـالى ٥ فبراير يشير الى أن تأسيس مثـل هذا التحالف الذى يوصف بأنه « عربى ـ اسرائيلى » وصف يرضى ال « سى ان ان » وغيرها من شبكات الاعلام الأمريكية والغربية ولكن ـ وهنا تبـدأ الأسئلة ٠

« ـ هل بوسع هؤلاء « المتحالفين » ادعاء انهم يمثلون الغالبية العظمى لجماهير الشعوب العربية ؟ هل للشركاء فى اللقاء أية صفة تمثيلية فى العالم العربى ، كى يطرحوا أنفسهم « كرواد » أو « طليعة » فى العملية السلمية ، هل تشاوروا مع أى قطاع من الرأى العام العربى قبل اقدامهم على تحالف مع الاسرائيليين ؟ هل أجروا حوارات مع المثقفين العرب قبل توقيعهم بيان « التحالف » أم ان شأن هذا « التحالف » فى غياب هذه المقدمات الضرورية ، هو احداث ارتباك واسع ، وردود أفعال عكسية » ٠

ويرى حازم صاغية ـ الحياة ٨ فبراير ـ ان هذا التمثيل يغلب عليه صفة الوجاهة لا الواقع فالواضح كما يقول :

« ـ ان هذا الزعم التمثيلى المعروف فى الوجهاء أقوى من النزعة الثقافية الفردية للمثقفين ، لكن المخيف انه أقوى حتى فى المثقفين أنفسهم ، بما فيهم مثقفو السلام المشدودة اعينهم وعقولهم الى الشرفات الامبراطورية التصفيق الحماسى لا الى دور بسيط لكنه صعب ، ومتواضع ولكنه مؤثر على المدى البعيد » .

ويردد عدد كبير من المثقفين الواعين هذه الأسئلة ، ففى محطة الـ ART راح عدد كبير من المثقفين الواعين يواجهون أولئك التمثيليين ، فبعد أن تركت لهم الفرصة ليتحدثوا طويلا عبر الأثير ، راح يخرج سعد الدين وهبة من جعبته بعض الأسئلة :

« ـ ما هى قدرة وثيقة كوبنهاجن على تنفيذ ما جاء بها، خاصة ان الموقعين عليها مجموعة من المثقفين العرب والاسرائيليين لا يمثلون حزبا ولا حكومة ولا نقابة ولا هيئة ولا يملكون أى تفويض ؟

فما هى عناصر القوة التى يملكونها لمراقبة عمليات الاستيطان ناهيك عن منع بنائها وليس هناك أية عناصر قوة تجعل ما جاء فى وثيقة كوبنهاجن قابلا للتنفيذ ؟ » .

وتتوالى الأسئلة التى لا تجد اجابة واحدة من المتحدثين على الهواء :

• ـ هل ستحل مجموعة من المثقفين محل المفاوض الرسمى ؟

وهل من وظيفة المثقف أن يفاوض ؟!

ويعود محمد سيد أحمد للاسهام أكثر فى اجابة لهذه التساؤلات ، وأهميته تعود الى انه كان أحد المشاركين فى بداية العملية بشكل ما ، يقول محمد سيد أحمد :

« ـ وبما أن ٩٩٪ من المثقفين العرب يقاطعون اسرائيل مقاطعة كاملة ، فمن غير الطبيعى أن يطلق على هذا الاجتماع لفظ التحالف الشعبى واعتقد ان استخدام هذا التعبير يستهدف لى الذراع ، انطلاقا من أن هذه الكلمة مرغوبة فى الاعلام الدولى السى ان ان واستخدام كلمة التحالف ما هى الا عملية اعلامية مشوهة للحقائق الموجودة بالفعل على أرض الواقع » •

وينطلق محمد سيد أحمد من هذا الفهم مؤكدا ان ذلك ليس هو دور المثقف بأية حال ، فهو يشترط فى أن يلعب دوره ، ايثار العلانية ، وليس للمثقف أن يزعم انه يمثل أحدا، فما هى مسئولية المثقف اذن ؟

هنا يضيف « ـ مسئولية المثقف هى ازاء المنطق الذى يسوقه للناس وعليها هى ان تحكم على هذا المنطق ، وهو هنا لا يمثل الا شخصه الا اذا كان هناك يمثل الدولة فهذا شىء آخر » •

أما عبد العظيم أنيس فيحث الخطأ أكثر نحو هذه الأسئلة البدهية ، فبينما يقول لطفى الخولى على هذه القناة انه يمثل نفسه

فقط تأتي الوثيقة لتقول (نحن الشعوب) ثم « وصف الاجتماع بأنه اجتماع شعبى ودولى بينما هم لا يمثلون لا الشعب ولا المثقفين المصريين من قريب أو بعيد » ٠

ويضرب أمثلة مثيرة ، يتوقف فيها عند وفد الأردن ، فيقول د٠ أنيس ان الدليل على جو التزييف وعدم الشفافية هو :

« أن يصف الوفد الأردنى بأنه شعبى ، مع انه وفد حكومى يضم رئيس الديوان الملكى مرورا بقائد السلاح الأردنى السابق ، انتهاء بوزراء سابقين ، وهذا لا يمثل الشعب الأردنى » ٠

وحين يحاول أحد المشاركين فى الوفد أن يدافع عن نفسه ، يقول سعد الدين وهبة بوضوح أكثر :

« ــ ان ما حدث هو محاولة لاختراق موقف المثقفين المصريين من التطبيع ، مؤتمر كوبنهاجن هو عملية تطبيع لأنه من المعروف ان جزءا كبيرا من الاخوة الذين تحملوا تبعات هذا العمل يدافعون عن التطبيع ولن يكون من رأيه الدعوة الى للتطبيع لا يستطيع اطلاقا أن يقول نحن الشعب ولا يحق له الكلام باسم الشعب العربى ٠٠ » ٠

وحين يجىء دور أحمد حمروش فانه يقول بوضوح مباشر « ان المشاركين من الأردن ومصر يمثلون أنفسهم فقط ولا يمثلون تنظيمات شعبية أو أحزاب سياسية ٠٠ بل ان بعض المشاركين قد أصدرت أحزابهم وتجمعاتهم بيانات مضادة لما يقومون به » وهو ما يستطرد فيه كثير فى جريدة الحياة فى ١١ فبراير ٠

غير ان السيد ياسين يكون أكثر وضوحا حين يقول فى أهرام ٢٠ فبراير « ان المزاعم الصارخة التى وردت فى البيان والتى ادعت ان هؤلاء الأفراد من ممثلى الدول المختلفة ، انما يمثلون غالبية الشعوب فى المنطقة ، لا أساس لها من الصحة ودليلنا على ذلك النقد العنيف الذى وجه لأصحاب هذه المبادرة وخروجهم على الاجماع بدون مبرر أو مقتضى » ٠

ويعيد هذا الى نتائج أقلها ما يشير اليـــه ضـمنا من تنازلات عربية لاسرائيل وخصوصا لقضية القدس ، فضلا عن ان هذا البيان لم يتضمن آية اشـارة لازالة المستوطنات الاسرائيلية من الأراضى الفلسطينية المحتلة ، والتى أقيمت ضد الشرعية الدولية ، كما ان ذلك يطوى تسرعا لا مبرر له ٠

ويتوقف ضياء رشوان ـ أهرام ٢٥ فبراير ـ عند هذا الزعم فيرى ان هذا التمثيل ليس غير زيف « فالشعب المصرى الذى ينطقون باسم غالبيته العظمى لايكاد يعرف من أسماء وصفات أعضاء الوفد المصرى الى كوبنهاجن ـ الثمانية أو التسعة فى بعض الروايات ـ غير شخصين أو ثلاثة على أقصى تقدير ٠

وتتكرر أسئلة التمثيل وزيفهـــا لدى عـدد كبير من المثقفين المصريين والعرب ، فنسمع رفض محمـــود أمين العـــالم وفاروق أبو عيسى وعلى عقلة عرســـان وفتحية العســـال وشوقى خالد ـ أخبار الخليج ١٧ مارس ـ وأســـامة الغزالى حـرب وعبد الرحمن الأبنودى وشكرى عياد ويتكرر الموقف من الرفض لدى عدد كبير منهم محمد سيد أحمد والسيد يسين وصلاح الدين حافظ فى أكثر من صحيفة أو مجلة أو قناة فضائية أو ندوة ٠٠ الخ ٠

غير ان سعد الدين ابراهيم ـ الذى يعـرف بموقفـــه المؤيد لكوبنهاجن ـ يسلم بأن الذيـن ذهبـــوا الى كوبنهاجن لا يمثلون الشعب ، لكنه يضيف أن الجميع لا يتحدث باسم الشعب ، ويرى بالتجديد « ان الكل يتحدث باسم الشعب لفروض وصايتـــه على الآخر الذى لايمثل الشعب ·· ولم يسأل أى منهما الشعب (الأهالى العدد ٨٠٧ ـ غير ان رأى سعد الدين ابراهيم هنا يظل محسوبا على من ذهـب الى كوبنهـــاجن ، يتحدث بلسانهم ويحارب بسيفهم فى نهاية الأمر ·

والواقع يؤكد ان من ذهب الى كوبنهاجن يريد ـ فضلا عن الوجاهة والنرجسية ـ لايمثل الا نفسه ، وأحلامه الخاصة التى تشتجر أو تنفصل عن الجهـــات الأخـــرى ، لكنها فى نهاية الأمر لاتختلف كثيرا عن (المخطط) الذى يضع للمنطقة العربية لاختراق الجبهة العربية بمسميات شتى ومواقف كثيرة ·

ان رموز كوبنهاجن يريدون الاستحواذ على الحاضر وتمثيله ليكون لهم ـ هم والمتحالفون معهم ـ المستقبل ، مستقبل التحالف ليس مع الغرب الصهيونى أو الأمريكى ، وانما أيضـــا مع الذات النرجســـية التى تريد ان تكون وحـدها هى الممثلة عن الشعب ، ووحدها صاحبة الجاه والمال والأعمال أيضا كيف يتم ذلك ، يكون بالتحالف الداخلى ·

انها الطبقة الجديدة التى تتشكل الآن فى مصر ·

وهو ما نتوقف عنده ـ هنيهة ـ قبـــل ان نفـــرغ أكثر الى تداعياته فى المستقبل ·

٣ ـ تحالف رجال الأعمال

ان مراجعة أسماء من حضر اجتماعات التحالف أو اشترك فيه من بعد أو (وقع) عليه بالفعل فى نهاية يناير ·· يشير الى ان عددا ليس بالقليل منهم ينتمون بشكل ما الى رجال الأعمال (٥) ·

ولم يكن هذا الانتمـــاء وليد الفترة المعاصرة لهذا التحالف ، وانما كان يعود الى فترة بعيدة ، حين اكتشف المثقفون ان تحالفهم مع رجال الأعمال انما يوفر لهم مصداقية العمل فى عالم تستحوذ فيه آلة الاقتصاد على مساحات شاسعة فى هذا العالم ، وهذا الكشف بدا أكثر ورودا فى الواقع المصرى منذ السبعينات ، لكنـه اكتشف طريقه ومصالحه أكثر فى اتجاهين : السياسية والمثقفين ·

ومن هنا ، فان فهم خلفية هذا التحالف لايمكن ان تتم دون فهم خلفية هذا الثالوث فى التأثير على الواقع العربى ليس من الداخل فقط ، وانما من الخارج أيضا ·

كان العالم كله قد تغير ، وكان الواقع الداخلى أيضا قد تغير ·

وكان العالم الجديد يقوم ـ فى الجانب الاسرائيلى ـ على فهـم دور الاقتصاد فى عالم (شرق أوسطى جديد ، تقوم فيه اسرائيل بدور الريادة ، بينما تستطيع ان تسيطر على العـــالم العـــربى بمنظومة جديدة تبلورت أكثر من مشروع بيريز الذى تبلور فى كتابه (الشرق الأوسط الجديد) وفيه وجد رجال الأعمال ـ فى جميع الأطراف ـ مكانة لهم فى هذه المنظومة التى عقدت لها المؤتمرات ، وأثيرت من أجلها القضايا ، وشدت لها التحالفات وقد كان (تحالف كوبنهاجن) أهم صورها الآن ·

ويمكن أن نعود بأول الخط من السبعينات • لكن خط الاتصال بين السبعينات والتسعينات لابد ان يمر ، ويتوقف طويلا ، عنـــد كوبنهاجن ، ويمكننا ان نرصد حركة هذا الخط ـ تحديدا ـ في الاجتماع الثاني من هذه اللقاءات التي كانت تتم تحت هذا الاسم (التحالف الدولي من أجل السلام) ، وكانت هذه المرحلة تحديدا قد بدأت في فبراير من عـــام ١٩٩٦ تحت رعاية الخارجيـــــة الدينامركية ـ بدعوة من بونديك ـ في لويزايانا التي تبعد قرابة أربعين كيلو مترا عن كوبنهاجن وحضره مع لطفي الخولي ود • محمد السيد سعيد نائب مدير مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام والدكتور أبراهيم كامل (وهو أحد أهم رجال الأعمال) فضلا عن الأسماء الأخرى من رجال الأعمـــال في الأطراف الأخرى التي تتخفى أو لا تتخفى وراء مهن أو صفات أخرى (٦) •

وفي نهاية العام ـ نوفمبر ١٩٩٦ جرى لقاء ثالث في السفارة الدانماركية بالقاهرة ، ويرى بلال الحسن ان أهم تطور كان لافتـا للنظر في هذا الاجتماع مشاركة رجـال اقتصاد اذ يبدو الاتفاق على حضور رجل أعمال اسرائيلي على ان يحضر بالمقابل رجل أعمـــال مصري ، ووافق المصريون على هذا ـ اذ يبدو ان الاقتراح جاء من الدانماركيين وعميدهم اليهودي بونديك ، وبالفعل تكرر حضـــور رجل أعمال اقتصـادي الى جانب رجـــل أعمـــال مصري وهو ابراهيم كامل (٧) •

وفي جميع اللقاءات لم يكن من الصعب ان نلاحظ ان الوفود كانت ترتبط برجال الأعمال فمن مصر ـ كما رأينا ـ كان هناك رجل الأعمال المعروف ابراهيـــم كامل (رئيس المجلس الرئاسي المصري الأمريكي وأحمـــد شوقي (وكيل شركة المحاســـبة الأمريكيـــة آرثر أندرسون) •

ومن اسرائيل وكان أكثر من لعب أدوارا نشطة في قناة أوسلو السرية ثم التمهيد لهذا التحالف كل من الكاتب يائير هيرشفيلد ورون بونديك وهما يرأسان مؤسسة تسمى (مؤسسة العمليات الاقتصادية) فضلا عن رجال الاقتصاد الذين كانوا يستدعون على الجانب الاسرائيلي من آن لآخر .

ومن الدانمارك كان مهندس هذا التحالف هررت بونديك الصحفي الدانمركي العجوز - يهودي الأصل - ورئيس تحرير مجلة « بوليتكن » ، فابن هذا الرجل - كما لاحظ البعض مدير مؤسسة العمليات الاقتصادية في اسرائيل وهو المحرك الحقيقي للعملية .

وعلى هذا النحو ، نستطيع التأكد رويدا رويدا على هذه العلاقة الوثيقة بين المثقفين ورجال الأعمال ، حتى اننا نصل الى ثمرة هذا حين نقرأ في احدى مجلات المجتمع المدني « ان الأطراف الأكثر تهيئا لتطبيع العلاقات مع اسرائيل هي دوائر المال والأعمال العربية ، الطامعة في ارساء أسس مصالح مشتركة ، من خلال سوق شرق أوسطية » (٨) .

والمعروف ان هذه المجلة - والمسئول عنها د . سعد الدين ابراهيم - كان أكثر المؤيدين لكوبنهاجن .

وقد لاحظ صلاح الدين حافظ - الأهرام ٥ فبراير - ان فكرة بيريز الجوهرية محاولة ادماج اسرائيل في كيان المنطقة العربية في ظل مسيرة السلام بعد فشل الحرب في ذلك ، والتوسل في هذا بالاقتصاد .. هذه الفكرة كانت النواة لاستقطاب « بعض المثقفين والسياسيين ورجال الأعمال العرب جنبا الى جنب مع بعض قدامى الاشتراكيين و .. » .

ــ كما ان جميل مطر لاحظ في جريدة الحياة ١٤ فبراير كيف ان خطة بيريز خاصة فى آخر أيامه فى حزب العمل كانت تركز على الجانب الاقتصادى لتفرضه فرضا على الجانب العربى كما فرضت نفسها المستوطنات وتهويد القدس والتفوق العسكرى والاحتكار النووى ، يقول جميل مطر « ولم يكن ليحدث هذا لولا نجاح الاسرائيليين فى استدراج رجال أعمال كأفراد وفى عرض حوافز كان الأخيرون يتنافسون للحصول عليها • فلما كان معروفا ان لكل رجل عظيم فى قطاع الأعمال والمال جزءا من الدولة التى ينتمى اليها ، يحميه ويحتمى به ويموله ويتمول منه ، وان فى هذا الجزء من الدولة مسئولين ومفكرين ومستشارين وسينمائيين وصحافيين بات هذا الاستدراج واثارة المنافسة بين رجال الأعمال العرب هدف التركيز فى الحملة التطبيعية الجديدة » •

والتأمل فى ظاهرة رجال الأعمال وتحالفهم مع المثقفين (ودخولهم فى علاقات غير محددة حتى الآن مع السياسيين) تثير أسئلة كثيرة ، يمثل دورهم فى (كوبنهاجن) أهم هذه الأسئلة وأخطرها يأتى فى مقدمة هؤلاء رجل الأعمال ابراهيم كامل (تردد اسمه فى كوبنهاجن وان زعم انه لم يذهب الى كوبنهاجن ، غير ان هذا لا يغير من الأمر فى شىء) •

انه لم يكتف بارتباطات اقتصادية له فى اسرائيل بل بادر معلنا ــ دون تردد ــ بأنه وقع عقد شراء حصة فى احدى الشركات الاسرائيلية الكبرى (شركة كور) ، الأكثر من هذا انه سعى للسيطرة بالاقتصاد على المناهضين للتطبيع من المثقفين خاصة ، فمن المعروف انه أصبح شريكا فى صحيفة تطبع فى مصر ، الهدف الأول منها الدفاع عن الكوبنهاجيين والتشبث بالتعاون مع الصهاينة (٩) •

ويؤكد سليمان فياض أحد القليلين الذين عملوا الى جانب

لطفي الخولى ان ثمة علاقة وثيقة قديمة بين لطفي الخولى ومحمـــد ابراهيم كامل ، فيذكر انه يتردد — على سبيل المثال — ان رجـــل الأعمال أنفق حوالى ٣٠٠ ألف جنيه لتأسيس مقر اتحاد آسيا وأفريقيا ثم لتحويله بعد سقوط الاتحاد السوفيتى لأحد المتاحف ، سرعان ما أكمل عمله رجل أعمال آخر ٠

الأكثر من هذا ان هذه الشهادة التى تؤكد ان « لطفى الخولى على صلة بعدد من رجال الأعمال الذين لهم مصالح مقبلة فيما يخطط له من تعاون اقتصادى عربى اسرائيل فيما لو تم احـــلال ما يســمى بالسلام العادل والشامل وهناك جناح من رجال الأعمال يريد ان يتم هذا التعاون بسرعة شديدة ودون النظر لعواقب الأمور » (١٠) ٠

ويلاحظ ان رحلة نيتانيـاهو الى القاهرة (بين ٩ — ١ مارس) اقترنت بطلب رئيس الوزراء الاسرائيلى بضرورة عقد اجتماعين ، أحدهما مع المثقفين المصريين (هم هنا أقرب الى رجال الأعمال) ، ثم مع رجال الأعمال لادراكه العميق بأهمية هذه الفئة الأخيرة فى التأثير فى المثقف ، دعك من السياسى ٠

ومازال ملف العلاقة بين المثقف ورجل الأعمال يحمل كثيرا من الأوراق السرية التى تكشف عن كثير من التحالفات تحت اســم (تحالفات السلام الشعبية) فى حين انها لاتزيـد على تحالفــات المصالح التى تتبلور رويدا رويدا مع نهاية هذا القرن ٠

ومراجعة صحف هذه الفترة ترينا ان هذا التغير فى خريطة الواقع فى المنطقة العربية لم تخف على كثير من الكتاب والمحللين ممن مثلوا بخطابهم المقاوم رأس السهم ضـــد الهجمة الصهيونيـة ، اذ تردد اشارات كثيرة الى انحراف المثقفين المصريين الى « البيزنس »

او احترافهم لعبة الصناديق ، وهو ان دل على شيء ، فانما يدل على فساد عدد من المثقفين فى تحالفهم مع رجال الأعمال (١٦) .

وهذه كانت أهم عناصر الخطاب المثقف المقاوم لمواجهة القوى المضادة للنضال العربى .

وهى التى كانت ـ مع غيرها ـ ترسم آفاقا مشرقة للمستقبل .

٥ ـ المثقف والمستقبل

لايمكن التنبه الى المستقبل فى غياب الماضى بأية حال ، فبدون الاهتمام بتاريخ الصراع العربى الاسرائيلى وفهمه جيدا لايمكن ان نفهم الخصم الذى أمامنا ، وبدون فهم (استراتيجية) الحضـــور الصهيونى المعاصر ، لايمكننا من فهم هذا الخصم بأية حال .

ومن الغريب اننا بعد مضى قرن من الزمان على مؤتمر هرتزل (١٨٩٧ ـ ١٩٩٧) والتأكيد فيه بقيام الدولة الصهيونية مازلنا نتعامل مع العدو وكأنه لا تاريخ له ، فاذا قطعنـــا هذا القرن بكل ماشهده من قيام الدولة الصهيونية ١٩٤٨ والحروب التى شـــنتها أمامنا كل هذه الحقب ، لراعنا ان الفكرة الصهيونية والتوسع فى الأرض يظل أكثر ما تحرص عليه الحكومات الصهيونية المتواليـة ، ولدينا ـ أقرب مثال ـ وثيقتى أطلق عليهما :

ـ وثيقة بيلين ايتان ـ وثيقة أبو مازن ـ بيلين .

وهما يكشفان على أقصى ما يريده الصهيونى سواء الذى يرتدى الزى العسكرى أو الذى يرتدى الزى المفاوض ، فالمرجعية الصهيونية أساس التحرك الأول لديهم (١٢) وهو مالاحظه محمد سيد أحمد ـ

الأهرام ٢٢ مايو ١٩٩٧ ـ حين رأى ان مرجعية المفاوض الاسرائيلي هي الصهيونية ·

واشارة سيد أحمد هنا لتأكيد توجه يوسى بيلين المرشح لأمانة حزب العمل الاسرائيلي ، اذ نظر اليه عندنا على انه يسار « بيريز » كما يظهر بشكل أكثر مرونة ـ على العكس من تحالفاته واتفاقاته الداخلية ـ فتحركاته في المرحلة الأخيرة « ذات دلالة في التعبير على عموم توجهات السياسة الاسرائيلية في المستقبل » ·

وعلى هذا النحو ، فان المستقبل الاسرائيلي يجب النظر اليه من المرجعية الصهيونية ·

وهذه حقيقة تحاول وثيقة (كوبنهاجن) اغفالها ، ومراجعة بنود ومراحل هذه الوثيقة تضع بين أيدينا على الخدعة الصهيونية سواء تعلق الأمر بقضية فلسطين أو قضية المستوطنات أو القدس أو استنكار (الارهاب) أو العنف أو أسلحة الدمار أو التحدث عن اقامة علاقات طبيعية ، لنقرأ ـ على سبيل المثال ـ هذا البند الثالث في الاتفاقية ، وهو يحث كل القوى في الشرق الأوسط ان :

« تتكاتف من أجل اعادة بناء منطقة خالية من سباق التسلح وخالية من التشاحن والفقر ومن أجل تحقيق هذا المسعى النبيل فاننا سوف نغتنم كل فرصة ونطرق كل باب ، ونضغط على كل حكومة ، ونحاول نشر رؤانا من أجل مصالح أجيال الحاضر والمستقبل ·· (و) ··· وأعضاء التحالف يتعهدون بالتضامن من أجل بذل الجهود للوقوف في وجه أعداء السلام » (١٣) ·

وهو مايجعلنا نتساءل :

- من يبذل أقصى جهد فى التسلح ، خاصـــة التسلح النووى ؟

- من يخلق الشاحن المحتل أم المحتلة أرضه المسحوق ؟
- من هى الحكومة التى يجب الضغط عليها الآن ؟
- من الذى يتحدث عن المستقبل فى وجـــود مرجعيـــة صهيونية ؟
- ثم من هم أعداء السلام ؟

وهنا نستطيع ان نسجل موقف وعى المثقف العـــــربى ازاء المستقبل ٠

ان هذا الوعى يظهر فى كتاباته فى الصحف أو قنوات الاتصال المرئية او المسموعة - أولا ثم فى البيانات والاتحادات التى أخذت موقف المثقف الذى يعبر - بحق عن الشعوب - ثانيا فعلى المستوى الأول ، نستطيع ان نرصد مواقف ، كثيرة للمثقف العربى فى تعامله مع مفردات هذه الوثيقة ٠

وهو ما لمسناه لدى كل المثقفين المقـاومين ، وســـوف نكتفى هنا باثنين :

أولا : المثقف بتعبيره المباشر

ثانيا : البيانات والتجمعات

ان ادوارد سعيد يتنبه في عديد من كتاباته وخاصة في عدد الحياة (٧ مايو ١٩٧٧) الى غفلة مثقفي السلام (داخل التحالف وخارجه) فهم يمثلون شعوبا عربية لاتعرفهم ولم تدعهم لتتفاوض بالنيابة عنهم ، وهم يتعاونون مع جهـــات تظل المرجعية لهم هي المرجعية الصهيونية ، ان ادوار سعيد يسأل :

« هل تغيرت الظروف في اسرائيـل بما يكفي لتبرير للعرب وضع الآمال في عملية التحولات وبذل الجهـــد السياسي لاستثمارها ؟ الأدلة المتوافرة من التاريخ ، ومن السلوك السياسي الاسرائيلي ، بعيدة بشكل مثبط تماما عن اعطاء اجابات ايجابية عن هذه الأسئلة » .

انه يجد نفسه مندهشـــــا من قول بعض أولئك المثقفين ان الفلسطينيين أنفسهم يفكرون أكثر مما يجب في المظالم التي أحاقت بهم في الماضي ولا يلتفتون بما فيه الكفاية الى المستقبل ، ويضيف هنـــا :

« انهـم يتحـــدثون وكان من الممكن فصل الماضي عن المستقبل ، خصوصا عند التعامل مع خصم يقوم كل وجوده على تحقيق الوعد التوراتي وهو نمط من التفكير متجذر في الماضي بل متحجر فيه .. (و) .. واذا كان هذا نموذجا من التفكير المستقبلي يصبح لنا نبذة كنوع من الاختيـــال »

ويلاحظ مثقف آخر ، قريب من هذا ، ان وثيقـــة التحالف لاتنطلق من التاريخ أو ــ حتى الحاضر القريب ــ ومن ثم يقع أصحابها

صرعى الدعوة التى يدعون اليها ، وهى ضرورة التطبيع مع العدو أو على حد تعبير الوثيقة ، اعادة الحياة الطبيعية Normalhty

وهذه الدعـوة هنا ـ كما يلاحـظ محمد خالد الأزعر فى (الحياة) ٨ مارس ١٩٩٧ ·

« لا تهتم كثيرا بالعودة الى جذور الصراع ومسـببباته ومراحله الأولى ، بزعم ان ذلك ما يزكى الأحقاد ويصب على النيران زيتا ، وانه لاجدوى من نكأ جراح الماضى ونحن نتوجه الى المستقبل » ·

اليس هذا ـ كما يلاحظ الكاتب ـ أسـوأ وصفه للتصـدى للمستقبل ·

فاذا كان الصراع حالة مرضية ، فلا أقل من ان نتابع تاريخ المرض وتطور مراحله وأعراضه الجانبيـة ومظاهره بهدف استئصـاله ·

« اللهـم اذا كان المطلوب بعض المسكنـات والمهدئات والمدهش هوان تنحية تاريخ الصراع لا يتسق وطبيعة الطرح الصهيونى كنظرية وتطبيق » ·

ان هذا الزعم الخاطىء لأصحاب التحالف انما يلغى التاريخ ، ولا يتوقف عند الحاضر ومن ثم ، فانه يتجاهل المستقبل ·

اننا لايمكن ان نتحدث عن سـلام يقوم تحت قوى الاحتـلال والسياسة المسلحة فى اسرائيل والاعتداء على الأراضى العربية كل يوم وطرد أصحابها منها من آن لآخر ، وبناء مستوطنات بالقوة ،

كما لايمكن ان نتحدث عن مستقبل نعـــانى فيـه من قواعد الردع النووى ، ولايمكن ان نتحدث عن سلام ونيتاناهو لايتحدث الا عن نظريته الجديدة (الأمن مقابل السلام) محاولا لى أذرعتنـــا بعنف ونحن نتحدث عن تحالف شعبى أو دولى وعن مسميات كثيرة يحاول حفنه منا خداعنا بها ·

وهو ما أكده المثقفون عبر وسائل أخرى ، هى البيانات واللجان والجمعيات المناهضة لهذا الموقف الرخيص ·

والشيء الذى لايمكن اغفاله ان مقاومة هذه الأشكال المناقضة لحركة التاريخ شهدت معارضات كثيرة فيما سبق متمثلة ـ قبـــل كوبنهاجن ـ فى رفض اتفاقات الســـلام مع العدو الاسرائيـلى ، وبالتالى لمدى شرعية تلك الاتفاقات التى يحاول أصـــحابها اخضاعنا بهـــا ، وقد لمسنا المقاومة فى جمعيات (مقاومة التطبيع) ·

وقد لمسنا فى السنوات الماضية أشكالا كثيرة لهذه الجمعيات فى كثير من الأنشطة الوطنية على مستوى العالم العربى كله (١٤) ، غير اننا نلاحظ انه بعد الاعلان عن هذا (التحالف) ، فان ردود الفعل المضادة ضد أصحابه لم تتوقف ، وكانت تعمل ليل نهـــار لكشف هذه الخدعة التى يراد بها اختراق جبهة المثقفين ، وخداع الشعوب العربيـــة ·

ونستطيع ان نلاحظ عددا كبيرا من البيـــانات والتحالفـــات والاتحادات العربية ضد (تحالف كوبنهاجن) ، نستطيع ان نرصد منها هذه الجهات ·

ـ بيان المثقفين العـــرب

ـ بيان اتحاد الكتـــاب

- بيان رابطة المثقفين المصريين
- بيان اتحاد الفنانين المصريين
- بيان اتحاد الصحفيين العرب
- بيان حزب التجمع الوطنى اليسارى
- بيان الحزب العربى الديموقراطى الناصرى
- اللجنة العربية لمساندة المقاومة الاسلامية بلبنان
- بيان لجنة الحريات بنقابة المهن التمثيلية
- بيان الحزب الشيوعى المصرى
- بيان لجنة الدفاع عن الثقافة القومية بمصر

ومراجعة هذه البيانات تضع بين أيدينا الوعى الذى يتمتع به المثقف ازاء المستقبل ، وهو وعى كفيل بالتصدى لأشكال الاختراق الصهيوني للجبهة الوطنية ، خاصة ، حين تطلع علينا مثل هذا النص الذى يسمى (اعلان كوبنهاجن) ، ويتحالف أصحابه معا ــ زيفا أو كذبا ــ من أجل السلام العربى ــ الاسرائيلى ٠

انه وعى المثقف ضد البدهيات

هوامش الفصل الخامس

(★) من المفيد ونحن نشير هنا الى « الخطاب » Discour نلفت النظر الى اننا نستخدمه هنا بالمعنى الثقافى والاجتماعى لا اللغوى والأسلوبى (يلاحظ اننا استفدنا أيضا بالقراءة التحليلية) وهو ما يعنى اننا استفدنا فى المقام الأول بطروحات بنفست ثم بارت فى بعض مراحله ويأتى بعد ذلك كل من فوكو وباختين والى حد ما تودوروف ..

(★★) ربما كان أهم ما صدر فى هذا ، هذا الكتاب الذى صدر بالقاهرة بالانجليزية قبل عشرين عاما بعنوان (أين سقطت الأقنعة) للشاعر فوزى الأسمر ، ثم صدرت طبعته بالعربية بعد ذلك ونشر عن دار المعارف بعنوان (عربى فى اسرائيل) عام ١٩٧١ ، وقد سجل تجربته كمثقف عربى فى داخل اسرائيل أول أن يقوم بمحاولة التفاهم مع الاسرئيليين الذين ادعوا انهم من أنصار (السلام) .. الخ .

(١) انظر نص (تحالف كوبنهاجن) بالانجليزية فى نهاية البحث .

(٢) الوثيقة الأولى مثت اتفاقا بين بيلين وابى مازن والوثيقة الثانية مثلت اتفاقا آخر بين (بيلين – ايتان) بين حزبى العمل والليكود بين ممثلى هذين الحزبين ميخائيل ايتان ويوسى بيلين .

(٣) العودة الى تصريحات السيد عمرو موسى وزير الخارجية المصرى ، فى اليوم التالى مباشرة للاعلان عن البيان ، نرى أن أول بيان نشره الأهرام فى هذا الخصوص يقول فيه وزير الخارجية المصرى « يجب علينا تشجيع المعسكر المؤيد للسلام فى اسرائيل وما حدث فى كوبنهاجن من خطوة جيدة » ، ولم يلبث ان ربط هذا بمدى قبوله ، يضيف « انها ليست شعارات فاذا كان هناك تيار تيار قوى من أنصار السلام فى اسرائيل فان ذلك شىء جيد يجب تشجيعه (يمكن

العودة للبرقيات وكالات الانباء) فى ٣١ يناير ١٩٩٩٧ أى بعد يوم واحد على اعلان البيان ٠

(٤) يلاحظ أن هذه القضية ، الغـــاء المساحة بين المثقف والسياسى توقشت وعرضت للحوار فترة طويلة قبل اعلان كوبنهاجن ، انظر على ســبيل المثال صحف هذه الفترة ، وبوجه خاص ملف (المجتمع المدنى) يناير ١٩٩٦ ، العـدد ٦١ ، وقد شارك فى هذه الحوارات محمد سيد أحمد ولطفى الخولى وادوارد سعيد ٠٠ وغيرهم ٠

(٥) تشير مراجعة أسماء المشاركين أن القائمة الأخيرة التى كشف عنها حتى الآن تحتوى على (١٢) من مصر ، و (٧) من الأردن و (١٤) من فلسطين و (١٥) من اسرائيل ٠

(٦) نقلا عن (أوراق ملف) نقلت عنه جريدة الوسط اللندنية ، فى ١٩٩٧/٢/٣ ، العدد ٢٦٢ ٠

(٧) انظر الحياه ، السابق ، ١٩٩٦/٢/٧ (الجزء الأول) ، حقالة بلال الحسن) ٠

(٨) النظر مجلة (المجتمع المدنى) يناير ٩٧ ، العـدد ٦١ ٠

(٩) يتردد هذا فى عديد من الصحف العربية والأجنبية انظر على ســبيل المثال :

ـ البيان ، الخليجية ١٠ فبراير ١٩٩٧ ٠

ـ العربى ، المصرية ١٧ فبراير ١٩٩٧ ٠

ـ أخبار الأدب فى ٢٣ فبراير ١٩٩٧ ٠

(١٠) شهادة سليمان فياض ، أخبار الأدب ، السابق ٠

(١١) ربما كان أكثر هؤلاء فهما للواقع مثقف واع مثل غسان الامام الذى راح يكتب فى بابه فى جريدة (الشرق الأوسط) ـ أول مارس ١٩٩٧ ـ وتحت عنوان (لاعب الكرات) ، وقد يكون من المفيد أن نذكر هنا نهايته كلمته الساخرة . يقول :

ترسمل الماركسيون المصريون

فعادوا رأسمالية وطنية

دخل لطفى الماركسمالى نادى « البزنس »

فصفق لكل الصناديق

لصندوق اكرم عجة

لصندوق رفعت الأسد

لصندوق وفيق السعيد أو أكسفورد

لصندوق مدريد

لصندوق أوسلو

لصندوق الحكم الذاتي

وأفلس في صندوق كوبنهاجن

ومثقفو « البيزنس » يلعبون الشعوب بالصناديق

من صناديق التنمية

الى صناديق التطبيع

(١٢) يقول استهلال وثيقة بيلين - ايتان ما يلي :

« ان الهدف الرئيسي للصهيونية ، منذ نشأتها ، هو انشاء دولة دولة يهودية ذات سيادة في أرض اسرائيل · وفي عام ١٩٤٨ انشئت دولة اسرائيل، ولكن كان فقط في عالم ١٩٧٧ ان اعتراف بها أول دولة عربية مصر ووقعت معاهدة سلام معها » ·

(ويمكن في هذا العود الى مقالة محمد سيد أحمد في أهرام ٢٢ مايو ١٩٩٧ حين يقدم تحليلا وافيا ومحكما لهاتين الوثيقتين) ·

(١٣) انظر الوثيقة في الملحق ·

(١٤) على سبيل المثال فقط - لا الحصر - يمكننا أن نذكر :

- مجلس نقابة المهن التمثيلية بمصر ·
- نقابة الأطباء الأردنيين ·
- جمعية رجال الأعمال الأردنيين ·
- اتحاد المحامين العرب ·
- اتحاد الصحفيين العرب ·
- الاتحاد العام للكتاب والصحفيين العرب ·

ـ المؤتمر العام للمجلس الاعلى للشئون الاسلامية ٠
ـ منظمات حقوق الانسان القطرية والعربية ٠
ـ النقابات المصرية العمالية والمهنية ٠
ـ الاتحاد العام لنقابات العمال العرب ٠
ـ اتحاد الصيادلة العرب

فضلا عن عشرات من الندوات والتحالفات والمنظمات الجديدة وكلها تأخذ من سنوات مواقف حادة من التطبيع ، وترفض مثل هذا التطبيع الذى يراد منا ، بينما اسرائيل سادرة فى غيها ليس لها مرجعية غير الأفكار الصهيونية ، والسيطرة على مقدرات الوطن العربى ٠

ملاحـــق

- بيان كوبنهاجن
- النسخـــة المترجمـــة
- النسخـــة المنشـــورة
- ندوة (العولمة والثقافـــة)

THE LOUISIANA PROCESS

THE COPENHAGEN DECLARATION

INTERNATIONAL ALLIANCE FOR ARAB-ISRAELI PEACE

January 30, 1997.

Egyptians, Israelis, Jordanians, Palestinians and peace loving people from all over the World are gathered in Copenhagen to establish an international allian[illegible] for arab-israeli peace. Peace is too important to be left only to governments. [illegible] -to-people contacts are vital to the success of the peace efforts in the [illegible]. As long as the popular base remains weak, the peace process ma[illegible] a [illegible] gathering in Copenhagen to contribute to a comprehensive and las[illegible] to the Arab-Israeli conflict before the end of this century, and [illegible] an era of durable and just peace in which the whole Middle Ea[illegible] [illegible] stability, security and prosperity.

We are meeting under the auspices of the government of Denmark which [illegible] our inte[illegible] in bringing about a resolution to the Arab-Israeli conflict in all its [illegible] the absence of such resolution can only adv[illegible]rsely affect the interests of [illegible] international community.

[illegible] to hold public meetings, lobby governments, monitor pr[illegible] obstacles in the peace-process as well as discrimination [illegible] collecti[illegible] abuse of human rights and violence. We will mobilize public opinio[illegible] peace effort.

So much has been achieved in peace making between Arabs and Israelis, which ha[illegible] led to the Egyptian-Israeli disengagement in January 1974, the Syrian-Israeli disengagement agreement in May 1974, the Egyptian-Israeli disengagement agreement in September 1975, the Camp David Accords in September 1978, the Egyptian-Israeli peace treaty in March 1979, the Middle East Peace Process initiated in Madrid in October 1991, the Palestinian-Israeli Declaration of Principles in

should be based on equal and balanced rights for all. In addition to the implementation of resolutions 242 and 338, it is important to deal with the underlying causes of Middle East wars and conflicts and to suppo[illegible] the and Israelis to come to mutually acceptable terms.

We reaffirm our determination to promote peaceful coexistence, mutual respe[illegible] dignity and security among the peoples of a region that is free of all kinds of violence, and to pursue avenues for harmony and reconciliation that match the global transformations in the post-cold war era.

We need each other and we are determined to close ranks with all peace loving people to attain these objectives. In order to do that, the signatories to this [illegible]laration have agreed on the following:

I. The attainment of peace between the Israeli and Palestinian peoples will [illegible] the core problem of the Arab-Israeli conflict. We, the International Alliance Peace, call on concerned governments to act vigorously and speed up the fu[illegible] implementation of the Israeli-Palestinian agreements in letter and spirit faithfully and honestly, and particularly to restore full normality to and improvement of the lives of the Palestinians. We call on the Israeli gover[illegible] [illegible]d the Palestinian National Authority (PNA) to reach fair [illegible]reement on all [illegible]utstanding final status issues (Jerusalem, refugees, settlements, borders security and water) as soon as possible, certainly no later than May 5, 1999 stipulated in the Oslo Accords. Jerusalem, in particular, is a deeply sensitive and central issue to all parties. Special attention, therefore, should be paid to this issue in the final status negotiations to satisfy the requirements of all the parties. The final agreement between Israel and the PLO must allow the Palestinian people to exercise their right to self-determination, including statehood, in accordance with international laws upon reaching an agreed settlement on the final status between them. To create an atmosphere of amity [illegible] negotiations, no resort to violence or terrorism in any form should be accepted con[illegible]ned. To allay Palestinian fears, no new settlements sh[illegible] be built, and no Palestinian land, state or private will be expropriated.

September 1993, the Palestinian-Israeli Cairo agreement in May 1994, the Washington Declaration between Jordan and Israel in July 1994, the Jordanian-Israeli peace treaty in October 1994, the Palestinian-Israeli interim agreement in September 1995, and the Declaration of the Peace Makers summit in Sharm el-Shaikh in March 1996 and the recent Hebron agreement.

We are deeply concerned about the stalemate on the Israeli-Syrian, Israeli-Lebanese tracks, about possible deadlocks in the Israeli-Palestinian negotiations over the implementation of the interim agreement, and about the eruption of violence that has in the past led to the loss of Arab and Israeli lives.

We recognize that there is still a long way to go before the true vision of peace is translated into reality, that the hope for the attainment of comprehensive peace, leading to regional cooperation and a better life for all peoples of the Middle East may yet be dashed and that the peace process could yet be derailed with the shadow of war again engulfing the Middle East. Justice and equality are preconditions for peace.

We realize that we cannot afford to watch passively resurgent dangers or rise of new ones against the peace process. Peace is too precious and war too abhorrent for us to sit idly by while a deterioration takes place.

We are convinced that we reflect the will of the majority of the people of the region who yearn for an end to the Arab-Israeli conflict as a prelude to establishing peaceful regional cooperation, we voice the feelings prevalent among Arabs and Israelis that we, the people, must participate effectively in charting the course of the future of the Middle East by not allowing anti-peace forces to prevail.

We aim at the achievement of lasting and comprehensive peace based on the formula of land for peace, the implementation of U.N Security Council resolutions 242 and 338 in all their aspects.

We consider that the foundations for peace among the Arab and Israeli peoples

We members of the Alliance believe that comprehensive peace must be the true goal of all political efforts from within and outside the region. ... efforts must be made to reach a peaceful settlement between Israel and ... Israel and Lebanon based on the land-for-peace formula and on U.N. ... 242, 338 and 425. This settlement must include maximum mutual security ... parties as well as normal relations between them. Comprehensive peace ... allow for a region free from weapons of mass destruction and their delivery ... Middle East in which economic potentials are harnessed for the ... inhabitants, and steps should be taken to achieve these ...

... forces in the Middle East to join hands to rebuild a region ... free from strife and poverty. In this noble ... day, knock on every door, lobby every ... and our vision to serve the interests of present and ... guarantee success and continuity the members of ... efforts to stand up to the enemies of peace.

... to ensure sustainability of our drive for peace, a permanent ... for the Alliance will be established. Our slogan henceforth will ... the State of War end, let the State of Peace begin."

V. In ... vein, the founders of the Alliance invite regional and international groups and individuals concerned with the future of the region to ... declaration, join our movement and support actively its causes and goals.

VI. The founding members of the International Alliance for Arab-Israeli ... extend their deep appreciation and gratitude to the people and government ... for the sincere efforts and generous hospitality, which have ... instrumental in materializing our cause.

Palestinians veto Beilin-Eitan document

Palestinians dismiss the Beilin-Eitan document on Palestinian final status as an internal Israeli issue, reports **Sherine Bahaa**

Israel's ruling Likud and the opposition Labour Party announced, two weeks ago, that they had reached agreement on a permanent settlement with the Palestinians. Widely known as the Beilin-Eitan deal, after the names of its two authors, Labour's Yossi Beilin and Likud's Michael Eitan, the agreement was outlined in a document entitled a "National Agreement Regarding the Negotiations on the Permanent Settlement with the Palestinians".

According to Yossi Beilin, an architect of the Oslo Accord who headed the discussions for Labour and an aspiring successor to Shimon Peres as leader of the Labour Party, the agreement "is going to change the Israeli polity." In an interview with *Newsweek*, Beilin described the deal as a compromise between the two rival parties of Israel. "If for the first time, the Likud agrees to have a border on the West Bank between Israel and the Palestinian state [the main, and perhaps the only difference, between the two Israeli parties since 1967] that is the end of difference," said Beilin.

The document discusses nine topics including borders, security, water, economy and education. However, the two sides failed to agree on the nature of the Palestinian entity so that more than one version of the document was suggested. While some prefer to grant the new Palestinian entity an expanded autonomy, others want to call it a state. However, among the most important points on which Knesset members agreed are keeping the settlements under Israeli sovereignty and rejection of the principle of a return to the 1967 borders.

Palestinians are deeply disappointed by the document. Hanan Ashrawi, Palestinian minister of higher education, dismissed the deal as nothing more than a compromise between Likud's extreme hardline position and Labour's position "which is already not entirely acceptable to us." In an interview with *Al-Ahram Weekly*, Ashrawi said that the Israeli document is an attempt to impose Israeli domestic priorities on the Palestinian-Israeli talks. Ashrawi noted that it is ironic that the two major Israeli parties are negotiating with each other and not with the Palestinians.

Palestinians are adamant that they will not compromise on critical issues in final status negotiations. Taking Jerusalem as an example, Ashrawi said: "When we talk about Jerusalem, to us it is very clear that we are talking about East Jerusalem, occupied in 1967. We will not try to find an alternative or even re-define the city."

Knesset members, however, agreed in their discussions that Jerusalem will remain the united capital of Israel within its existing municipal borders. "The Palestinians will recognise Jerusalem as the capital of Israel and Israel will recognise the governing centre of the Palestinian entity which will be within the borders of the entity and outside the existing municipal borders of Jerusalem," the Beilin-Eitan agreement stated.

That leaves open a solution mooted some time ago in Israeli media reports in which it was suggested that the Palestinians would rule from the Arab East Jerusalem neighbourhood of Abu Dis. Abu Dis does not formally fall within the boundaries of Jerusalem as drawn by Israel. This suggestion was used by the Israeli media before last year's Israeli elections to bolster the Labour Party's popularity.

The Beilin-Eitan document triggered speculation over a previous secret document on Palestinian final status which was allegedly drawn up jointly by Beilin and the PLO's Mahmoud Abbas, also a principle architect of the Oslo agreement. The existence of such a document, however, was vehemently denied by Abbas, better known as Abu Mazen, in an interview with the *Weekly* this week.

Ashrawi concurred. "There were discussions and they were carried out in a private capacity. Beilin may claim whatever he wants but he has been involved in many exercises of that ilk. They are what we call trial balloons or attempts at finding a political solution for himself and his group," said Ashrawi.

Abu Mazen called the Beilin-Eitan agreement catastrophic. "It does not present any kind of solution, only Israeli visions of the final issues that completely ignore UN Security Council resolutions 242 and 338 together with what has been agreed upon in the Declaration of Principles signed in Madrid," said Abu Mazen. He views the deal as the final stop of the peace train. "We will never discuss this agreement. If it is ever presented in any of the next rounds of talks, we will reject it and present our own view based on international legality."

Hassan Asfour, secretary-general of the Palestinian Authority, also denied any significance to the deal. "We, both as an authority and as an organisation [PLO], do not build our positions on Israeli domestic agreements. We do not care about the internal political discourse in Israel," Asfour told the *Weekly*. Asfour does not believe that the Beilin-Eitan agreement will be presented as a document in the Palestinian-Israeli negotiations. "We know quite well that papers are of no significance. This has always been the case since we started talking with the Israelis," commented Asfour. "There is an existing and signed deal between the two sides known as the Declaration of Principles. It established certain formulae for the final status negotiations based on the mutual political recognition of the two sides," he added.

According to Asfour, there are UN resolutions to address the issues supposedly resolved by the Beilin-Eitan agreement. "For instance, if we are going to talk about refugees, there is UN Resolution 194 which gives them the right to return or compensation to those who do not wish to do so."

« نص » الوثيقة ٠٠ اعلان كوبنهاجن
التحالف الدولى من أجل السلام العربى ٠٠ الاسرائيلى

تجمع مصريون واسرائيليون واردنيون وفلسطينيون ومحبون للسلام من جميع أنحاء العالم فى كوبنهاجن لكى ينشئوا تحالفا دوليا من أجل السلام العربى ــ الاسرائيلى ٠ ان السلام من الأهمية بمكان بحيث لا يترك للحكومات فقط ٠ كما أن الصلات بين الشعوب هى أمر حيوى لنجاح جهود السلام فى المنطقة ٠ وما لم تقف وراءها قاعدة شعبية فان عملية السلام سوف تتراجع ٠

قد اجتمعنا فى كوبنهاجن لكى نساهم فى حل دائم وشامل للصراع العربى ــ الاسرائيلى قبل نهاية هذا القرن ، ولكن نبدأ عصرا للسلام العادل والدائم الذى يتمتع فيه الشرق الأوسط بالاستقرار والأمن والرخاء ٠

اننا نجتمع تحت رعاية حكومة الدانمارك التى تشاركنا الاهتمام بضرورة التوصل الى حل لجميع جوانب الصراع العربى ــ الاسرائيلى الذى يضر استمراره بمصالح المجتمع الدولى كله ٠

اننا سوف نعمل على عقد اجتماعات عامة ، ونضغط على الحكومات ونراقب التقدم والنكسات فى عملية السلام ، بنفس القدر الذى نراقب به أعمال التمييز والعقاب الجماعى ، والاساءة الى حقوق

الانسان وأعمال العنف ، كما أننا سوف نعبىء الرأى العام وراء جهود السلام .

ان كثيرا تم انجازه فى صنع السلام بين العرب والاسرائيليين وأدى الى اتفـــاقية فصل القوات المصرية ـ الاسرائيلية فى يناير ١٩٧٤ ، واتفاقية فصل القوات السورية ـ الاسرائيلية فى مايو ١٩٧٤ ، واتفاقية فصل القوات المصرية ـ الاسرائيلية فى سبتمبر ١٩٧٥ ، واتفاقيات كامب دافيد فى سبتمبر ١٩٧٨ ، ومعـــاهدة السلام المصرية ـ الاسرائيلية في مارس ١٩٧٩ ، وعملية السلام فى الشرق الأوسط التى انطلقت من مدريد فى أكتوبر ١٩٩١ ، واعلان المبادىء الفلســـطينى ـ الاسرائيلى فى سبتمبر ١٩٩٣ ، واتفاق القاهرة الفلسطينى ـ الاسرائيلى فى مايو ١٩٩٤ ، واعلان واشنطن بين الأردن واسرائيل فى يوليو ١٩٩٤ ، ومعاهدة السلام الأردنية ـ الاسرائيلية فى أكتوبر ١٩٩٤ ، واتفاق المرحلة الانتقالية الفلسطينية ـ الاسرائيلى فى سبتمبر ١٩٩٥ ، واعلان قمة شرم الشيخ لصانعى السلام فى مارس ١٩٩٦ ، واتفاق الخليل الأخير .

اننا نشعر بقلق عميق ازاء الجمود فى المسارات السورية ـ الاسرائيلية واللبنانية ـ الاسرائيلية ، واحتمالات الوصول الى طريق مسدود فى المفاوضات الاسرائيلية ـ الفلسطينية أثناء تنفيذ الاتفاقية الانتقالية ، حول احتمال انفجار العنف الذي قاد في الماضى الى وقوع الضحايا العرب والاسرائيليين .

اننا نعرف أنه لايزال علينـــا قطع طريق طويل قبل تحول الرؤية الحقيقية للسلام الى واقع ، وأن الأمل فى الوصول الى سلام شامل يؤدى الى التعاون الاقليمى والى حياة أفضل لكل شـــعوب الشرق الأوسط من الممكن أن يتبدد ، وأن عملية السلام يمكن أن

تتأخر في وقت يخيم فيه خطر الحرب الذى يخيـــم على الشرق الأوسط ، كما ان العدل والمساواة هما شرطان للسلام ٠

أننا ندرك أننا لا نستطيع الوقوف مكتوفى الأيدى أمام عودة الأخطار القديمة ، وتصاعد أخطار جديدة ضد عملية السلام ٠ ان السلام غال والحرب بشعة بالنسبة لنا بحيث لا يمكننا الوقوف غير مبالين بينما يتدهور الوضع ٠

أننا مقتنعون أننا نعكس ارادة أغلبية شعوب المنطقة الذين يتطلعون لوضع حد للصراع العربى ـ الاسرائيلى كمدخل لاقامة ســـلام تعاون اقليمى ، وأننا نعبر عن المشاعر الغالبة بين العرب والاسرائيليين ، ولذا فاننا ـ نحن الشعوب ـ يجب أن نشارك بفاعلية في رسم طريق المستقبل للشرق الأوسط بأن تمنع غلبة القوى المضادة للسلام ٠

اننا اذ نستهدف اقامة ســـلام شـــامل ودائم يقوم على أساس قاعدة مبادلة الأرض بالسلام ، وتطبيق قرارى مجلس الأمن رقمى ٢٤٢و٣٣٨ فى جميع جوانبهما ٠

واذ نعتبر أن أسس السلام بين الشعب العربى والشـــعب الاسرائيلى يجب ان تقوم على حقوق متســـاوية ومتوازية للجميع فانه بالاضافة الى تطبيق القرارين ٢٤٢و٣٣٨ فانه من المهم التعامل مع الأسباب الحقيقية للحروب والصراعات فى الشرق الأوسط ، وكذلك دعم العرب والاسرائيليين لكي يصلوا الى قواعد يقبلونها ســـويا ٠

اننا نؤكد على عزمنا على تشجيع التعايش السلمى ، والاحترام المتبادل والكرامة والأمن بين شعوب المنطقة ، لكي تكون خالية من كل أنواع العنف وأن تتبع طريق التجانس والتصالح الذى يتواءم مع التحولات الكونية فى فترة ما بعد الحرب الباردة ٠

اننا اذ نحتاج الى بعضنا البعض ، نؤكد عزمنا على توحيد صفوفنا مع كل الشعوب المحبة للسلام لكى نحقق هذه الأهداف ، ولكى نفعل ذلك ، فاننا ـ نحن الموقعين على هذا الاعلان ـ اتفقنا على ما يلى :

١ ـ ان التوصل الى سلام بين الشعبين الاسرائيلى والفلسطينى سوف يصل المشكلة المركزية فى قلب الصراع العربى ـ الاسرائيلى ، وأننا نحن التحالف الدولى من أجل السلام ندعو الحكومات المعنية أن تعمل بقوة وسرعة على التطبيق الكامل للاتفاقيات الاسرائيلية ـ الفلسطينية بنصها وروحها ، وبكل أمانة وصدق ، وأن تعمل بشكل خاص على توفير وتحسين الحياة الطبيعية للفلسطينيين • كما اننا ندعو الحكومة الاسرائيلية والسلطة الوطنية الفلسطينية للتوصل الى اتفاق عادل حول القضايا الهامة للوضع النهائى (القدس ، اللاجئين ، المستوطنات ، الحدود ، الأمن ، والمياه) فى أسرع وقت ممكن ، ودون تأخير عن ٥ مايو ١٩٩٩ كما تم النص عليه فى اتفاق أوسلو ، ولما كانت القدس على وجه الخصوص ، موضوعا مركزيا وشديد الحساسية لكل الأطراف ، فانه من ثم يستدعى اهتماما خاصا فى مفاوضات الوضع النهائى من أجل الوفاء بمتطلبات جميع الأطراف • وهذا الاتفاق النهائى بين اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية يجب أن يؤدى الى ممارسة الشعب الفلسطينى لحقه فى تقرير المصير ، بما فيه حق اقامة الدولة ، طبقا للقوانين الدولية ، وحين التوصل الى تسوية متفق عليها للوضع النهائى بين الطرفين • ولكى يتوفر مناخ موات للمفاوضات ، لا ينبغى استخدام أو تشجيع أو قبول العنف والارهاب بأية صورة • ولكى تزول مخاوف الفلسطينيين فانه ينبغى عدم بناء مستوطنات جديدة وعدم مصادرة الأراضى الفلسطينية الخاصة والعامة •

٢ ـ نحن التحالف الدولى من أجل السلام نعتقد ان السلام الشامل يجب أن يكون هو الهدف الحقيقى لكافة الجهود السياسية من داخل المنطقة ومن خارجها ، كما يجب أن تبذل جهود جديدة للتوصل الى تسوية سلمية بين اسرائيل وسوريا ، وبين اسرائيل ولبنان على أساس من قاعدة مبادلة الأرض بالسلام وقرارات الأمم المتحدة ٢٤٢ و٤٢٥ ان مثل هذه التسوية يجب أن تحقق الأقصى من الأمل المتبادل لكل الأطراف وكذلك بناء على علاقات عادية بينها ٠

كما أن السلام الشامل يجب أن يؤدى الى منطقة خالية من أسلحة الدمار الشامل ونظم اطلاقها ، والى شرق أوسط تستخدم امكانياته الاقتصادية من أجل رخاء شعوبه ، وان تتم اتخاذ خطوات لتحقيق هذه الأهداف ٠

٣ ـ اننا نحث كل القوى فى الشرق الأوسط ان تتكاتف من أجل اعادة بناء منطقة مبرأة من سباق التسلح وخالية من التشاجن والفقر ٠

ومن أجل تحقيق هذا المسعى النبيل ، فاننا سوف نغتنم كل فرصة ونطرق كل باب ، ونضغط على كل حكومة ، ونحاول نشر رؤانا من أجل مصالح أجيال الحاضر والمستقبل ، ولكى نضمن استمرار نجاح هذه الجهود ، فان أعضاء التحالف يتعهدون بالتضامن من أجل بذل الجهود للوقوف فى وجه أعداء السلام ٠

٤ ـ ومن أجل ضمان استمرارية الدفع من أجل السلام فان سكرتارية دائمة للتحالف سوف يتم تأسيسها ، وسوف يكون شعارنا من الآن فصاعدا : « فلتنته حالة الحرب ولنبدأ حالة السلام » ٠

٥ ـ وفي هذا السياق فان المؤسسين للتحالف يدعون الجماعات والأفراد على المستويين الاقليمي والدولي المعنيين بمستقبل المنطقة ان يتبنوا هذا الاعلان وأن يلتحقوا بحركتنا وان يدعموا بشدة قضاياها واهدافها .

٦ ـ ان الأعضاء المؤسسين للتحالف الدولي من أجل سلام عربي ـ اسرائيلي يعربون عن تقديرهم وعرفانهم العميق لشعب وحكومة الدانمارك على جهودهم المخلصة ، واستضافتهم الكريمة ، والتي كانت ذات فعالية في تجسيد قضيتنا .

الموقعون

ندوة (العولمة والثقافة)

[تمهيـــد]

لا شك أننا نعيش الآن ما يطلق عليه « عصر ثورة المعلومات والاتصال » حث واجه الفرد كما لا يحصى من وسائط الاتصال وعلى رأسها القنوات الفضائية وهذه القنوات الفضائية ما هى الا وسائط لحمل معلومات ومن ثم فهى تساهم فى خلق جزء الأبناء المعرض لدى متلقى هذه القنوات ٠

وعندما دخلت مصر عصر البث الفضائى عبر اطـلاق قمرها الصناعى « نايل سات » تساءل الجميع عن شكل وطريقة التفاعل مع القنوات التى بثها القمر ولا سيما أنه توجد عليه قنوات غاية فى الأهمية مثل القنوات التعليمية وقناة الأسرة والطفل ٠

وتحول هذا التساؤل الى توجس بعد أن أعلن أن هذه القنوات من الممكن تصبح مشفرة يتم الحصول عليها مقابل دفع مبلغ مالى اما من لا يستطع دفع هذا المبلغ لا يسـتطع الحصـول على هذه الخدمة ومن ثم لا يستفيد بالبرامج والمحتوى الاعلامى الذى تحمله هذه القنوات وهو أفضى فى النهاية الى نوع من التمايز الثقافى بين من يملك ومن لا يملك وازداد الأمر خطورة فى عصر العولمة ذلك الذى تصرفه المعلومات هى القوة الحقيقية ٠

وبناء على ما سبق أخذت صفحة « ثقافة عربية » على عاتقها تنظيم هذه الندوة التى تضم نخبة من الاعلاميين والمثقفين سعيا الى التحليل العلمى لهذه المفاهيم والظواهر الجديدة وكيفية التعامل معها والخروج بتصور حول التاثرات المختلفة للبث الفضائى والتشفر فى عصر العولمة ٠

(★) الندوة اقيمت بالأهرام الدولى ، القاهرة ، صيف ١٩٩٩ وحضرها عدد كبير من المثقفين العرب ، وأدارها د٠ مصطفى عبد الغنى ٠

« العولمة وتأثيرها فى الأجناس الأدبية »

د٠ مصطفى عبد الغنى

يسعدنا ان نرحب بحضراتكم جميعا فى هذه الندوة ٠٠

وقبل ان نقترب من موضوعها دعونا نؤدى واجب الشـــكر للأستاذ ابراهيم نافع رئيس مجلس الادارة ورئيس التحرير لحرصه الشديد على اقامة هذه الندوة فبمجرد ان تقدمنا اليه بفكرة اقامة هذه الندوة حتى وافق على الفور ، وقدم الينا كل ما من شأنه ان يعمل على انجاح هذه النـــدوة التى لم تكن موضوعا لملتقى أو مؤتمر أو ـ مدخلا فى تجمع ثقافى على حد علمنا حتى اليوم ، وهو ما يلبى رغبة المثقفين والمبدعين داخل الوطن العربى وخارجه ٠

خاصة ان هذه الندوة تقيمها صفحة (ثقافة عربية) بالأهرام الدولى ٠ ولا يمكن ان نصل الى موضوع الندوة قبل ان نشكر السادة الضيوف من الباحثين والعلماء من المصريين والعرب ، فقد بدأ تحمس هؤلاء لموضوع جديد كهذا الموضوع ، ولبوا ـ على الفور ـ لجدية الموضوع وجدته فى آن واحد ٠

وهو ما يتصل بنا مباشرة الى موضـــوع الندوة : (العولمة وتأثيرها فى الأجناس الأدبية) ٠

لقد فرضت القضية ـ كما قلنا ـ نفسها ـ لانها ـ رغم طرحها النظرى فى الغرب طويـــلا عبر مفاهيم الحداثة وما بعد الحـداثة والتفكيكية ·· وما الى ذلك ، فانها مازالت عندنا تنام فى ادراج العزلة عن الغرب وعدم معاصرة ما يحدث اليوم فى العالم المعاصر ، وهو ما يعود بنا ثانية الى العولمة ·

أما العولمة فقد زادت ندواتها مداخلاتها حتى وصلت الآن الى أكثر من ثلاثين ألف ندوة ومؤتمر ومداخلة ·· ألخ حسب احصاء أحد المكاتب اليابانية فى فرنسا ، ومن هنا فقد عرفنا الكثير من التعريفات والمداخل لهذا المفهوم العولمة ، وهو ما يجعلنا فى غنى عن تقـديم تعريف جديد لها خاصة ونحن أمام مثقفين واعين أطلعوا على كل ما عرف أو طرح فى هذا الباب ·

وبعيدا عن الاسهاب نكتفى هنا بالأسئلة التى نختم بها ورقة العمل التى بين يدى السادة المدعوين الآن ، وهى أسئلة ، فيما نعتقد ، تمثل نصف الاجابات لو أحسن صياغتها ، من ذلك :

هل استوعب الأدب العربى التغيرات المعاصرة من الحـداثة وما بعد الحداثة وما الى ذلك من المفاهيم ؟

الاجابة بهذا الشرط يحتم علينا ان نعود الى ظواهره فى الحكى والتمسرح ولغة الشعر وطرائقه الجديدة ·

أما عدم الاجابة فتشير الى أننا مازلنا نعيش فى النمط المعرفى الحكائى (الأسطورى) القديم ، أو على أحسن تقدير ، نمط عصر الحـــكاية الذى يطلق عليه فى عصر الحداثة النمـــط المعرفى ـ الميتاحكائى ··

ثم نبدأ باجابة يعقبها سؤال آخر ·

الاجابة هي ان بعض الأعمال (وهي نادرة عندنا) اتجهت الى هذا النمط المعرفي المابعد حداثي ، وعملت فيه ، فكيف :

ــ هنا يجيء السؤال ــ كيف انعكس هذا الأدب في نهاية الألفية الثانية ؟

هل يعي العقــل (الأدبي) العــربي ما تسعى اليه المجتمعات الغربية اليوم ما بعد حداثية من امتصاص لعقول وأموال مجتمعاتنا (الحكائية) لحساب المجتمعات (العلمية) في الغرب ٠٠ ؟ ٠ ربما تمثلت العقول : فضــــلا عن العقول العلمية العقول الأدبية هناك وما أكثرها والأموال حين تصل العولمة ــ في تصور الحداثة ــ الى انها تطور عال من الرأسمالية الاحتكارية ٠

الى متى يظل الجنوب ــ وعالمنا الثالث فيه ــ في حالة تأرجح بين التراث والحداثة وما بعد الحداثة في أحسن الأحوال ؟ ٠

والآن ، لدينا عدد كبير من المثقفين العرب ، ولا أعرف من أين نبدأ معهم ، ولكن دعوني أسأل الأستاذ محمود أمين العالم ان يبدأ معنــــا ٠

أما الأجناس الأدبية ، فمعروف ان الجنس الأدبي هو النوع الذي يعرف به الأثر الأدبي كالمسرحية والرواية والشعر ٠٠٠ الخ ٠

وكما ان مفاهيم العولمة المتغايرة لا تجعلنا نتمسك بتفســـير شكلي بعينه ، كذلك ، فان التطور الأدبي يجعلنا لا نتمسك بشكل معين تنتهي اليه الأجناس الأدبية خاصــــة في عالمنا الثالث حيث تضعنا الثنائية بين العولمة والأجناس الأدبية ، بشكل مباشر نحن

المحسوبين على دول الجنوب المتخلف فى خلفية المشـــهد الفكري المعاصر فى علاقته ـ خاصة بالمجتمع ٠

إذن ، دعونا حضراتكم نصل إلى الخــــلاف حول المفاهيم الى العلاقة بينهما ٠

أنا أمام قضايا خلافية كثيرة وتعريفات ونظريات من مثل : قضية الحداثة ـ وصـــدمة الثقافة الجديدة ـ وما بعد الحداثة ـ والهرمنيوطيقا ـ « المابعد » ـ وثنائية الزمن وما الى ذلك ٠

عناصر الحكاية والزمن واللغة ٠ الترجمة والصورة واللغة والنقد والسير الذاتية وتداعيات النهضة والتناص ٠ والحساسية الجديدة ٠

وقبل ان استطرد أكثر أحب أن أســجل ملاحظة مهمة قد تفيدنا فى هذا السياق ، وهو أننا اذا حاولنا رصد العولمة وتأثيرها فى الأدب عندنا يمكن ان نرصدها قبل ذلك ـ ليس كما هو شائع منذ بدايات التسعينيات ، فقد كان من السهل للمدقق فى حركة الأدب العربى ان يلحظ اعادة صياغة مراحل الامبريالية فى طور يتعدى نشأة الرأسمالية الغربية الى نمط رأسمالى متطور من التوسع الى الاحتكار الى التركيز فى أشكال رأسمالية جديدة لا تتجاوز شكل الاحتكارات الكبرى داخل عدة ارهاصات تغريبية بدت في الثمانينيات فى شكلها المتنامى ، وتصاعدت الى أقصى ذروة لها منذ انهيار الاتحاد السوفيتى وسقوط سور برلين وقصف بغداد ٠٠٠ الخ ٠

ويجب الاسراع بالقول هنا ، ان الابداع العربى ـ وان شهد بعض الاستثناءات فى الثمانينيات ، وما لبث ان شهد تجليات أبعد

فى أجناسه ، وهو ما يقترب بنا ـ كما سنرى ـ من ظواهر التأثر بالعولمة ، وبداياتها •

محمود أمين العالم : قبل أن أبدأ فى الحديث حول الأجناس الأدبية أرى أن الموضوع لابد أن يسبقه أشياء كثيرة ، كالتيارات الفكرية الأدبية والنزاعات الأدبية •

أما الأجناس كأجناس أدبية فهى قضية أخرى كذلك لا يمكن أن ندرس علاقة الأجناس الأدبية بالعولمة لو لم نتفق بشكل عام حول مفهوم العولمة ، وربما يسبق كل هذه العلاقة بين الهوية والعولمة ثم الثقافة والعولمة •• بمعنى ان هناك قضايا سابقة •

د• مصطفى عبد الغنى : اننى افترضت أننا كلنا نعرف ما هى العولمة على اعتبار أننا مثقفون على مستوى عال فيما نعتقد لذلك فزنا أعتقد أننا لدينا تصور كاف حول العولمة ، والقضية أننا نطرح العلاقة بين العولمة والأجناس الأدبية فى نهاية الألفية الثانية •

محمود أمين العالم : هذا صحيح ولكننى أقول :

انه قبل الحديث عن العولمة والأجناس الأدبية يجب الحديث عن الهوية والثقافية والعولمة بشكل عام فهذه هى نقطة البداية فى تقديرى لأنه على أساس تحديد هذه العلاقة نستطيع ان نتكلم عن تأثير العـــولمة ، والمســـألة ليست تأثير فقط فهنـــاك كثير من القضـــايا •

ولاشك ان العولمة قد أصبحت ظاهرة موضــوعية ، ولم يعد هناك من يستطيع أن ينكر ان العولمة حقيقية تاريخية موضوعية وان نمط الانتاج الرأسمالى قد أصبح سائدا فى كل أنحاء العالم ،

سائد موضوعيا · ومهيمن ذاتيا فى بعض دول ·· لاشك فى ذلك سواء بالنسبة لمن ينتجون النظام الرأسمالى العالمى الجديد أو لمن يعيشون على أطراف هذه الظواهر الموضوعية هى فى رأيى مرحلة تاريخية عظيمة رغم كل ما فيهـــا من شراســـة وسلبيات بشعة ، لكنه مرحلة موضوعية بالفعل ·

وأفرق دائما بين العولمة كظاهرة موضوعية وبين الهيمنة من قبل سبع أو ثمان دول فالهيمنة سيطرة بعض دول على العولمة بما انها نمط انتــاج رأسمالى معمم أو حضـــارة عصرنا الراهن ، حضارة العالم (وليست الحضارة الغربية كما يقال) بالتالى تسيد العولمة ثقافتها ، تسيدها بالمعنى الانثروبولوجى وبالتالى فالعولمة كنمط انتاج هى ليست اقتصاد فقط ، بل هى اقتصاد وسياسة وثقافة وبالتالى ففى مجال الثقافة فالعولمة تسعى لتعميم ثقافتها وخطها الانتاجى العام ، ومن ثم تسعى لضرب كل الخصوصيات والهويات وتنميط كل الهويات والخصوصيات والثقافات ·

وعلى هذا الأســاس تكون نقطــة البداية هى العــلاقة بين الهويات والخصوصيات الثقافية وبين تلك الثقافة المعممة أو النمط الثقافى الذى يتم تعميمه ·

أنا لا أتحدث عن المشترك الانسانى الثقافى هنــاك مشترك ثقافى انســانى لاشك ولكن من هذا المشترك الثقافى الانســانى هناك توجه ثقافى معين مرتبط بفكرة الهيمنة والذى يعنى تنميط الثقافة بشكل معين مرتبط بهذا النمط الثقافى العام ولكن هناك فى العــالم نمط ثقافى آخر ، لعله الآن فى تقــديرى يقاوم هذه الثقافة المعممة بشكل أو بآخر ·

ففى رأيى ان نقطة البداية هى العلاقة بين الخاص والعام ، بين الهوية والعولمة .

فلدينا على سبيل المثال الاتجاه الاسلامى فموقف الحركة الاسلامية يتلخص فى « لا يصلح حاضرنا الا بما صلح به ماضينا » وبالتالى فالعولمة هى الفكر .

هناك آخرون يعتبرون أن مرحلة ما بعد الحداثة تعبر عن هذه العولمة وأنا فى رأيى ان ما بعد الحداثة هى أيديولوجية العولمة القائمة ، لكن هناك بعض الناس يعتبرون أن ما بعد الحداثة هى استمرار للحداثة ، ففى جريدة الحياة كانت هناك مقالة مهمة يرى كاتبها ان العولمة هى امتداد معمق للحداثة .

فالحداثة بالفعل كانت الدلالة العظيمة للرأسمالية فى بدايتها ، من فردية وعلانية ورؤية تاريخية ، فكل هذه القيم الكبيرة للحداثة أرى أنها الآن تقوض باسم ما بعد الحداثة أو باسم هذه العولمة التى تريد ان تنمط فلسفة الهيمنة على العالم .

وأعود مرة أخرى الى قضية العلاقة بين الخاص والعام أو بين الخصوصية الثقافية وخصوصيتنا نحن على الأقل وبين العولمة التى تريد تنميط الثقافة ، فهذا هو المدخل الطبيعى لمناقشة الأجناس الأدبية وغيرها من القضايا الثقافية المختلفة .. هذا رأيى باختصار كمدخل للموضوع .

د. **محمد برادة** : أنا فى اعتقادى أن موضوع العولمة والأجناس الأدبية لا يستقيم بهذه الصياغة ، أولا الأجناس كما هو معروف مسألة معقدة وطويلة وثانيا لان العولمة هى نتيجة أو تغيير

أيديولوجى لشىء أعمق ، فيمكن أن يستقيم الحوار اذا غيرنا الموضوع بمعنى الأدب ككل ، بكل اجناسه أمام تحولات يمكن ان نلخصها فى ظاهرة ثقافة الالكترونيات والتكنولوجيات المتقدمة ، الى حد يستطيع الأدب بشقيه سواء الأدب الذى يمثل مفهوما متقدما يقاوم السائد ويقاوم الاستهلاك ليعبر عن المسكوت عنه ، أو الأدب التبشيرى الخاضع للتجارة للترويج، هذه ممتدة منذ عقود ولا تزال، ونحن مقبلون على مواجهتها مع الألفية الحديدة ، مع العولمة ٠ فأظن أننا يجب أن نحدد أولا الموضوع والانحصره فى الأجناس الأدبية والعولمة ٠

د٠ **مصطفى عبد الغنى** : أعتقد أنه لا خلاف كبير بيننا ، فالموضوع كما قال أستاذنا محمود أمين العالم أن نحدد العلاقة بين الخاص والعام أو بين الهوية والعولمة بشكل واضح ومحدد ٠

د٠ **محمد برادة** : هناك اختلاف لأن العلاقة بين الهوية والعولمة موضوع واسع ، فلسفى فكرى سياسى ، أيديولوجى نحن نريد الحديث عن الأدب أساسا ، الأدب كصورة من صور التعبير الأساسى فى مجتمعاتنا العربية ، رغم أنه أدب محاصر فالأدب العربى أدب جيد وقائم ومعبر عن المسكوت عنه ولكنه أدب محاصر، لماذا ؟ لانه على المستوى الأيديولوجى هناك أختيار لأدب الاستهلاك، فالموضوع مختلف وأظن أن الوقت لا يسمح بمناقشة موضوع الهوية ، وأظن أن الأدب كصيغة من صيغ التعبير أمام طغيان التكنولوجيا الجديدة وامتداداتها المختلفة بايجابياتها وسلبياتها ٠

د٠ **مصطفى عبد الغنى** : أنا لا أرى أن هناك خلافا كبيرا بين الأجناس الأدبية بشكلها المعروف والأدب الآن ٠

ولكن نحن نريد أن نعرف الأدب بشكله الأخير كما يقف فى التسعينيات خاصة على مستوى الوطن العربى ، وعلى المستوى التطبيقى بعد ذلك ، يسبق ذلك تيارات الحداثة فى الغرب بشكلها التنظيرى العام ، فى النهاية هى العلاقة بين الأدب والعولمة وكيف يقف الأدب وكيف يقاوم ، وهذه هى القضية على كل حال وأنا لا أختلف فيها كثيرا ٠

د٠ **نبيل على** : أنا أعتقد بالفعل ان الأجناس الأدبية هى شق من قضية الأدب التى هى أكثر شمولا ولذلك أنا أقترح أن يتم تعريف الأدب من منظور العولمة ثم نتكلم عن أثر العولمة على الأدب ثم على الأجناس ثم أثرها فى الأدب العربى (هذا التسلسل يجعلنا بالفعل توحد المفاهيم فتعريفات العولمة كثيرة ، ولكن تعريفها من منظور الأدب ، ومن منظور الأدب العربى فى رأيى يحتاج الى وقفة تمهد لأن نعرف تأثيرها على الأدب العربى ومن ثم تأثيرها فى الأجناس الأدبية ٠

وأنا أرى ان قضية الأجناس الأدبية لكى تكون حاسمة بشكل كبير فالأجناس الأدبية ستظل أجناس كلاسيكية سيجرى عليها تغييرات من ناحية الشكل ومن ناحية المضمون ، ربما الرواية الالكترونية فقط ستوجد رواية جديدة ولكن هذه الرواية مازالت، حتى فى الغرب ، دون القشور ٠٠

د٠ **صلاح فضل** : فى هذا السياق أظن أنه قد تبلور محور الندوة وهو العولمة والفكر الأدبى ، الفكر الأدبى بشقيه المتصل بالنظرية الأدبية والمتصل بالابداع ، وهى شديدة الصلة بمشكلة الأجناس الأدبية العولمة والأجناس الأدبية ، بالفعل أكثر تحديداً ، أقل عمومية من الهوية والثقافة اذا تبلور موضوع القدرة فى العولمة

والفكر الأدبى فان ذلك يقود كما تفضل د· نبيل على فى غمار الحديث بتحديد العلاقة الخاصة جدا بين العولمة وحركية الاجناس الأدبية ، لان ذلك مرتبط فى اطار قضايا كثيرة جدا داخله فى الحراك الأدبى نحاول أن نستكشف معالمه وخارطته وعلى وجه التحديد مستقبلة ·· فأظن أن مسار الحوار بهذا الشكل يكون منتظما وجيدا ، اسمحوا لى فى هذا السياق ـ اذا اتفقنا على هذا الاطار العام ـ أن أعرض ثلاث أفكار محددة فى اطار العلاقة بين العولمة وبين الفكر الأدبى فهل هذا الاطار (العولمة والفكر الأدبى) صالح للتناول (التعديل عليه) أم ان هناك من يريد ·

د· حامد أبو أحمد : أنا أعتقد أن المشكلة نابعة أساسا من أن أحدا لم يتفق حتى الآن سواء داخل العالم العربى أم خارجه على تحديد للعولمة نفسها أو تعريفها أو مفهومها ، فمازالت الآراء مختلفة عندنا والندوات الكثيرة التى عقدت فى الغرب واليابان وهى آلاف لم تتفق على تعريف للعولمة ففى الغرب نفسه مازلوا مختلفين حول مفهوم العولمة ، والقضية أن د· مصطفى عبد الغنى قام بنوع من القفز فى تناول ظاهرة هى لم تطرح حتى الآن بشكل موسع ، أو لعلها لم تطرح من قبل ، فلم نسمع حتى الآن عمن تحدث عن العولمة والأجناس الأدبية ، عادة ما يتم الحديث عن الثقافة فى اطار الحديث عن العولمة ، لكن الأجناس الأدبية أيضا خلال العقود الثلاثة الأخيرة حدث فيها تغيرات كثيرة ومنظرين كثيرين فى الغرب تحدثوا عن الأجناس الأدبية بمفهومات جديدة ، ومنهم « ياوس » فى نظرية التلقى وما الى ذلك ، ولعل الدكتور مصطفى عبد الغنى يقصد أننا يمكن أن نطرح قضية العولمة وتدخل فى هذا الموضوع المتخصص جدا فكما ذكر أستاذنا العالم والأساتذة كلهم ، هناك قضايا سابقة فى الحقيقة ، وكان من الممكن تناول هذه القضايا السابقة ولكن لماذا لا نقفزه على قضية العولمة

والأجناس الأدبية كنوع من التأمل أنا أعتقد أننا دائما نأخذ ما هو مطروح فى الغرب ونتحدث فيه ونحاول تعميمه وكأنه قضيتنا .

وبالنسبة للعولمة فاننا اذا أخذنا الموضوع بشكل منطقى نجد أن العولمة ليست قضيتنا ، فنحن لم نصل الى الحداثة واذا كان البعض يرى أننا وصلنا الى الحداثة فنحن لم نتخلص منها ، وبالتالى فهذه الموضوعات مطروحة أساسا من أعلى ، فلماذا لا نتناولها من أعلى اليوم أيضا وندخل فى هذا الموضوع القضية « العولمة والأجناس الأدبية » .

ومن ثم فالقضية ليست قضيتنا أساس فلماذا لا نتناولها كما تتناول أساسيا بعيدا عنا .

الياس خورى : بداية أعتقد أنه لا توجد قضايا خاصة بنا وقضايا ليست خاصة بنا . لاننا نحن نخص القضايا ونخضع عمليا لمفاعيل هذه القضايا ، والحقيقة أن مصطلح العولمة يثير لدى تساؤلات عميقة ، لانني أرى أنه مصطلح هدفه التغطية على مصطلح آخر بسيط هو الهيمنة ، فالعالم العربى دخل عصر العولمة بالجيوش الأجنبية الغربية على أرض الوطن العربى ، ونحن دخلنا نهاية القرن لتعود الى ما يشبه نهاية القرن فالجيوش الأجنبية موجودة على أكثر من أرض عربية وبالتالى فنحن خاضعون ليس فقط اقتصاديا وثقافيا بل أيضا خاضعون عسكريا للهيمنة الخارجية ولما يشبه الاحتلال ، ومن ثم دعونا نسمى الأشياء بأسمائها .

النقطة الثانية أنا أعتقد أن ما بعد الحداثة هو تيار فكرى وتيار ثقافى مرتبط بالتصور الاقتصادى والاجتماعى والثقافى فى الغرب ، وما بعد الحداثة دخل علينا أيضا لاننا جزء من العالم

الواحد والعالم لم يتوحد اليوم فقد توحد مع الثورة الصناعية وكان بهذا العالم طريق آخر للعولمة ، هو طريق الأممية ولكن هناك أممية هزمت أممية ، أو نظرة لوحدة العالم هزمت نظرة لوحدة العالم ، ولكن بما بعد الحداثة كوضع ثقافي انعكس علينا وصار جزءا من واقعنا ، والعالم أو الجنوب أكثر المناطق تعبيرا عن تيار ما بعد الحداثة حيث تختلط أكثر الأشكال حداثية مع أكثر الأشكال تقليدية حيث تنمحى الأشكال فلم يعد الشكل يعبر عن المضمون كما افترض فى مرحلة الحداثة ، أصبح الشكل شكل وبداخله مضامين متناقضة ومتشابكة ٠

وليس من قبيل الصدفة أن تشجيع الأصولية الاسلامية تقوم بيد الولايات المتحدة الأمريكية التى تحارب الاسلام وبالتالى نحن نعيش فى مجتمع تمتزج فيه هذه الاشياء فنحن مختبر فعلى لما بعد الحداثة ٠

وهذا يطرح أسئلة عميقة ، ليس حول الأجناس الأدبية فالأجناس الأدبية تنشأ فى ظروف معقدة جدا وقليلة هى الأجناس الأدبية فى العالم ، فآخر الأجناس الأدبية التى نشأت مع العصر الحديث ، ولا أظن أن هناك بحثا حول الأجناس الأدبية ولكن هناك بحث حول مزج الأجناس ٠ واذا تحدثنا عن ما بعد الحداثة نجد أن ما بعد الحداثة هو مزج الأجناس الأدبية ، وبقلب هذا المزج هناك أكثر من جهة ، هناك ما أسماه د٠ برادة الأدب الترويجى أو الأدب الاستهلاكى وهناك أدب التعبير عن الملموس واليومى والحياتى بقلب هذا المزج ، وبالتالى أعتقد أن السؤال الذى يجب أن يطرح علينا بوصفنا مثقفين عرب هو كيف نعبر فى هذه اللحظة التاريخية ونحن تحت الاحتلال أو ما يشبه الاحتلال ، حيث تمتزج فى مجتمعاتنا الأشكال الأكثر تقدما والأكثر تخلفا فى

آن معا ، حيث نتكلم عن التعددية والخصوصية في مجتمعات ديكتاتورية ويعد العالم العربي آخر معاقل الديكتاتورية للأسف الشديد .. كيف نستطيع نحن كأدباء أن نعبر عن هموم الانسان العربي الممنوع من الكلام في هذا الظرف وبهذه الأشكال .

أنا أعتقد أن هذا هو المدخل حتى نتبادل أولا تجاربنا مع بعضنا البعض فنحن أتينالتتبادل تجارب والقاسم المشترك هو كيف نعبر عن هذا المسكوت عنه والمقموع حتى نحس أننا كائنات حية وأننا أفراد مواطنون في بلاد تمنع على مواطنيها الشعور بأنه مواطن .

د. مصطفى عبد الغني : شكرا أستاذ الياس ، نحن سعداء بوجودك بيننا اليوم ولا أريد أن اختلف معك كثيرا ، فأنا حددت منذ البداية أننا لن نتكلم عن العولمة أو الأجناس الأدبية لانها مصطلحات عامة كلنا نعرفها ولكن أتفق معك ومع السادة الآخرين الأستاذ حليم بركات يريد أن يقول شيئا فليتفضل .

حليم بركات : أعتقد أنه يجب ربط العولمة كنتيجة بالثورة التكنولوجية والاعلامية التي حدثت في العالم وهي ثورة ليست حيادية فالنظام التكنولوجي يستطيع أن يسيطر على هذا النظام التكنولوجي ويستطيع أن يؤثر به أكثر مما يستطيع مستهلكي هذا النظام ، لذلك يجب أن ننظر من منظورنا نحن ما هي تجليات هذه العولمة في المجال الثقافي .

تعرف ماذا تريد الولايات المتحدة ، فهي تريد نظاما واحد ، ولكن كيف نناقش نحن العولمة المنفعلين بها وغير فاعلين أو مؤثرين فيها . لان هناك فقط سيطرة من قبل أمريكا على وسائل الاعلام

والتكنولوجيا فهي السيدة في هذا وهي التي تخترع هذه التكنولوجيا ، اذن نحن كمستهلكين في موقع ضعف ، لذلك علينا مسئولية كبيرة في أن نخفف من هذا الانفعال بها ونركز على تجلياتها في الحياه العربية قد تكون هذه التجليات شكلية ، مثلا موضوع التنامي وكيف صار هناك تقارب في الأجناس الأدبية وفي عمل واحد يمكن أن نجد هناك شعرا أو رواية أو سرد ومسرح ، أيضا مناقشة الموضوعات التي تثار عالميا فهناك كتب ونقاشات تصدر في الخارج وتصبح جزءا من النقاش الذي نتناوله وهذا ليس جديدا في الخمسينيات كنا نناقش ونتأثر بالماركسية وبالوجودية الى حد بعيد ، ولكن لابد من أن يكون موقفنا منها موقفا نقديا وأن نظهر تناقضات العولمة • مثلا العولمة تدعو الى التعددية ، وتقول أنها تقوم على العالمية ولكن هي تعمل على الغاء هذه التعددية في الوقت نفسه لان الاعلام يريد أن يوجه ثقافة ذات بعد واحد ، فكيف يمكن أن نقف في موقع نقدي ونتعمق في تجليات العولمة ••

د• مصطفى عبد الغني : أنا أرى أن درجة الخلاف عالية جدا ولا نستطيع أن نحدد مفهوم العولمة فلدينا آلاف من التعريفات للعولمة لكن أرجو ألا نغرق أنفسنا في مصطلح العولمة لان المقصود هو العلاقة بين العولمة (أو الهيمنة) وبين الفكر الأدبي ونتفق على هذا ، ومن ثم نريد أن نقرب المسافة بين هذا الفكر العالمي وبين أجناسنا الأدبية •

د• محمد حافظ دياب : أود أن أتحدث من خلال مصادرات ثلاث أظن أنها يمكن أن تشق مجرى في هذه المساندة أولها أن الأدب كفاعلية انسانية تعبيرية يتأبى على التأثير المباشر بالتكوين الاجتماعي لاشك أن العلاقة قائمة ، لكنها علاقة ليست بهذه المباشرة هذه واحدة •

الواحدة الأخرى أنه يبدو أننا بازاء فعلين متنافيين ، العولمة كهيكلة ناجزة للعالم ، والأدب كمحاولة لأنسنة هذا العالم ·

الواحدة الثالثة التى أظن أنه علينا ألا نغفلها أنه قد وقع منذ نهاية السبعينيات وفى وطننا العربى تجديدا حديثا يتصل بحساسيات ما بعد الحداثة ، وأنا أخص هنا بالذكر الأعمال التى قدمها عبد الكبير الخطيبى حول تفكيك الخطاب ، أعمال الطاهر لبيب ، أيضا أعمال أحمد أبو زيد حول رؤية العالم ، أعمال الدكتور صلاح فضل حول التنامى ، كذلك ما قدمه صبرى حافظ حول الحساسية الجديدة ·

·· هذه كلها كانت اشارات قد بدأت منذ نهاية السبعينيات، الآن لكى نقدم البضاعة كلها مرة واحدة أظن أننا بازاء قسمات عولمية تعتور مجال الفكر الأدبى ، وهو تعبير صائب وصحيح ، وتخص كل فاعليات هذا الأدب ان على المستوى الابداعى أو النقدى أو التاريخى وأقرب مثالا بالنسبة للابداع أظن أننا بصدد ما يمكن تسميته بسوق أدبية كونية تمثل الرواية فيه خيارا أوليا بالطبع على حساب الأجناس الأدبية الأخرى ، لماذا ؟ لان المسألة الآن بالنسبة للرواية تمتح الى حد كبير من سمات ما بعد الحداثة ، وأنا أقصد هنا تحديد اسمه التشظى ، فالعمل الروائى الآن عمل متشظى ولم يعد قائما على ما كان يسمى الاحكام أو الوحدة ، أيضا احلال اليومى بدل التاريخى ، فلم تعد هناك الرواية التى تؤرخ أعتقد أننا لن نجد مثالا لثلاثية نجيب محفوظ واهنا وانما ما يحث الآن هو الحديث عن اليومى ·

بالنسبة الى اللغة فالمسالة تبدو لى أقرب من الأثربولوجية الشعرية بدلا من السرد التقليدى وهناك نجد تقنيات مثل

الديكوباج وغيرها لكننى أنبه هنا الى جنس أدبى ما نسمية نحن بالقسمات العولمية بدأت تطوله بشكل أكثر حدة ، وأقصد هنا الأدب الشعبى ، فقد أصبحت هناك حالة من خفض التعامل مع هذا الأدب بدلا من استنهاض القوى التى أبدعته سابقا استلهامها ، فقد أصبح هنـــاك تسليع للأدب الشعبى ، فكاسيتات السيرة الشعبية تملأ الآن أسواق القاهرة ، تحولت السيرة الشعبية الى كاسيت ٠ هناك أيضا ما يسمى المحاكاة النصية أى محاولة اعادة صياغة بعض من السير الشعبية بتقنيات اعادة الصياغة أو التهذيب أو التلخيص أو التوثيـــق بدعوى الحفـــاظ عليــه تحت مسميات الصيانة وكأن المسألة تركة لكن فى المقابل هناك أعمال واصلت استلهام هذا الأدب الشعبى ، على ســـبيل المثـــال كتاب الأرض والدم لمحمد عفيفى مطر ، جمال الغيطانى ، محمود المسعدى ، وسينى الأعرج ، المنسى قنديل ، خيرى عبد الجواد ، هذا على مستوى الفاعلية الابداعية ٠ على مستوى الفاعلية النقدية اذا كان الميل النقدى الى اهتمامات ما بعد الحداثة قد طرح فى عالمنا العربى فمنذ سنوات كان منذ نهاية السبعينيات فهناك أيضا على ما يبدو لى تراجعا لأن رائجا ما يسمى الأدب الاســـلامى ، وقبلها الأدب النوبى الآن هناك نوع من التراجع ، أيضا ما قد لحظه أنــا كنبوسيولوحى وهو اللاتزاكمية ٠

لماذا ؟

لأنه لم يعد هناك تراكمية ، وهناك أيضا مراجعة اخضاع النص الأدبى للمناهج المستعارة من العلوم الانسانية وبخاصـــة

الأنسنية ، فقد بدأ الحديث حول الجمالية التى تستل من مناهج علوم المجتمع ·

بالنسبة للترجمة نجد أنه قد بدأ ما يسمى بالترجمات عابرة القوميات ، وهذه قسمة عولمية وأحيل حضراتكم الى أعمال السيدة نوال السعداوى ، حليم بركات وأهداف سويف فأعمال هؤلاء تسعى الى « شرقنــة » الذات أى محــاولة استبطان تضمينات الآخــر عن ذاتنا ، ومن ثم فأنا أزعم أنهم عندما يبدأون أعمالهم فهم يضعون فى ذهنهم ليس القارىء العربى ، وانما القارىء الغربى ومن ثم فلابــد أن يدغــدغوا عواطف هذا القــارىء الغربى وبالذات فى موضوعات حول الختان أو المرأة أو الارهاب أو ·· أو ·· هذا بالنسبة لفاعلية الترجمة ·

هناك أيضا قسمة عولمية طالت الأدب المقارن الآن بدأت أهمية هذه الفاعلية تتراجع ، لماذا ؟ لاغراء (المختلف) ، حــل (المختلف) محل (التماثل) والمختلف قسمة ما بعد حداثية ، ومن ثم أصبح الأدب المقارن الآن بعيد حيث تمام الحديث حول الأدب المقارن ، بل وانتقل الأدب المقارن فى بعض أعماله الأخيرة من دراسة التــأثيرات والتداخلال الأدبيــة الى الاهتمام بالتطبيق الدلالى اللغوى وتأويل تياراته ·

فى تاريخ الأدب تم تجاوز الفرديات والأصول والوطنيات وبدأ يرتبط الى حد كبير بتاريخ الأفكار اذن هناك قسمات عولمية قد تتضح بهذا القدر أو ذاك وقد لا تكون واضحة وقد يختلف معى بعض أو يتفق لكن الاختلاف على كل حال رحمة هذا ما أريد أن أصل اليه ، لكن لماذا اذا العولمة والأدب فعلين متنافيين ؟ هذا حديث آخر ·

ليانة بدر : أعتقد بأثير العولمة على الأدب بدأ بعد انهيار العالم الاشتراكى واكتساح سور برلين ، ذلك السور الذى تناثر كشظايا وأصبح يباع كهدايا تذكارية ، ربمــا كان ذلك نــوعا من التسلية بالتاريخ لشعوب متنوعة تعيش صراع بينها ولكن ما أستطيع قوله هو أنه كان هنــاك صراع بين مركزين فى العــالم ، ونحن كنــا الأطراف ، وعندما صار هناك مركز واحد تهمشت الأطراف هذه النظرة الكولونياليــة دخلــت الى الأدب وعكست السحب بشروط العولمة ، وشروط العولمة تحدد الآن القبول والاختيار فى الساحة الأدبية بالعالم ولهذا فنحن نشهد ليس أنواع جديدة ولكن رواج لأشكال داخل الأجناس الأدبية نفسها ، فمثلا رواية « اله الأشياء الصغيرة » للكاتبة الهندية أرقدت تورى هى الرواية الوحيدة التى استطاعت الحصول على جوائز عالمية ، بينما هناك أعمال كثيرة معبرة عن تاريخ الهند ، أيضا نشاهد أن شروط الاختيار والقبول التى تفرض علينا تنعكس على تقلص الترجمة فاذا لاحظتم تجدون أن كل مشاريع الترجمة التى كانت موجهة للأدب العربى سابقا والتى انتعشت فى فترة الثمانينــات ســقطت كلها فى بدايــة التسعينيات لأنه لم يعد هناك فى الغرب متلقى معنى أساسا بالنظر الى هذه الأطراف المهمشة ، فى الســابق كنا موقع للصراع بين قوتين كبيرتين كان هنــاك حب اســتطلاع بأخذ أشكاله فى الأدب أو فى الثقافة فكانت هناك محاولة لقراءتنا أدبيا على الأقل ، ولهذا تجد أنه من الصعب الآن أن ننظر الى أعمال نجيب محفوظ مثلا بالتقدير نفسه أو ربما ننتشر بالطريقة التى انتشرت لأننا جميعا نخضع الآن بشروط اقتصادية تعــكس نفسها على الأدب ، فهى شروط السوق أولا وأخيرا وأجد أن المشكلة بالنسبة لنا هى كيف نستطيع أن نحافظ على هويتنا وأن نعبر عن تاريخنا الخاص وأن نكتب المســكوت عنه والمهمش داخلنا وأن يتــم فى الوقت ذاته

الاعتراف بنا أو قبولنا فى العالم هذه هى المعادلة الصعبة .
ربما اذا توجهنا الى دراسات أكثر عناية بالتقييم للأدب المحلى وشروط ازدهاره فى العالم العربى فربما نستطيع أن نمثل تيار معين ينهض الأدب العربى أو يعيد الازدهار له لأننا مهددون ككتاب عرب بالتقلص والذبول والانحسار ، نحن نفتقر أصلا الى القارىء المحلى الآن ، لأن الأجيال الجديدة لدينا تقع تحت وطأة الهيمنة الاعلامية الفظيعة والميديا .

فكل الجيل الشاب ينظر الى التليفزيون والفضائيات والى كل الأشكال الاستهلاكية كمقدس ، ومن ثم فعلى كل مؤسساتنا التربوية والثقافية والفكرية وعلى كل كتابنا أن يعملوا على انعاش الذاكرة الثقافية المهددة ومحاولة تقدير شروط الانتاج المحلى لان الكاتب العربى دائما يضيع فى خضم المعارك والمشاكل المحلية فنحن دائما منشغلون بشكل أو بآخر بمعارك هامشية وفجة وتبادل اتهامات ، ولم ننتبه حتى الآن لهذه المأساة التى ترزح تحت ثقلها وهى مأساة النسيان التام وانتهاء حاجة القارىء العام وربما القارىء المحلى ، فالقراء العرب الذين مازالوا يواصلون القراءة هم امتداد لجيل سابق فالكتب الجديدة لا تجد صدى لدى الجيل الجديد ، ولهذا أظن أن المشكلة هى انحسار هذا الحس المحلى أو الذاكرة الوطنية للعالم العربى وهى مشكلة كبيرة وتهدد بمحو كامل للذاكرة الثقافية العامة والعربية وربما المحلية أيضا ، ولهذا علينا أن نعاود دراسة هذا الموضوع وأن نستكشف امكانات التجدد والحداثة وما بعد الحداثة داخل أدبنا لكى يستطيع أن يواجه بكل تياراته وأشكاله وتنويعاته وأصوله هذه التحديات الصعبة التى تفرض علينا .

د٠ محسن جاسم الموسوى : المناقشات تبدو أنهـا على قدر كبير من السعة والاختلاف فقضية حقيقة واقعة كما قال بعض الاخوة والاخوات وسنها حقيقة واقعة فهى أيضا تعكس طبيعة الهيمنة القائمه فى صلب التحولات التقنية الكبرى التى يشهدها عالمنـا العربى ، ولكن هناك حقائق أيضا لابد من اقرار فى داخل العوالم الأخرى خارج هذا العالم فبالنسبة لمشكلة الهوية مثلا نجد أنه حتى فى داخل البلد الواحد توجد تفاوتات كثيرة ، فى تقديرى أنه لتقريب المسـافة بين هذه المشـكلات دعونا نسـتعير خطاب (ما بعد الاستعمار) الذى حاول أيضا أن يقرب الصورة ما بين غلبة كبيرة يمكن أن تسمى عولمة وما بين الخصوصيات والهويات ، اذ ظهر خطاب ما بعد الاستعمار بشكل خاص فى داخل الولايات المتحدة الامريكية كما اذ ظهر فى بلدان أخر كالهند على سبيل المثال ، وقدمت مختلف النتاجات فى هذا الاتجاه ولكن عندما نريد أن نطالع بعض سمات خطاب (ما بعد الاستعمار) سنجد أنه يبحث فى المشكلات التى تثار بيننا اليوم كقضية العولمة وقضية الاختلاف وقضية التعددية الثقافية وكذلك قضية الاختلاف وركز خطاب (ما بعد الاستعمار) بشكل جاد على قضية الاختلاف وليس قضية التعددية الثقافية اذ قضية الاختلاف يمكن أن تشمل الكثير من القضايا الأخرى تخص الجنس والطبقة والأمة وما الى ذلك ونعلم نحن الصراعات الشديدة فى المجال النظرى التى دارت بين عدد كبير من المنظرين المعروفين فهناك هوم أبابا يقترح شيئا وهناك ادوارد سعيد صاحب رأى سابق وهناك جيمس فريدريك الذى قدم شيئا مغايرا وهناك اعجاز أحمد وهناك عشرات من الأسماء التى حاولت أن تعالج مشكلات نسعى الى علاجها اليوم ٠

اذا دخلنا فى حيثيات خطاب (ما بعد الاستعمار) فسنرى أن أغلب ما أثير اليوم قد أثير من قبل الآخرين ولابد لنا لبلوغ

ما نحن بصدده المرور على ذلك والاطلاع على الاقل على ما قيل حول هذا الموضوع كما نعلم ان الاشـتباك الذى تم كان بين نظريتين وليس بين تمرحل ثقافى بمعنى أننا لا يمكن أن نتحدث على الحداثة وعلى ما بعـد الحداثة على انهـا مراحـل بل على أنهـا اتجاهات ، اتجاهات تنبت فى صلب مجتمعات ويمكن أن تجتمع مع حالات من التخلف أيضا ، فعندما نقرأ الروايات العربية نجد أنها تجتمع كما قال الياس خورى على شيئين نقيضين حقيقة ، فالشخصية العربية تجتمع على عدة نقائض وينبغى أن تؤخذ هذه التشكيلية الهجينـة أو الكاريكاتورية بعين الاعتبـار عندما نتحدث عن الاتجاهـات الما بعد حداثية ٠

وكما نعرف فقد عالجت لندا هاشم قضية مثارة أيضا من النـاحية النظرية هى هل توجد علاقـة بين ما بعد الحداثة وبين التفكيك هل توجد علاقة بين خطاب ما بعد الاستقلال أو (ما بعد الاستعمار) وبين ما بعد الحداثة وجرى الاتفاق على أنه نعم توجد أشياء مشتركة منها ما نبه اليه د٠ محمد حافظ دياب صحيح كل هذه القضايا كالتشظى حالات رفض لحالات سابقة يقصد البدء باللاحـق لهذه ثبتت على الألسن كلمة العذاب أو العذابـات على أساس أنها ليست المنتهى ولكن البدء ٠

وأكثر الكتابات الجديدة تنحو منحى البدء ٠ أيضا السؤال الآخر المثار لماذا قبلت بعض الكتابات العربى فى المحيط الأجنبى ولم تقبل أخرى ؟

لماذا انتشرت بعض الأعمال ومنها كتابات استهلاكية تندمج مع الغرب ؟

هذه أسئلة حقيقية بالنسبة لنا ٠

نأتى الى المشكلة الاخرى التى تخص الكتابة العربية مباشرة وتخص قضية الأجناس ، وما الذى تنتهى اليها الأجناس الأدبية بشكل خاص ، هل تنتهى الشعر ؟ هل يمتزج الشعر بالرواية ؟

أيضا الاتجاه نحو الرواية فالدكتور حافظ دياب قال ان الرواية هى التى ستعلو وستمنح الأسبقية بسبب احتضانها لكثير من الأجناس الأدبية وبسبب اتجاه الرواية للخروج من الرواية نحو السرد بوجه عام واحتضان بقية الأجناس الأدبية ففى العالم الثالث تتجه الكتابة اتجاها شديدا نحو السرد ، وهو ما يعيدنا مرة أخرى الى خطاب (ما بعد الاستعمار) الذى يركز كثيرا على السرد بوصفه السبيل الذى بمقدور أغلب الجماعات المهمشية أن تهر فيه وأن تبرر وجودها ٠

انه الأكثر تقبلا للمسكوت عنه لانه الذى يتيح لنا الظاهر وفى الوقت نفسه يخفى الكثير من المسكوت عنه ، فيتيح لنا تحريك هذا المصمت وتقويضه ٠ هذا من جانب ٠

ومن جانب آخر هل يمكن للمثقف العربى من تحريك الثقافة العربية فى اتجاهات تفيد من الواقع ، فلابد من الاحتجاج ٠

ان ثقافة الاحتجاج قائمة فى العالم الآن ٠

فالذين يكتبون ضد الرأسمالية الآن ليسوا عربا فهناك فريدريك جيمسن هو كاتب أمريكى كتب أن الحداثة هى نمط رأسمالى متأخر ٠

وكما كتب يوجد عدد كبير من المنظرين الذين يشتركون فى الجدل والاختلاف والجمع ما بعد الحداثة وما بعد الاستعمار ٠

السؤال اذن : هل يمكن للثقافة العربية أن تأتى بجديد اذن ما تمكن المثقف فى المشاركة الفعلية فى تحريك الوعى الثقافى مجددا وحاول أن يحقق قدرا كبيرا من السعة الديمقراطية وأن يسهم فى تفريغ وتخاطب المهيمن أو السائد الذى استساغ الآن •

الاستعمار فى مرحلته الثانية أو الثالثة ، لان أغلب العوالم خارج المركز هى ليست مهمشة أو أطراف فقط بل هى مستعمرات جديدة ؟

ولهذا فان أهم ما فى خطاب ما بعد الاستعمار هو انتعاش الى حالة الاستعمار السابق والبناء من أجل استعمار لاحق واستبدال الاستعمار المكانى باستعمارات أخرى مختلفة • وأصبح الاستعمار لا يبنى وجوده على سابق فقط وانما على لاحق أيضا • وهذا سر الاختلاف على سبيل المثال بين اعجاز أحمد كمفكر ماركسى وبين مفكرين آخرين يرون أن التجديد فى طبيعة الامبريالية أو الرأسمالية فى مرحلها الثالثة تجدد حقيقى ولابد من أن نعترف هذا التجدد • لأن فكرة التفاد لم تقدنا كثيرا الى الخارج بل قادتنا
هذا التجدد • لان فكرة التفاد لم تقدنا كثيرا الى الخارج بل قادتنا
الى قمعيات جديدة واستبداد آخر ، ومن ثم فلابد من انفتاح المثقف والاشتراك فى حوار حقيقى وفعال للبحث خارج ثنائيات التفاد عن سبل تتيح أن نأخذ من الآخر بدون أن نرفضه وأن نستوعب ما يجرى بهدف تحريك الواقع العربى والافادة الكلية من الموروث والخصوصيات الموجودة لدينا ، ونقد ما هو مزيف وتافه ورجعى •

د• مصطفى عبد الغنى : أعتقد أن قضية الهوية تطرح نفسها أمام العولمة أو الكوكبة وأعتقد أن د• نبيل على لديه كلام كثير عن اللغة فى عصر العولمة فليتفضل •

د· نبيــل على : كنت أريد اعادة صياغة المداخلة العظيمــة للدكتـــور حافظ دياب من منظـــور تقنوقراطى متخصـص فى الكومبيوتر ·

أنا أريد أن أتحدث على أثر التكنولوجيا على الابداع العربى وعلى النقد وعلى تأريخ الأدب وأنا سأكون بالضبط الوجه الآخر للدكتور حافظ دياب ومن الممكن أن استخدام تعبيرات هى الوجه الآخر لنفس المصطلحات التى استخدمها د· حافظ دياب تعميقا للحوار لاننى أعتقد أن هذه المحـــاور الثلاثة تمثل أثر العولمة فى الأدب ·

أولا : فى مجـال الابداع نجد أن الأدب سيتحول الى نصوص يمكن اعادة استخدامها ، ولكن اعادة استخدام النصوص القديمة سيصبح مهما جدا ، وهذا يؤكد أهمية النصوص التراثية ·

النقطة الثانية : هى الخاصة بالهجين التكنولوجى بأن نمزج بين أشـــياء وأشـــياء أخرى لأن تكنولوجيـا المعلومات تســـمح بمعنى تناصى نص مع نص آخر أو يتناص مع نفسه من خلال علاقات تقوم نظم المعلومات بعملها وهذا الشىء سيؤدى الى كسر خطية السرد ، وخطية الرواية فبعد الخطية نحن نبحث اليوم على الأساليب غير الخطية وهذا يؤدى الى بروز أسـلوب جديد للرواية وهناك مبادرات لكتابة روايات غير خطية ، ولكنها مازالت دون التحقق لأنها مشكلة كبيرة جدا ، وهناك محاولات كذلك لكتابة رواية عبر مجموعة أفراد على الانترنت وأنا فى رأيى أنها لعبة أكثر من كونها أمر جاد ·

نقطة أخرى تتعلق باستخدام اللغة ، وبالطبع فان علاقة علم اللغة بالأدب أو بنظرية الأدب هى قضية مهمة جدا · خاصة ان

نظرية المعنى قد أصـــبحت قضية حاسمة جدا من منظور الذكاء الاصطناعى ، وأصبحت العلاقة بين مهندس الذكاء الاصطناعى وبين النقد الأدبى ونظرية المعنى هى علاقة مهمة بشـــدة فهم يريدون الحصول على الأدوات ونحن نريد أن نستلهم منهم المناهج والأدوات والمنطلقات الجديدة ٠

النقطة الأخيرة فيما يخص علاقة الأدب بالتكنولوجيا هى المغلقة بالتطاير ، فالأدب عمره سيكون قصيرا لأن الأدب مع تدفق المعلومات ومع حمل المعلومات الزائدة ستصبح النصـــوص قصـــيرة العمر الا لو كانت ممتعة للغاية ، فما أكثر النصوص التى سيكون مآلها صنادق القمامة ٠

وهذه مشكلة متعلقة بأصالة المبدع الأدبى فهناك نصوص تمر مرور الكرام على الانترنت وهناك كتاب مصريون وعرب ذائعى الصيت فأجدهم يأخذون نصوصا ليس لها هوية لكاتب ويحيلوها الى أنفسهم لذلك يمكن أن نظهر كتابة غير أصيلة وغير موثقة ومرجعية تتائهة فى سراديب هذه الشبكة التى تتضمن من السلب بقدر ما تتضمن من الايجاب وأنا وجد الكثير من المقالات فى الصحف العربية مأخوذة من على شبكة الانترنت ٠

فأنا أقول فى عـــلاقة الأدب باللغة ان النظرية اللغوية التى أقامها تشومســـكى من ربع قرن تهتز اهتزازا شـــديدا جدا لأن تشوسكى ركز على الجانب أو الشق النحوى ٠

بالطبع لابد أن نحيل اللغة الى الطرف الحقيقى وهو المعنى ، ولكن المشكلة أن نظرية المعنى مازالت نظرية فى منتهى الصعوبة ٠

وقد قال : فنجنشتين أننا يمكن أن نقيم نظرية للمعنى بدون ان نفهم المعنى وأعطى المناطقة الرياضيين فى اللغة وأنا أفهم مدخلا جميل جدا فيكفى ان تقول ما تريد ان تقوله بوضوح وبعد ذلك تخضعه للمنطق ولذلك فالمنطق اللغوى حاليا يفجر أساليب جديدة للمنطق عاليـــة الرئيســة مثـــل Intention hoji-modbel logi exteiotion lojio كل هذه الأنواع من المنطق ستغير فى فهم بنية السياق ، لان السياق أصبح عملية مهمة جدا ففهم بنيته عن طريق اخضاعه لبعض قوانين علم اللغة وعلم المنطق • وهذه بدايات ولكن سيظل الأدب مصدر الهام فى العالم •

هذا من حيث الابداع أما من حيث النقد فنجد ان العلاقة بين نظرية الأدب بالذكاء الاصطناعى بعلم اللغة هذا الثالوث قد أصبح حاكما شديدا جدا ولكن كيف تكشف عن بنية نصـــوص اللغة العربية ونحن نشكو من ندرة الدراسات المتعلقة بالترابط السياقى والمنطقى فهناك فرق كبير جدا بين الترابط اللغوى والنظرى وبين الترابط المنطقى ويبدو أنها جرافى نقيض فكيف يمكن للنصوص الخاصة بنا أن تتناص وان نتابع مســـارات التنامى الخاصة بها وبنيتها لم تكشف بشكل واضح ؟ •

لأن هذه البنية يمـكن تكشف بشكل واضـح لابد من كشف بنيـــة النص عن طريق اســـتخدم Cvnto moti abstrecting automatic Indexing وهى أدوات لكشف بنية النص ولكن لا يمكن أن يتأتى هذا الا من خلال دراسات لغوية تقول لنا عن علاقات مسارات الاشتقاق وعلاقات المعانى فمع هذا ينقصها المعانى خاصة فى اسقاط عنصر السياق وهناك قاموس رأيته يستخدم عبارات لدى نجيب محفوظ ليدلل على المعنى بعبارات يمكن أن توجد فى أى نص آخر لقرو آخر •

فأنا أقول : أن الكمبيوتر من الممكن أن يوفر قواعد بيـانات للنصوص Texteal data beses كثيرة جـدا ، ونحن لدينـا ذخيرة كبيرة يمكن استخدامها لتحليل الجملة العربية حتى يمكن وضعها على الكمبيوتر ، فقواعد بيانات النصوص هذه سوف تسمح بدراسات جادة للنص العربى وبالتالى دراسة أجناس الكتابة العربية تمهيدا لوضعها فى اطار احساس الأدب بصفة عامة ٠

فيما يخص مسالة الأرشـفة أو أرشـفة الأدب نجد أن عملية الحفاظ على النصـــوص عملية مهمة جدا ليس فقط للحفاظ على الهوية أو التاريخ ولكن المشكلة أصبحت هى الأموال لان ذلك يمثل المحتوى والمحتوى فى صناعة المعلومات يمثل ٥٠٪ ومعالجة المعلومات تمثل ٢٥٪ وتوزيع المعلومات ٢٥٪ ولذلك فالولايات المتحدة تركز اليوم على المضمون أو ما تم ابداعه هو العنصر الأساسى فى صناعة المعلومات لذلك يجب ان ننظر الى تراثنا كمورد اقتصادى وليس فقط للمحافظة الهوية فهى أشياء ثابتة ٠

المشكلة أن هنـاك بعض الشركات وبعض القضائيـات تحاول شراء أرشيف الصحف المصرية وأرشيف الأفلام المصرية ، بل اشترت بالفعـــل وهذا يعنى أن التـــراث قد تم تســليعه على حـد تعبير د٠ حافظ دياب ٠

فأنا اعتقد أن الكمبيوتر يتيح هذه الدراسات وعند اتاحة ذلك يمـكن لنـا ان نقوم بدراسات مقارنة جادة حول الأساليب ، لأن الدراسات الجادة سواء المقارنة Compoirotive والتقابلية ضعيفة جدا وكيف سنعولم اللغة العربية بدون هذه الدراسات خاصة ان هناك من يقول ـ من أهل الأزهر تحديدا ـ ان اللغة العربية لاتخضع لعلم اللسانيات وكان جوابى على ذلكا ن الجسم العربى أو الاسلامى

له تشريحه الخاص اذن ، فأنا أقول : كيف نضع اللغة العربية فى سياق عولمى ؟ يتم ذلك من خلال مرحلتين :

الحالة الأولى : القيام بدراسات مقارنة اللغة العربية فى اطار علم اللغة العام وعالمية اللغة ٠

الثـانية : ان نهتم بموضـــوع الترجمة (من والى) اللغة العربية ، وأؤكد ان المخابرات الأمريكية حاليا مهتمة وتطالب بالترجمة من العربية الى الانجليزية ويمكن أن نسترجع الهدف منه وهو كشف بنية الفكر العربى وكشف ما يدور فى وجدان الانسان العربى تحكما فى ردود فعله لان أفعاله أصبحت قصيرة للغاية ٠

د٠ صلاح فضل : د٠ نبيل على نفذ بعمق الى جوهر القضية المرتبطة بطرح السؤال والتحديات معا : وهى مسئوليتنا نحو عولمة الأدب ؟ العربى ؟ وهل هناك محاذير بالنسبة لنا فيما يتصل بتأثير العولمة على أدبنا نخشاها أو نتخوف منها ؟ أسمحوا لى ان أسوق ثلاثة محددات فى هذا السياق لانها تمضى بنا أبعد قليلا فى ادراك العلاقة بين العولمة والأدب أو الفكر الأدبى ٠

الملاحظـة الأولى : نتذكـر فقط أن منطق التطور الطبيعى فى الفكر الأدبى المتعلق بالجوانب الابداعية الخاصة بالأجناس الأدبية وبالفكر التحليلى النقدى يمض طبقا لنظام لا أظن أنه قد عانى تحولا خطيرا يمكن تلخيص هذا النظام فى منظومة من شطرين : حاجات ابداعية متولدة من طبيعة التطور الداخلى للمجتمعات للتعبير عن طاقتها وتقولب أحيانا فى أجناس ثم تبدأ العلاقة بين هذه الأجناس فى التميع والتداخل والتهجين وتتولد أجناس أخرى والأدب العربى فى القرن العشرين نموذج باهر على هذه الحركية الخلاقة التى تمثل وجه من التطور الطبيعى الداخلى لكن فى نفس الوقت هذا يرتبط

بشكل جذرى وتزامن مثل شقى المقص بالحراك الخارجى من تفاعل مع النماذج الأخرى العالمية وهذه النماذج العالمية هى بدورها محصلة محصلة لتفاعلات داخلية من ناحية ومحصلة لعامل اختص به القرن العشرين وهو على وجه التحديد ثورة التواصل وثورة المعلومات وأثر الميديا فى تخليق انماط جديدة من الوعى أشكال جديدة من التعبير تمس الجانبان معا جانب التعبير وجانب التلقى ، اذن أعتقد أننا اذا كنا متفقين على أن هذا هو منطق التطور الطبيعى فى تلك المنظومة يصبح دورنا أو التحدى المفروض علينا فى اطار العولمة أمام حرية متسارعة الايقاع يتمثل فى ثلاثة عوامل أساسية • العامل الأول لضبط الحركة ، هو محاولة اقامة نوع من الانسجام بين الطرفين لانه أى مسارعة فى ايقاع الحركة تؤدى الى لملل وارتباك حقيقى ، المبدعون عادة لهم دور طليعى فى عمليات التهجين والتخليق وهذا فتم عن طريق التجريب فأشكال الشعر العامى يستخلص انماطا جديدة يدخل فيها أساليب سردية ويدخل فيها طريقة صناعة تخيل جديد ، هذا الدور الطليعى للمثقف فى تجريب الأشكال الأدبية ابداعيا ونقديا يحد منه ويعوقه الى حد كبير ضرورة التواصل مع الآخرين لانه المثقف كفرد قادر على انه يسبق مجتمعه بمراحل كثيرة ، لكن المثقف المبدع الماكر حريص جدا على ألا يسبق مجتمعه ، وأسواق فى هذا الصدد نموذج بسيط جدا ، نجيب محفوظ مثلا فى أحد اعترافاته العميقة والحارة والصادقة يقول : عندما اكتب اعملى الابداعية (الثلاثية) وما بعدها كنت اكتب بأسلوب اقرأ فيه كل يوم على لسان فرجينيا وولف • فكان الوعى النقدى يعى أن هذا الاسلوب من التمثيل للمجتمع وللحياة قد تجاوزته الرواية العالمية ولكنه يكتب بلغة مازال جسدها يحتاج الى أن يتشكل فى هذا الاطار ، مع أن السياق العالمى قد تجاوزه وما أذهلنى وعى نجيب محفوظ بهذه الازدواجية ، ويدور كطليعى فى خلق أشكال فنية وعدم مسارعة الايقاع لمحاواة التطور الخارجى بينما طبيعة

الداخلي والاحساس لثقافته تقتضى أن يكتب بشكل أكثر تخلفا لأن هذا الشكل يساعده على جر الذائقة العامة وجر قراءة مقامه ، اذن فالمثقف التجريبى الذى يجرب فى الأشكال الابداعية المتعددة والذى يهجن منها ، والذى يخلق الذائقة لجمهوره حتى لا ينفصل عنه .

أنا فى رأيى أن مأساة كثير من شعراء الحداثة انهم يمعنون فى هذا السياق التجريبى ويكتبون أنماطا لا يستطيع أن يقرأها الا قلة قليلة جدا هم يطورون بهـــا جماليات جديدة ولكنهم لا يطورون الذائقة العامة .

اخلص من ذلك الى النقطة الثالثة وهى أن خيط الايقـاع الصحيح بين التجريب الابداعي والنقدى وبين حركة المجتمع البنيئة والتقاليد التى تحتاج الى خلخلة دائبة وصورة من المبدعين ، متطلب التوازت بين طرفين : التخليق الجـــديد من ناحية والحرص على ما اسميه التواصل الجمالى مع القاعدة العامة من القراء ، هذا التواصل الجمالى يفتح أبواب لعدة آفاق مستقبلية تتمثل فيما يلى :

تقوم وتتبلور أجناس ابداعية جديدة فمثلا الدراما التليفزيونية ناتجة من تولد خاص بين الرواية والسينما ومكيفة جماليا مع الوسيط الجديد وهو التليفزيون .

أيضا أشكال الابداع التى حدثنا عنها د . نبيل التى يمكن أن تتم عن طريق الكومبيوتر وتقنية كولاج الملومات وأود أن أطمأنه حول ما خشيه من أن كثير من أشكال هذا الابداع سينتهى مصيرها فى المســـتقبل الى صناديق القمامة أن هذا نفسه يحدث فى أشكال السيوسيولوجية مثلا تثبت انه خلال القرن العشرين أنه من بين مائة عمل ابداعي فى الشعر أو الرواية أو غيرهما يتجها تجمع معين ٩٠٪ منها يلقى فيما يطلق عليه سلة قمامة الكتابة ولا يعيش فى

المتوسط حتى فى أكثر المجتمعات احتفانا وطليعية للأشكال الجديدة نسبة ١٠٪ وهذه الـ ١٠٪ هى التى نثبت اصالتها والقدرة الخلاقة لمبدعيها على تحقيق المعادلة الصعبة بين هذين الطرفين كيف يبدع غطا جديدا من ناحية) وكيف يطور الذائقة لجمهور المتلقى حتى يجره الى عجلة التطور من ناحية أخرى عبر ما أطلق عليه قناة التواصل الجمـــاعى ؟

اذن أنا فى يقينى أن مشـــكلة الأجناس الأدبية فى علاقتهـــا بمشكلة العولمة أن العلاقة جدلية وحميمة وكانت موجودة بمستويات أخرى لكنها تطرح نفسها الآن بقدر أكبر من الحدة وتجعلنـــا أكثر انتباها الى ان دور المبدع والمثقف وخاصة المفكر النقدى أن يحاول دائما أن يحدث التحاما ما بين التجارب الابداعية التى تبدو سابقة لمجتمعها من ناحية وبين الذائقة التى تتلكأ اعادة فى متابعيتها لأنها تحتاج الى تنشيط الوعى الخلاق وادراك أهمية الالتحام بين هذين الجانبين ، كل الوسائط الجديدة ، من سينما أو تليفزيون أو فيديو أو كمبيوتر أو أنترنت كلها لن نقتل على الاطلاق الأجناس القديمة مثل الشعر الذى يبدو وللوهلة الأولى أنه مهدد لأن أسباب حيويته واستمراره سوف تتغلب لأنه يستجيب لحاجة روحية عميقة للانسان لايستطيع أن يتخلى عنها والا سيتخلى فى نهاية الأمر عن انسانيته ٠

د٠ مصطفى ماهر : الحقيقة أثرتم اشـــكالية فهم العولمة وأنا أعتقد أن هذا التشعب فى فهم العولمة لايجب أن يكون ســـــببا فى احساسنا بالخوف والتردد نحو الدخول فى هذا المجال الذى عرفناه قبل ذلك بأسم العالمية والاتصال بالعالم ككل ، والحديث المتكرر عن الغرب أو امريكا هى مراكز تمارس الهيمنة علينا ولذلك يجب أن نكون واعين بالهيمنة التى تتربص بنا ٠

بالتأكيد سياسات الهيمنة موجودة ولكن يجب الا ترهبنـــا لدرجة أن نتوقف عن دخول هذا المجال خاصة اذا كنا نستطيع أن نبدع فى مجال الأدب والفن ابداعات مهمة جدا ٠

فمثلا وحتى عهد رفاعة الطهطاوى كان هناك احساس بأن هناك نوع من التكامل مع الأدب وكان يرفع أى الأصول الاسلامية ويفسر ما جاء فى القرآن الكريم وأن الناس قد اختلفت أنواعهـــم وألسنتهم لكى يتعارفوا ويوجه التعارف الى مطلب التعارف المنصوص عليه فى القرآن الكريم ويجد أن هذا التعارف هو أساس الفلسفة التى يبنى عليها ، وانا يجب أن نأخذ بضاعتنا بيد العالم بعد أن تم تطويرها وكان يتحدث عن بضاعتنا التى ردت الينـــا هذا هو التصور الذى أحس به الطهطاوى عندما نزل فى فرنسا وشاهد هو تصور صحيح يكمله اننا أهملنا اهمالا شديدا ولا زالنـــا نهمـل والدينا ، فعلى سبيل المثال قبـــل أن يذهب رفاعة الطهطـاوى الى فرنســـا كان هنـــاك مسرحـــا فى مصر على مستوى معين واحد المستشرقين الذين أتو الى مصر قبل الحملة الفرنسية بثلاثين سنة وصف مسرحا ومسرحيات كانت تقدم وقال أن البيوت الميســـورة كانت تستقدم هذه الفرق من أجل التمثيل الا اننا لم نقم بأى جهد من أجل تطوير هذا النشـــاط المسرحى أوضحت تسجيله واليـــوم لانعرف عنه شيئا فتبدد ولم نعد ندرى قيمته ٠

ولقد كانت هناك عدة محاولات أذكر منها محاولة الأستاذ بالك الذى قدم نظرية تقوم على تحليل المكونات ' ولقد اهتممت بنظريته ، ولقد جرب نظرية تحليل المكونات من أجل تقسيم الأدب الى عصور بناء على معطيات محددة فى فلسفته ؟؟ هذه المنظومة فوجـــد انهـــا انطبقت جيدا على الأدب الألمانى ٠

وعندما جاء الى مصر فى جامعة القاهرة قام بتجربة مهمة جدا وهى دراسة مدى تطابق العصور الأدبية فى ألمانيا وهى بدون مسميات كالانطباعية أو غيرها وانما فترات زمنية ·· وعندما قام بدراسات عن مصر وجد أن العصور تقريبا متوازنة مع العصـــور فى ألمانى ولايعنى بالضرورة أن الانتاج الأدبى لدينـــا فى المستوى أو دون المستوى ·· الى غير ذلك بل يصف ماهو موجود ولقد ترجمت كتابه ونشره المجلس الأعلى للثقافة ولم يحظ من المصريين بأى اهتمام اننا فقط الذى قرأته ·

هذه الفكرة التى عرضها الأستاذ بالك اذا لم يوفق على المعطيات التى بنى عليها نظريته الا أنها تعطى مؤشرات بأن العصور الأدبية فى العالم كله عصـــور متوازية وأن العصر الأدبى الذى يغلب عليـــه الجدرانية مثلا كما يقول هذا العصر موجود فى افريقيـــا والصين وغيرها من البـــلاد ·

المفروض أن أدبنا ينشأ فى اطار بيئتنا الثقافية المحلية وحتى يخرج من هذا الاطار الى العالمية يجب أن يشبع أولا من المحلية ·· لذلك فنحن للأسف الشديد نجد أن العمل الأدبى أو الفنى داخل البلد ليس على المستوى المطلوب فهناك مايسمى بالارهاب الفكرى فلا يستطيع الكاتب أن يكتب كل مايريد بحرية ·

وهذا الارهاب الفكرى ليس من الدولة بل قد يكون من جهات أخرى يجد الكاتب أنه لايستطيع أن يقول كل مايريده أمامهـــا ، المبدع والمتلقى فى حاجة الى حرية حتى يستطيعا أن يخرجا مالديهما ·· أيضا لدينا فى المنظومة الثقافية لدينا هناك صعوبة فى الحصول على الأعمال الابداعية المختلفة سواء دواوين شعرية أو روايات ، هذا الطباع الذى يتعرض له التراث العربى بين أيدينا ظاهرة خطيرة جدا

ويقابله أن الغرب مهتم جدا بأن يعرف هذه الأشياء حتى يستطيع أن يبنس عليها لأنه دائما يبحث عن الجديد ٠

نحن نتكلم حول عدم دخولنا السوق العالمى للأدب القضـــية اننا لم نكون هذا السوق محليا ٠

د٠ مصطفى ماهر :

اذا كان الغرب قبل يتحطم الأسرة فيجب أن نقول أو نبحث عن الكيفية التي يفكر بها ٠٠ بل ان هذا التصور المتكامل لما يجب أن نقوله للغرب ليس متاحا عندنا بالشكل الكافى وفى الغالب نحن مطالبون لأن نفكر باطمئنان على اعتبار أننا نمتلك تاريخا قديما ٠ اننا لسنا متوجهين للمستقبل لأن هذه المســـألة ستتحكمنا فالكمبيوتر والتطورات الرهيبة تجعلنـــا ننظر برمعان واذا نظرنا فسنجد الأجناس الأدبية التى عندنا تطورت وان كانت عاجزة عن تغيير المضمون العميق لهذه الأنواع الأدبية فالمعروف من أيام جوته وقبله ان هذه الأجناس طبيعية وفطرية (المسرح ـ الشعر ـ القصة) على أنها موجودة فى الانسان ٠ واللافت للنظر عدم الاهتمام بما هو موجود عندنا حتى على المستوى اللغوى حتى فى الترجمة ويمكن أن تكون الصحافة هى المسئولة عن هذه الأزمة بدرجة كبيرة فقد أصبحت اللغة العربية تكاد تكون لغة أجنبية والعبارات الحقيقية التى كنا نجدها فى كتابات طه حسين ليست موجودة ٠٠ حتى من يكتبون الى التبسيط وكأنهم يكتبون بلغة أجنبية ٠ فعندما كنت جالسا فى الطائرة ذات مرة أترجم شعرا من العربية الى الألمانية وكان بجوارى لو كان عندى نص شعرى حقيقى كنصوص المتنبى أو شوقى ماكنت رجل ألمانى واندهش لتلك السرعة الرهيبة التى أترجم بها ٠٠ بينما أستطيع أن اترجم بهذه السهولة ٠ وبالنظر الى التجربة الألمانية فى سوق الكتاب والنشر فمن يحاول أن يدخل هذا الكتاب من دور النشر

العربية لايجب أن يفكر تفكيرا محليا علينا أن نفعل مثل مايفعلون حيث تقوم دور النشر بقياس اتجاهات النـــاس نحو الكتـــاب ٠

(ما) وبعدها يقررون نشره أولا ٠ برغم أنهم يملكون اتجاهات التأثير في الجمهور ٠

وأنا أعتقد ان عندنا ثروة ضـــخمة في الابداع ليس فقط في الأدب وانما الفنون المختلفة لكن لسنا قادرين على أن نعرضها لأننا لم ندخل في تعامل حقيقي مع هذه الأسواق الأجنبية حتى لو كنا رافضين لها وانما يجب أن نعرف كيف نتعامل معه بأي طريقة ٠

ونستطيع أن نقدم لهم الأدب والفكر على أمل أن تحدث امكانية خلق أرضية مشتركة ويكون الحوار موجودا ٠

فاذا كان الأدب العـــربي الذي ســـنقدمه للغرب لايعبر عن خصوصيتنا ويكون شيئا منفردا بالنسبة لهم فلن يقرؤه بمعنى انه يجب أن نكون على وعي بهذا الموضوع لأن الغرب يريد أن يعرف ماهو الفكر الجديد (عندك) أقصـد العرب من أجل أن يدخله الآلة الحديثة عنده ٠

فانا أعتقد أنه بالضرورة أن نهتم بالأجناس الأدبية التقليدية الموجودة عندنا وأن ندرسها دراسة جيدة حتى نبحث عن امكانيـة تقديمها للعرب أو للعالم كله ٠

محمود أمين العـالم :

لي ملاحظتان سريعتان : الأولى مع احترامي للدكتور نبيل علي : أنا أرى أن أخطر مافي العولمة وما تقدمه العولمة للأدب هو ســـيادة الفكر التقني ٠

ـ : (وهذا الفكر عظيم وجميل جدا فى التحليل والدراسة) .
اما أن يتحكم الفكر التقنى فى الأشكال الأدبية وفى الابداع وروح الابداع فهذا خطر .. وأظن أن هناك اتجاها لتشييد الفكر التقنى حتى فى الابداع .. ولاننسى أن .

(الابداع هو الانسان / قضية الانسان / مشاكل الانسان)
باختصار شديد ابداع أحيانا يدخل عجلة التقنية وهذه العجلة تكاد تقتل ابداعية الانسان وانسانسة الثقافة العولمة تهرسها هرسا .

النقطة الأخرى : مع احترامي للدكتـــور صــلاح فضل :
أخشى أن يكون فى كلامه نـــوع من التكتيكية فى الابداع والموقف النقدى يراعى أن المبدع الذى يقدم شيئا بعيدا عن الجماهير والزى العام الذى لايفهم هذا أحاول أن أقرب بينهما .

وهذه قضية تعليمية (أن أقرب بينهما) لكن أنا مع المبدع فيما يقول ، يقول ما يشاء ويكسر ما يشاء من تقاليد قديمة ، ويضيف ما يشاء من ابداع قضية الابداعية فى حقيقتها هى نقد للواقع ، كشف الجاليات جديدة حتى مهما وان تصادمت مع الواقع فيه ، قضاياه ، روحه النقدية الابداعية تغيير الواقع الأساسى ، تغيير الذائقة بمعنى تغيير رؤيتنا للواقع قضية الديمقراطية ، الرقابة ، البنية الاقتصادية المختلفة ، لا أقول أن نتحدث عن هذا بشكل مباشر لكن علينا أن نغوص ابداعيا فى نقد الواقع من أجل تطويره .. وأنا فى رأيى أن نبحث عن الجوانب الايجابية للعولمة كيف نواجه العولمة .. ولاســـبيل الى هذا الا بالابداع ، الابداع اشكاليتنـــا فلا يكون بالاستلاف أو التقليد أو المحاكاة أو التكرار .. فالابداع لن يتحقق الا بمعرفة عمق واقعنا وسيطرتنا على أدواتنا أيا كانت الخبرات العالمية ولكن بما يتوافق مع طبيعة الابداع الذى يحقق

لنا استبصارا حقيقيا وقدرة تعبيرية جمالية لهذا الواقع وهذه هى المواجهة الحقيقية للعولمة .

د / محمد برادة :

فالموضـــوع لا يتعلق بالعولمة وانما يتعلق بمفهوم الأدب فى عصر التحولات الكبرى .. والعولمة هى جزء من هذه التحـــولات ولذلك أريد أن أقول بعض الملاحظات :

أولا عندما نراجع مسار الأدب العربى الحديث منذ نهـــاية القرن التاسع عشر الى الآن نجد أن هناك عدة مفاهيم فى الأدب وهذه المفاهيم تحولت من مفهوم الاستنساخ أو محاكاة أو اعادة الخطاب الايديولوجى المختلف الى الخروج عن هذا الواقع وابداعات تراهن على المحتمل على المتغير على المسكوت عنه بالاضـــافة الى تحولات عميقة ليست على المستوى التكنولوجى ولكن تحولات علم النفس ، تحولات فى تحليل الفكر السياسى ، مفهوم لفرد والفرادنية والذى برز واضحا فى الانتاج الروائى والشعرى الخ ويشكل قيما أساسية على اعتبار أنه يواجه مؤسسات قادرة تدافع دوما عن لغـــة أحادية تدافع دوما عن مفهوم الكتلة غير المتنافرة .

فالأدب العربى باختصار فى مفهومه الحداثى اليوم هو تعبير عن الانشقاقية الايجابية أى كيف تخـرج اللغة الأحادية الى لغـــة متعددة الى لغة مخالفة الى ماهو سائد وهذا بالغمق عنـــدما نحلل (الشعر ، القصة ، الرواية) نجد هذا التوجه ولذلك ليس صدفة أن هذا الابداع الذى يقول ماتكسب عنه الخطابات السائدة والخطابات الاقتصادية والايديولوجية بصفة عامة .. ان هذا الابداع قيمته الكبرى ظل محاصرا الى اليـــوم ، فماذا ندرس منـــه فى المدارس والجامعات ؟ ماهو نصيبه من وسائط الاعلام الكبرى ، هذا الأدب

الذى يشكل عمليا مفهوم الحداثة فى مجتمعات فاقدة للحداثة أصلا هو الذى يخنق أو يحاط بأكثر من وســـيلة لابعاده عن الجمهـور الواســـع •

فلذلك عندما نتحدث عن الانجازات الكبرى فى التكنولوجيا وهى تطرح تساؤلا •• تساؤل المبدعين بالعمق ولكن فى نفس الآن نجد الذين استفادوا منها هم الذين يسايرون مفهوما معينا للأدب هو الأدب السهل أدب التسلية الخ •

والسؤال فعلا عميق بمعناه (هل يستطيع المبدعون الحقيقيون الذين كتبوا نصوصا متميزة أن يخرجوا الى مايوصفون به من أدب الصفوة ؟) •

أى ان هذه الانتاجات الجيدة يفهمها فقط صفوة داخـــل المجتمعات العربية وكيف يخرج بها المبدعون من نطاق الصفوة الى خطاب الجمهورى الواسع ؟ •• هذا السؤال يطرح ولكن ليس على حساب التنازل عن هذه القيم •

ثانيا : عندما نقول العولمة بكل مفاهيمها : هناك مفهوم أظن أشار اليها الأستاذ الدكتور مصطفى عبد الغنى عن كونيـــة الأدب وهناك مباحث كثيرة وجدالات حول •

كيف يتبلور مفهوما انسانيا عالميا تنتجه المخيلة الابداعية فى العالم ، وما تم ملاحظته حتى الآن هو أن النصوص الأساسية دائما كانت تكتسب شرعيتها انطلاقا من عواصم أوروبية معينة وبخاصة باريس /ن باريس استوطنها كتاب ليسوا فرنسيين من أمثال •
(يونسكو ـ بيكيت) وما يعنينا نحن :

أولا : كيف نضفى الشرعية على الانتـــاج الجيد على المستوى العـربى وعلى المستوى العـــالمى ؟ وكيف نستطيع أن نخاطب هذه المخيلة ؟

وهذا الانتاج المفترض فيه أنه سيكون انتاجا قوميا بمقاييس يجب أن نسهم فيها فى تحديدها والا ســـتظل تفـرض علينا من العواصم الغربية ٠

هذا شىء مطروح علينا عندما نتحدث عن العولمة ٠

د / منى طلبــة

ان التعريف الأساسى للأدب له هذه الخصوصية المزدوجة : الانغماس الكامل فى الواقع وتغيره فى نفس الوقت وهذا مايجعل الأدب أكثر فاعلية من التاريخ ومن الايديولوجيا السياسة ومن كل مقال يكتب أو الفنون القولية جميعا لأنه يغير الانسان بدون قهرا أو جبر ولكن عن طريق عملية القراءة أو التذوق الفنى أو المشاركة مع الأديب نفسه فى تغيير هذا العـــالم واذا لم يكن الأدب له هذه الخصخصة المزدوجـة فهو ليس أدبـا انه ينقد وفى نفس الوقت يغير وله الطاقة الايجابية من جمالية الكتابة نفســـها والتى ليست كتابة علمية ٠

ولذلك الأمم التى لاتستطيع أن تبدع أدبا ولا أن تقرأ أدبها هى الأمم العاجزة عن استشفاف الروح التى تحركهـــا فى التاريخ لأنى أنا أظن أن الأدب أكثر واقعية من الواقع لأنه يضـــع يده على حقيقة أن الواقع موجود ومتغير فى نفس الوقت وليس الواقع شيئا يعيشه بشكل جامد ونظن أنها الحقيقة فنكشف زيف هذا التعايش مع الواقع على أنه حقيقة ثابتة وجامدة الى الأبد ٠

ولذلك أظن أن عملية العولمة موجـودة منذ فجر التاريخ وأخذت أشكالا مختلفة وأنا قسمتها الى أربعة مراحل ٠

١ ـ فى النصوص القديمة كانت الأسطورة موجودة فى كل الحضارات القديمة ودرس العلماء النقاد مدى التشابه بين الرموز الأسطورية التى كانت موجودة مثلا فى مصر القديمة وشور وبابل والأساطير اليونانية وفى قبائل المايا وفى مريكا اللاتينية والهند ٠ هذا النوع من التفاعل الثقافى بين الحضارات لم يتيقن أحد ويذكر أو يعين لنا من أين تأتى الفكرة بالضبط فمثلا لو قرأنا قصة البحار الذى غرقت سفينته منذ أربعة سنة فى الأدب الفرعونى ، تفاصيل كثيرة : ملحمة جلجامش ـ طوفان نوح فى التوراة ٠٠ هذا التداخل الذى كان قائما على النقل الشفاهى بلا قومية محددة هذا كان نوعا من العولمة أو التفاعل الثقافى بين الأمم ٠

٢ ـ فى العصور الوسطى كانت الهيمنة للفكر العربى وأوربا أخذت الأجناس الأدبية وخاصة القصة والشعر الرومانسى والقصص الروسية والرعاة وكلها من القص العربى الموجود فى « كليلة ودمنة » والسير الشعبية وما الى ذلك ٠

٣ ـ فى فترة العصر الحديث كان هناك نوع من العولمة باسترداد الشرق للأجناس الأدبية فى شكل الرواية والقصة القصيرة ٠

٤ ـ المرحلة الحالية ليست مرحلة تفاعل ولا هيمنة شرقية ولا هيمنة غربية ولكن مرحلة ان الأخذ عن العرب كان أخذا ليس عن العرب فقط وانما عن الفرس والهنود وايران موجـود فى الثقافة العربية والأخذ عن الغرب كان يمتد الى روسيا وكتابات تشيكوف

وديستوفسكي والأستاذ يحيى حقي وضح في فجرا القصة القصيرة المصرية أن مصادر القص بالنسبة لثقافة العربية لم تكن غربيـة فحسب ولكن كانت روسية وشرقية أيضا ٠

المشكلة في العصر الحالي أن التفاعل بين الأدب هنا لانستطيع أن نقول عنه تفاعل ولا مترامي الأطراف ولكن هنـاك استقطاب ثقافي اما أن يكتب الناس في جميع أنحاء العالم أدبا يخضع ـ وهذه المعضلة ـ للشروط العالميـة للكتـابة وفي نفس الوقت يـكون جديدا بما يسمح للآلة الرأسمالية بتجديد نفسها وفي نفس الوقت٠

أنه لابـد أن تتحول الحكايات الكبرى للأمم الى تقسـيمات معلوماتية تتحول الى حكايات مبعثرة معلوماتية يمكن اسـتعادتها أو نزعها من هذه الأمم واعادة تصنيعها لمسيرة النقد الرأسمالي مثل قصص السندباد تتحول الى تمثيليات (كطرزان) تتكون سلعة لكن لابد تسترد من أجل القيم التى تمثلها هذه الحكايات الكبرى للبلاد والأمم وفي نفس الوقت استردادها كمعلومات تشير الآلة الرأسمالية وتعيد تصنيع الحكايات بوصفها آلات مرة أخرى ٠

وعند ناهتا في الشرق : تيار ان للعولمة : تيار تبصيري للعولمة من خلال معايشة العصر فعلا لكنه يتصدى بابراز الشكل الخصوصي لوطننا واستعادة الحكايات الكبرى بشكل جديد وتيار آخر انغمس تماما في فكرة المركزية العالمية وتخلى تماما ـ عن أى دور يمكن أن يقوم به الأدب في تغيير هذا المجتمع فالتيـار الذى يقـاوم هذا الشكل ـ المؤمن بفكرة المركزية العالمية ـ يأخذ الأشـكال المقطعة للرواية تشظى الرواية الحديثة) لكنه يعيد كتابة هذا التشظى بشكل يصبح فيه الرواية عبارة عن تضمين ورسـم لهوية حقيقية للوطن مثل رواية (دنى فتدلى) لجمال الغيطاني و (تاريخ الوقائع

الجنون) لادوار الخراط و (أوائل زيارات أوراق الدهشة)
لمحمد عفيفي مطر ‥ لو أخذنا الأشكال المكتوبة بها هذه الروايات
نجدها أشكالا مقطعة متشظية لكن في النهاية هذه الأشكال تعيد
كتابة التضمين تعيد كتابة الهوية بشكل جديد واخراج المحتمل
فيها ‥ ورواية (رأيت رام الله) في هذا السياق • فكل رواية
تقدم علاجا وبشكل جديد لأشكال الهوية فقد لفت نظرى فى
التركيبة الخاصة لرواية (دنى فتدلى) أنها قائمة على نشظى
أو تسريع دلالى لكلمة القطار مثل ما كان يفعل المعجميون العرب
عندما يجعلون الحقل الدلالى للكلمة هى عبارة عن عقول مختلفة
لكنها فى النهاية متباعدة بعضها عن بعض وتصب فى نفس الحقل
الدلالى •

فكرة التضمين موجودة عند كتابنا حتى من خلال الشكل
المتشظى للرواية أو البحث عن الهوية ‥ فى (رأيت رام الله)
رغم أن كل الفصول متباعدة تماما فى الظاهر / أو كتابة قصة
الشعرية العربية فى (أوائل زيارات الدهشة) فالتشظى فى
الروايتين مرتبط بالقضية • ونأتى للجيم الثانى ـ جيل التسعينيات
(منتصر القفاش ـ علاء خالد) فانهم يكتبون بالشكل (الما بعد
حداثى) الذى يعبر عن نهاية الرأسمالية وانتصارها ‥ فى نفس
الوقت أنا أظن أن الغرب الآن يريد فقط أن يحافظ على ما وصل اليه
من حالة انتصار وهذا الحفاظ لا يقوم الا باستعياد الآخرين بمعنى
أن يظل دائما على هذه الحالة ـ حالة الانسان المتشظى أو المتفكك
فى أعمال مثل (جورج بيريك) أو (فيليب سولرز) فى مرحلته
الأولى ومازالوا تقلدونها الكتاب فى محو تام للشخصية ويقولون
نحن نكتب وليس لدينا أى اتصال بالذات الجماعية ولا بالقضايا
الكبرى فى هذا المجتمع ولا يهمنا بأى حال من الأحوال أن يتغير
هذا المجتمع •

الدكتور نبيل على (يعقب على كلام حافظ دياب) أريد فقط أن أعتذر لو كنت أعطيت انطباعا اننى لا أدين لتشوفسكى فى نظريته العامة للنحو التى وضعت أسسا عامة ونظرية اللغة بصفة عامة وهذا يجرنا الى كونية الأدب التى قال عنها الدكتور براده وأنا أحيل الى كلام الدكتورة منى طلبة أنا كان هناك عولة للأسطورة وانها ترجعها الى التواصل الشفاهى ولتشوفسكى يقول (لا) انه يمكن أن تكون هناك عزيزة لغة ٠ هل يمكن أن تكون فيه غريزة أدب تقوم بعمل هذه الأساطير بدون أن تكون هناك تواصل ٠٠ هذه نقطة أساسية فى عمومية اللغة ، أنا أعتقد أن تشوفسكى صنع شيئا مهما للغة لأنه حول اللغة الى نموذج ذهنى ممكن أن نحمله الى غريزة وأنا أتمنى أن تتمكن نظرية الأدب من أن تصل ٠

نبيل على

ولكن أنا أريد أن أختلف مع أستاذى العالم فى فهمه لكلام الدكتور فضل الذى أعتقد أنه قال كلاما مفيدا ٠٠ فى مكر المبدع ـ اشارة الى نجيب محفوظ ـ ومكر المبدع فى رأيى انه نوع من الابداع ٠٠ هذا المكر الذى قالوا عنه التحام جدلى أن الأدب يجب أن يكون له سياق اجتماعى ووظيفة اجتماعية والا سوف يصبح أدبا مخلى من الوظيفة ومخلى من المهمة التى يجب ـ كما تقول الدكتورة منى طلبة ـ يصف الواقع وينتهكه ويعترض عليه ؟ وأنا أعتقد أن الاختلاف هنا كان اختلافا فى فهم الدكتور صلاح فضل ٠ وأنا أعتقد أن هذه تجربة مهمة ٠٠ ان نجيب محفوظ فعلا قرأ فرجينيا وولف وتأثر بها وكان به نزعة نشطى ولكنه يقول ذلك وهو فعلا تأثر بها نجاحه أو عد نجاحه متروك للنقاد ولكن ليس هناك أديب كما قالت سلوى بكر لا يمكن ألا يستغل الوعاء المعرفى المتوفر حاليا ويجب أن ينعكس ذلك على أدبه ٠

الدكتور حافظ دياب

كان ينقصنى أن أسمع صوتا جسورا وأقول لالياس خورى اننى أفهم نجيب محفوظ مبدعا شاء أن يكتب عن الشخصية المصرية والمجتمع المصرى واختزل المجتمع المصرى فى القاهرة المحروسة واختزل القاهرة المحروسة فى حى الحسين واختزل حى الحسين فى بعض الأزقة وهنا سوف يفهم العالم انها أقصى درجات المحلية هذه واحدة .

وسوف أعرج على كلام الدكتور مصطفى ماهر وأقول اننى سوف أفهم تعبير الأدب العالمى .

بمثل ما يفهمه منشئه (جوته) الذى وجد أن مفهوم الأدب القومى لايتسع لظروف ألمانيا وقتها لأنها كانت عبارة عن دويلات واقطاعيات ثم ان الحس القومى وقتذاك لم يكن قد تبلور تبلورا واضحا يمكن معه أن تكون هناك ثمة مصداقية لمفهوم الأدب القومى فصك مفهوم الأدب العالمى وهو واع تماما بأهذا لمفهوم لديه معانقة أو معالجة حية بن ماهو انسانى وما هو محلى .

وهنا سوف أفهم الأدب المصرى أو العرب على انه ليس هو الذى سيعبر عن خصوصية وانما هو الذى يعبر أو يوجه .

الأسئلة الانسانية العامة بأسئلتنا المستتبة الخاصة وهذه مسألة بحاجة الى أن نعيد نقاشها فى الملاحظة الأخيرة للدكتور نبيل على يبدو لى وهو ما قرأت له أخيرا أنه يتحامل على تشومسكى وأنا (لا لا لا أقف على الجانب الآخر ، هو يرى أن جهد تشومسكى محاولة لتوظيف قواعد اللغة الانجليزية وتعبيرها لمقتضيات اللغات

الانسانية وينبه نبيل على الى هذه المسألة ولكننى سوف أحاول تأويل ما يقدمه تشومسكي فانه فى الواقع يتقصى باللغة كنظام وليست اللغة ككلام وهنا سوف أفيد من منجزات تشومسكي ولكننى سوف أكون واعيا الى حد كبير بأن اللغة العربية ودعونى امتلك ميتافيزيائى لمرة واحدة انها تمتلك عتاقتها منذ قدم عبد الله العليمى فرادة هذه اللغة وأنا مازالت المسألة لدى غائمة أو غائبة وهى غائبة بالفعل ان هناك تمايز تتمايز به هذه اللغة ولدى ـ فى الواقع ـ شروطى الخاصة التى يمكن أن أقدم براهينى حول نجاحه هذه المسألة ٠

أما ما يذكره نبيل على من أن مايحدث الآن يمكن أن يكون احدى نظم التهوين من هذه الفعالية الأدبية أو هذه الفعالية التعبيرية أعتقد أن دكتور صلاح فضل يتفق معى فى هذا ولكن يمكن الحديث عن مؤالفة تجنيسية بين الأجناس الأدبية فيما يسمى الآن (الشعرية ـ المسرح المكتوب شعريا ـ الرواية المعاصرة شعريا ٠٠ الى غير ذلك) ٠

وأتذكر أمين العالم حينما تحدث عن الشعرية فبدأها بالكون الكون يمتلك شعريته وكذلك الأدب يمتك شعريته ٠

د / حليم بركات

عندى تساؤلات ولكن ابدأ بملاحظة

الملاحظة : انى أجد الندوة تكتسب حيوية عندما تتحول الى نقاش وتكون كسولة عندما تكون محاضرة ٠

التساؤلات : الأول : هو بالنسبة لتأثير الكمبيوتر فى الكتابة ٠٠ فهناك تأثيرات سلبية وايجابية لاستخدامه وأود أن أشير فقط

الى بعض التأثيرات الايجابية بينما السلبيات تفرض نفسها وخاصة السرقات ٠٠ فكل أستاذ جامعي فى أمريكا مطلوب منـــه أن ينبته ويتحقق من كل طالب يقدم له بحثا ويتأكد تماما أنه ليس مأخوذا من الانترنت فقد أصبحت هناك مؤسسات تكتب لك كليا دون تغير أى كلمة واضطرت الآن بعض المؤسسات أن توجد مؤسسات تحارب هذه النزعة وكيف ننبـه الأستاذ الجامعى الى طريقـة وقف امكانية حدوث مثل ذلك ٠

وبالنسبة للتأثير الايجابى فى مجال الكمبيوتر ـ وأريد أن أتحدث بالنسبة لتجربتى الخاصة ٠

اننى بدأت الكتابة بالكمبيوتر كليا من ١٩٩١ وكان تأثيره الأول على اننى لا أتعب حينما أكتب أربع أو خمس ساعات دون تعب وعندما أكتب بعفوية كل ما يحضر الى ذهنى وبنوع من التدفق لأننى بعد ذلك وفى أى وقت أستطيع الرجوع واعادة النظر فيما كتبت بدون صعوبة اعادة نقله ٠

ففى مجال الرواية تحديدا أرى أنه يسبقها بحث يستطيع أن يساعدك فعلى سبيل المثال فى الرواية التاريخية للواقـع الذى نعيشه ـ رواية الثلاثية ـ لنجيب محفوظ مثلا هى تأرجح لتطور الأسرة ضمن تطور المجتمع ٠٠ وعندما كتب الياس خورى حول الحيـاة الفلسطينية ما كان يمكن أن يكتب هذه الرواية دون أن يسبقها بحث معين وكذلك فعل عبد الرحمن منيف فى مدن الملح وثلاثيته الجديدة التى تتحدث عن تطور أرض العراق هذه أيضا ما كان يمكن أن تتم دون بحث ٠

أما تعليقي حول [هل يدوم ما هو أفضل] نحن قلنا ان بعض الأشياء لا تدوم أو قليل منها يدوم ١٠٪ ولكن حقيقة هل يدوم ما هو أفضل ؟

لأنه يجب أن نعرف من يؤثر فى الديمومة هل الثقافة السائدة قادرة على ترويج بعض الكتابات أكثر من كتابات أخرى وبالتالى ليست هى الأفضل وبالتالى قد يكون هناك أعمال هى المفيدة وجيدة وقد لا تدوم .

وأنهى كلامى بملاحظة انه الآن فى أمريكا اهملوا (جراس) الحائز على نوبل ١٩٩٩ وبسبب سياسى وبدأ التعليق على منحه للجائزة من باب السياسة تماما كما جرى النقاش عندما منح نجيب محفوظ وأمريكا تقول عنا اننا - العرب - نؤمن بفكرة المؤمرات واليوم الصحافة الأمريكية تقول ان هذه مؤامرة فجراس أعطى الجائزة لانه من اليسار واليسار دائما يعطوا الجائزة للاوباش وأهملوا الكتابة عن جراس والتعريف به خصوصا لانه منذ عشر سنوات اشترك فى ندوة وتحدى (سول بلو) الأمريكى الحائز على نوبل وقال له (انك تكتب على ما هو من الثقافة الأمريكية السائدة) واستطاع جراس أن يثير غضب الأمريكيين لأنه تحدى كاتبهم وأظهر عيوب المجتمع الأمريكى وثقافته .. كما كان له رد فعل عندهم ضد جراس ولهذا يقولون ان هذه مؤامرة .

سلوى بكر

سأتكلم من منظورى ككاتبة ، انى ألاحظ أن ما يطرح يؤول الينا وعلينا أن نقدم بضاعة فى الأدب قادرة على المنافسة ، قادرة على الاستمرار ، قادرة على أن تطرح فى السوق العالمى ، أتصور أن الأدب هو بضاعة من نوع مختلف وان الاستناد الى هذا الكلام

معناه : علينا أن نبحث فى الأجناس الأدبية المعاصرة أن نحاكيها أن نشاكلها حتى تصمد بضاعتنا فى السوق الثقافى العالمى ، والحقيقة أرى أن هذا الكلام فيه نوع من التعسف • أولا : هل حتى لو تحدثنا بهذه الميكانيكية عن المنتوج الثقافى والمنتوج الابداعى على وجه التحديد هل نحن فكرنا فى السوق المحلى وأنا أتصور أن الأدب هو ضرورة تلبى حاجة مجتمعية فى زمان ومكان محدد وبدون تصور للأدب على هذا النحو أتصور اننا ممكن نقع فى مشاكل عديدة خصوصا فى ظل المركزية العالمية والهيمنة العالمية لثقافات الآخر والثقافات ذات اليد الطولى على مجتمعات العالم المتخلف ، أتصور على مستوانا المحلى والعربى أن الأدب عليه أن يؤدى مهمات ••• فالالتفـــات الى النوع والشـــكل والتقنيـــات لا يأتى على نحو ميكانيـــكى •

وأنا أرى أن النقد يلعب دورا ارهابيا علاوة على كمية الارهاب والاستبداد السياسى وما ينتج عنه على المستوى الثقافى ، النقد يلعب دورا ارهابيا فى هذا الجانب فانه ينحى نصوصا ويتجاهل أخرى ، فالدكتورة منى لا أتصور أنها قرأت نصا لى •• انها انتقيت من جيل الســتينيات الى التســعينيات وما بينهما غير موجود وهذا يحدث على مستوى النقد ، النقد يستقطب فى اتجاهات أيديولوجية ، حتى هذه اللحظة ويضؤ ويكرس ويهمش ويجنب ويرهب من خلال المدارس الحداثية من خلال حديثه عن التقنيات •

القطيعة بين الانتاج الأدبى الحالى وبين الجمهور هو ناتج عن القطيعة بين النظــام المعرفى الجديد المتولد عن الارتباط بالثقافة العالمية (الغربية على وجه التحديد) بين النظـــام المعرفى القديم السائد فى المجتمع •

كيف نحل هذه الاشكالية ؟ لا يمكن أن تحل هذه الاشكالية الا على أرض التعليم والتعليم مازال متخلفا متشبثا بنظام معرفى

قديم وقوالب معرفية جامدة وهو لا يستطيع أن ينتج مواطنا له بنية تتقبل الجـــديد الوافد الأخطر من هذا أن هذه البنية هى بالعقل لا تمثل الجديد الوافد ، الجديد العالمى بالنسبة لها ضرورة ولا يمثل احتياج حقيقى لها وهذه اشكالية أخرى ٠

بالنسبة لى ككاتبة أتصور ما يفيدنى ـ رب ضارة نافعة ـ فى موضوع العولمة ان القاعدة المعلوماتية الضـــخمة المتوفرة على أن أستفيد منها فى انتاج نص هو حداثى يقدر ما يتلاقى مع ما يلبى حاجة المجتمع من ناحية نص قادر على تمرير خطابات هى خطابات حديثة خطابات جديدة وذات طابع ثورة (هذه الكلمة ـ ثورى ـ لم تعد ظريفة على الآذان لأنها خرجت من قاموسنا الآن) خطابات تســتطيع أن تســتنهض المجتمع على مســتويات من خلال النص الابداعى ؟

أنا لا أتصور نصا أدبيا الآن (نص ابداعى) لا يقدم معلومات فأنا لا أقرأ نصا لا يقدم لى معلومات ومن هذه الزاوية تحديدا أتصور أن لنا بضاعة قادرة على المنافســـة الخاصة شديدة الالتصـــاق بســـياقاتنا التاريخية وهذه البضاعة مقبولة فى الغرب ٠٠ وفى النهاية حتى الأدب المنتج فى الغرب وليس فحسب أبنا كما تقول (منى طلبة) هو أدب يجرى [تسليعه] وكل المنتوج الثقافى الآن يدخل فى الآلة الرأسمالية ويجرى تسليعه حتى الزدب المكتوب فى الغرب وليس أدبنا فحسب حتى الأسطورة المكتوبة فى الغرب حتى القصة ولكن أليس الأدب الأكثور حضورا رغم كل هذا التسليع وكل هذه الآلة الرأسمالية الرهيبة ، الأدب الأكثر حضورا هو الأدب ذو الطابع المعرفى المقبل من مناطق فى العالم أكثر تخلفا ومناطق أكثر مركزية ٠

ففى العقود الثلاثة الأخيرة ماذا قرأ العالم ، قرأ العالم الزدب المقبل من أمريكا اللاتينية والهند ومن بلاد كان لها ثقافة مغايرة ذات يوم وهى اليابان ٠٠ حتى الزدب المقبل من المنطقة الغربية وهناك مؤشرات على هذا ليس فحسب كم الكتب المباعة وعدد النسخ ولكن حتى الجوائز العالمية يعنى لو تتبعنا لمن أعطيت الجوجائز (نوبل وجنكور وبوكر) فهذه الجوائز حصل عليها (كاتبة هندية حصلت على الأخيرة) حتى لو تصورنا أن هذه الابداعات تكرس أو تلبى حاجة الآلة الرأسمالية ولكن هى فى النهاية أيضا لها قيمتها المستمدة من كونها ابداعات تقدم من مناطق لديها تجارب انسانية ومعرفة انسانية مغايرة ٠

أنا ـ شخصيا ـ عندى تجربة فى الترجمة عندما أذهب الى القراءة فى أماكن فيها جمهور عادى بعيدا عن الأماكن الأكاديمية ٠٠ ففى الجامعة فى ألمانيا وسويسرا أجد قارئات وقراء مواطنين عاديين وليسوا دارسين للعربية ولا سيسبولوجى ولا أنثربولوجى وليسوا متخصصين ولم يأتوا الينا لكى يشاهدوا الأدب المتحفى المقبل من منطقة متخلفة ولكن يتعاملون مع الأدب باعتباره شيئا يمسهم فعلا وبالتالى أقول لدينا بضاعة قادرة على المنافسة ٠

حامد أبو أحمد

اننا اتفقنا على أن العولمة ظاهرة موضوعية وهذا شىء لا اختلاف عليه لكن كل ظاهرة لها جوانب سلبية وجوانب ايجابية وهذا وضح من المناقشة فيما يتعلق بالجوانب السلبية للعولمة وصلات ذلك بالأدب :

١ ـ انتصار أمية رأس المال على أمية الطبقة العاملة ٠ ان الأدب يتعامل مع الطبقة الفقيرة والمطحونة والمهمشة كما عند يوسف

ادريس والبياتى والسياب ٠٠ كلهم اهتموا بهذه الفئات التى لم يكن يهتم بها أحد من قبل وبالتالى فبروز هذه السمة السلبية الجديدة للعولمة تضاف الى السمات الأخرى ٠

٢ ـ فشل الاقتصاد المعولم فى تحقيق نسب نمو مرتفعة وفى الحد من ظاهرة البطالة كما انه أدى الى نسف المكاسب الاجتماعية القديمة ومن ثم أدى الى تحول فئـــات كانت تحظى بعمل ثابت واستقلال اجتماعى لا بأس به رمى بكل هذه الطوائف الى هوة الفكر والبطالة نحن نعرف ٣٥٨ فردا فى العالم يملكون ٢٠٪ من الانتاج العـــامى ٠

٣ ـ ان الانتاج بمفهومه الواسع من صـحف وغيره أصبح بأيدى الطبقة المالكة لرؤس الأموال ففى مصر نجد المجلات المنتشرة هى المسطحة فكريا والمجلات الثقافية الحقيقية ليس لها جمهور ٠٠ هذا لو أراد أن ينزلق النموذج الثقافى نحو الأسفل وأن تطفى مظاهر الرداء والسطحية والانحطاط وقد سئل فى ذلك قبل موته المفكر المكسيكى (اكتافيوباث) عن الثقافة التى يقدمها التليفزيون وهو جهاز من أجهزة العولمة الحديثة فقال :

ماذا ينتظر من جهاز يعمل ٢٤ ساعة بقنواته الكثيرة ٠٠ ماذا ينتظر أن يقدم للناس ٠

٤ ـ أيضا من الظواهر العجيبة للعولمة والتى أشـــار اليها (هانزنيتر مارتين) مؤلف كتاب (فخ العولمة) قال ان نداء العصر الجديد بأنه [لينقذ نفسه من يستطيع ذلك] تقابل المقولة القديمة الموجودة عندنا [انج سعد فقد هلك سعيد] ولكن من هو الذى يستطيع ذلك فانتصار الرأسمالية لا يعنى أبدا نهاية التاريخ التى يتحدث عنها الفيلسوف الأمريكى فرنسيس فيكوياما ١٩٨٩ انما

يعنى نهاية ذلك المشروع المسمى بكل جرأة وغرور (الحداثة) فثمة فعل تحول تاريخى ٠

بأبعاد عالمية اذا لم يعد التقدم والرخاء بل صـــار التدهور الاقتصادى والتدمير البيئى هو أيضا أحد مظاهر العولمة الســـلبية والانحطاط الثقافى هى الأمور التى تخيم بطابعها على الحياة اليومية للغالبية العظمى من البشر وانتشار الأمراض ٠٠

أنا أعتقد أن كل هذه ظواهر لا نقول ان العولمة كلها ظواهر سلبية ٠٠ ولكن لها أيضا جوانبها الايجابية وبالتالى فان الأدب ٠٠ وأعتقد أن الأدب مطالب ان يتعامل مع الناحيتين وليس فقط المفاهيم الايجابية التى يريد الغرب ان يطرحها علينا ٠

[برادة طلب التعقيب قبل أن ينصرف] ٠

ـ أعتقد أن فى تناول هذا الموضوع هناك مسألة حيوية وهى ان العولمة طرحت على المستوى الأوروبى والأمريكى ٠

مســـألة الثقافات والأدب تصبح خطط من منظور الربح ـ الربحية الأساسية ـ بما فى ذلك استعمال الوسائل التكنولوجية فاننا نجد رد فعل فى فرنسا تجاه العولمة فيما يسمونها الخصوصية الثقـــافية ٠

ان هذا التنميط العالمى تريده فرنسا وتريد أن تقف وتريد أن تجتذب أيضا أوروبا لتقف ضده بمعنى أن المساعدات التى تبذلها الدولة للسينما وللمسرح وللكتاب يجب أن تكون كثيرة حتى تظل الثقافة التى لا تخاطب العقول الاستهلاكية ويعتبرون ان هذا يهدد قيمهم ٠

فالبنســـــبة للعالم العربى هذا سؤال يطرح ما يتوفق لدعم الكتاب والمسرح والسينما يوجد فى بعض البلدان منها مصر ولكن ليس هذا قائما فى كل البلدان العربية ٠٠ والسؤال الآن كيف سيصبح هذا الكاتب المبدع والمتشـــبث بقيم أساسية قادرا على الاستمرار ؟ وهذا التقدم الالكترونى التكنولوجى قادر على أن ينقل الينا أشياء تدخل فى باب الربحية أساسا وضمنيا من كلام الدكتور (نبيل على) هذا شىء قائم فهو مفيد ومضىء ولـــكن الذين قد يستثمرونه هم الذين يملكون رؤوس الأموال ٠٠ فبامكان كاتب بدلا من ان يكتب رواية فى سنتين يكتب عشر روايات فى سنة واحدة على هذا الأساس ٠

اليـاس خـورى :

لى ملاحظتـــان على ما قيل الأولى على على الدكتور حافظ والثانية للدكتورة منى طلبة ان انطباعى رغم الموقف النقدى والمعادى للعولمة أنهم قبلوا افتراضا خاطئا وهو افتراض انى من أيديولوجية العولمة هذا الافتراض الذى قبلوه يرى أن الأدب العربى المســـمى بالجديد (الرواية العربية انما بعد محفوظية تتشظى) كالأدب المعولم تماما ٠٠ نقلد متناسين أن التاريخ الأدبى عنده سياق واذا لم يكن عنده سياق يكون (زعبرا) فوضوى ٠٠ واذا كانت الرواية العربية لا تاريخ لها ولا سياق لها فمعنى هذا أنه لا وجود لها ٠

واذا كانت القضية واذا ما فهمنا أن الرواية العربية ما بعد المحفوظية ـ تقبل هذا المصطلح ـ هى جزء مما سيمى بعد ذلك الأدب ما بعد المكلونيالية) أى قبل ظهور العولمة والى آخره ٠

نحن فى قراءتنـــا للأدب والتجربة الروائية العربية المابعد محفوظية نرى ان نجيب محفوظ أعطاها تاريخا لم يكن لها وهذه

أهمية نجيب محفوظ الكبرى .. فنجيب محفوظ حررنا من أننا لا نملك تاريخا لهذا الجنس الأدبى أعطاه تاريخا فنجيب محفوظ كتب علميا كل المراحل وعندما تحررنا من ضرورة ان يكون للرواية تاريخا بدأنا نكتب رواية على تماس بالواقع المعاش ما نسميه (بالمعيش) المعيش لا يمكن أن يكون ـ أنا أتذكر أننى لا أقدر أن افترض ان رواية صنع الله ابراهيم (تلك الرائحة) كانت نابعة من قراءته التشيظى .. فتجربة تلك الرائحة هى تجربة معايشة فى السجن ، الفرق أنه كان فى روايته جرؤ على أن يكتب اللغة اليومية كما نعيشها اللغة اليومية كما يعشيا تتشظى وتتفكك .. الخ .. ليس صدفة أن هذه التجارب والتجربة العربية التقت مع تجارب فى العالم كله لتنتج ما يسمى آنذاك بالأدب ما بعد الكلونيالى .. أنا أتذكر عندما قرأت نقد ادوارد سعيد لرواية الجيل الصغير . أنا لم أكن سمعت بهذه الكلمة (التشظى) فعندما كنت أكتب عن الحرب الأهلية اللبنانية كيف انفجرت فرذا المجتمع الذى أنا أعيش فيه تشظى وتفكك وانفجر فهذا ليس معناه اننى تأثرت بواحد افرنجى أو أقلد فكلامكما تضمن (اننا نتحايل للدخول) .

(الدكتورة منى ردت معقبة أنا لم أكن أقصد ذلك) فقال الياس خورى (عفوا كان واضحا فى كلامك) .

وهذا يذكرنى بكلام الدكتور فضل ان نجيب محفوظ تحايل وبالتالى راعى ذلك وكان يعرف أن الشكل الروائى (فرجينيا وولف) ميت لكن مراعات المجتمعة كتب بهذا الشكل .. أنا أرى أن هطه الجملة هى خدعة نجيب محفوظ .. فنجيب محفوظ زكى لدرجة أنه عرفا ن الأشكال الأدبية تنطوى وهو غير قادر موضوعيا لأنه ليس هناك كاتب خارج زمنه وخارج مرحلته فتحايل على النقاد .. كي نفترض أنه عملها مرعاة للمجتمع هو عملها لأنه هو كذلك

.. فنجيب محفوظ عندما جرب يكتب بشكل جديد جاءت الرواية غير منضبطة ولا تؤاخذونا فى هذا الحكم .

النقطة الثانية المهمة جدا أنا رأيى .. هى لما نقرأ ما يسمى بالعلاقة بالتاريخ قيل ان الأدب المعولم هو ضـــد تفاصيل ما فى التاريخ .. اننا أ تذكر اننا بالمجتمع العربى احدى سمات الرواية الجديدة والأدب الجديد هو انه لا يتعامل مع التاريخ ولكن يتعامل مع الذاكرة واسمحوا لى أن أميز بين هاتين النقطتين لأن التاريخ مقولب ونحن لا نصنعه ولا علاقة لنا بصناعته (مثل طرح سؤال [جربوا فى بيروت عمل مســـابقة فى السبعينيات لأفضل رواية بوليسية ولم تنجح المسابقة لأنه لم يتقدم أحد بأى عمل] فالعالم العربى ليس فيه رواية بوليسية لأن الرواية البوليسية تقوم على فكرة ان هناك صراع بين البوليس واللص (بينما عندنا فى العالم العربى .. مجتمعات البوليس فيها هو اللص وبالتالى لا يمكن أن تظهر فيها رواية بوليسية وهذا مستمر من أيام المماليك) .

فنحن فى وفى الكتابة الجديدة .. هى أن نحمى الذاكرة لا الحاضر .. أى نحمى هــذه اللحظة التى نعيشها ، نحميها من الاندثار وأن نكتبها ، تراكم هذه الذاكرة برأيى أنه يصنع اقترابا من التاريخ .

النقطة الأخيرة : حول كلام الدكتور نبيل يوصف وضع الأدب كأنطلاقة من التقدم التكنولوجى وهذا من العولمة .. أنا أتذكر أن هناك ناقدا فرنسيا أمريكيا [ريفاتير] عنده افتراض أدبى ان كل أدب هو اعادة كتابة الأدب فهذا ليس جديدا كل ما تفضلتم به حضراتكم عنه تأثير الكمبيوتر أو تأثير الثقافة الالكترونية على الأدب هذا موجود أو نواته موجــودة فى الافتراض الأدبى نفســـه فى (الكولاج ، التطاير ، التكسير) أنا أظن أن النقطة التى يجب

الالتفات اليها هى شيوع التليفزيون وهو شيوع ثقافة مسطحة ٠٠ أنه كما قلت (ان هناك مقالات فى الانترنت تخرج وتكتب فى الجرايد) فهى مقالات درجة رابعة ٠٠ والانترنت ممتلى بالمعلومات السخيفة والمسطحة وأكثر من ذلك الانترنت تشبع لغة دولية هى الأمريكية والانجليزية المنبسطة والمسطحة ٠٠ ان حضارة روما الجديدة ـ أمريكا ـ ستكون مختلفة عن روما القديمة بنقطة جوهرية ان روما القديمة كانت لغة كل الانتاج العلمى والأدبى الرفيع هى اللغة اللاتينية أو اليونانية هى اللغة المسيطرة بينما تركت اللغات المستعمرة أو المهمشة للحياة اليومية فمن سمات النظام المعولم أن اللغة الركيكة ستكون هى اللغة المعولمة بينما الانتاج الابداعى سوف يتم فى اللغات المحلية ٠

★ السيرة الذاتية :

- د· مصطفى عبد الغنى ·
- ولد فى القاهرة (١٩٤٧ ـ) ·
- رئيس القسم الثقافى بالأهرام والأهرام الدولى ·
- عضو العديد من المؤسسات الثقافية فى الوطن العربى منها لجنة الدراسات الأدبية بالمجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة ·
- المستشار الثقافى لمجلة (بريزم) بوزارة الثقافة ·
- حصل على أطروحة الماجستير عن (طه حسين ودوره السياسى) ثم على أطروحة الدكتوراه فى فرع التاريخ الحديث والمعاصر ، وكان عنوان أطروحته (المثقفون وعبد الناصر ١٩٤٥ ـ ١٩٦٨) ·
- شارك فى مؤتمرات وندوات عديدة حصل منها على جوائز من جهات ثقافية مصرية وعربية ·
- كتب مشروعه الفكرى فى عديد من المجالات : فكتب فى التاريخ والفكر والسياسة والتراجم والدراسات المقارنة والابداع المسرحى والنقد الأدبى ونقد النقد حتى حصل على جائزة الدولة التقديرية فى مصر فى (النقد الأدبى) ، ووصلت أعماله الى حوالى أربعين كتابا ·
- درست أعماله فى جامعات غربية ، فسعت (جامعة السوربون) بفرنسا ـ على سبيل المثال الى تدريس كتاباته عن الفكر

السياسى على يد الأستاذ جاك بيرك (بجامعة السوربون) فى الثمانينات ، وقررت على طلبة الدراسات العليا هناك ٠

— له العديد من المقالات والدراسات الهامة فى عديد من الدوريات العربية منها : عالم الفكر ، والمستقبل العربى ، الناقد ، فصول ، القاهرة ، البيان ٠٠ الى غير ذلك ٠

— كذلك حصل على العديد من الجوائز العلمية منها : جائزة وزارة الثقافة المصرية عام ١٩٨٢ ، ونقابة الصحفيين المصريين ١٩٨٧ ، والمجلس الأعلى للثقافة فى النقد عام ١٩٩٦ ، وجائزة الدولة التشجيعية فى النقد الأدبى عام ١٩٩٧ ٠٠ الى الى غير ذلك

للمـــؤلف

- الاتجاه القومى فى الرواية : (سلسلة عالم المعرفة) الكويت ١٩٩٤

[حصل على جائزة الدولة التشجيعية للنقد الأدبى ١٩٩٧] :
الطبعة الثانية ، الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة ١٩٩٧ .

- أحمد بهاء الدين ـ سيرة قومية : دار الهلال، القاهرة ١٩٩٦
[حصـل على جائزة أحسن كتاب عن عام ١٩٩٦] بمعرض القاهرة الدولى للكتاب .

- مؤرخو الجزيرة العربية : دار الموقف العربى ، القاهرة ١٩٨٠

- المؤثرات الفكرية فى الثورة العرابية : هيئة الكتاب القاهرة ١٩٨٢

- شهر زاد فى الفكر العربى الحديث : الطبعة الأولى ، دار الشروق ، القاهرة ١٩٨٥ :
الطبعة الثانية ، دار شرقيات ، القاهرة ١٩٩٥ .

- المسرح المصرى فى السبعينات « ج ١ : الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٧

- المسرح المصرى فى الثمانينات « ج ٢ » : الطبعة الأولى ، دار الوفاء ، القاهرة ١٩٨٤ :
الطبعة الثانية ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٩٥

- الحصار : مسرح شعرى ، هيئة الكتاب ١٩٨٤

- الخروج من المدينـة : مسرح شعرى ، الثقافة الجماهيرية ١٩٩٥

ـــ اللاعب : مسرح شعرى ، هيئة الكتاب ١٩٩٦

ـــ الوداع : ترجمة آخر أشعار اراجون : هيئة الكتاب ، القاهرة ١٩٨٦

ـــ الشرقاوى متمردا : دار التعاون القاهرة ، ١٩٨٧

ـــ اعترافات عبد الرحمن الشرقاوى : الأعلى للثقافة ، القاهرة ١٩٩٦

ـــ طه حسين والسياسة : دار المستقبل العربى ، « ج ١ » القاهرة ١٩٧٦

ـــ تحولات طه حسين : هيئة الكتاب « ج ٢ » القاهرة ١٩٩٠

ـــ طه حسين وثورة يوليو : « ج ٣ » القاهرة ١٩٨٩

ـــ المفكر والأمير « العلاقة بين طه حسين والسلطة١٩/١٩٧٣ » : هيئة الكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٧

ـــ البنية الشعرية لفاروق شوشة : هيئة الكتاب ، القاهرة ١٩٩٢

ـــ عنصر المكان فى شعر محمد أبى سنة : هيئة قصور الثقافة القاهرة ١٩٩٦

ـــ المثقفون وعبد الناصر : دار سعاد الصباح ، القاهرة ١٩٩٢ . الطبعة الثانية ، مزيدة ومنقحة ، دار غريب ، القاهرة ١٩٩٩

ـــ زكى نجيب محمود « سلسلة نقاد الأدب » : هيئة الكتاب ، القاهرة ١٩٩٢

ـــ الخروج من التاريخ « دراسة فى مدن الملح » : هيئة الكتاب، القاهرة ١٩٩٣

ـــ نجيب محفوظ ـ الثورة والتصوف : هيئة الكتاب ، القاهرة ١٩٩٤

ـــ نقد الذات فى الرواية الفلسطينية : دار سيناء ، القاهرة ١٩٩٤

ـــ الجبرتى والغرب « دراسة حضارية مقارنة » : هيئة الكتاب، القاهرة ١٩٩٥

ط ٢ مهرجان القراءة للجميع ، ٢٠٠٠

ـــ مثقفون وجواسيس ـ دراسة فى أزمة الخليج : دار الأمين ، القاهرة ١٩٩٧

ـــ حقيقة الغرب ، مأزق الحملة الفرنسية ، مركز الحضارة العربية ، القاهرة ٢٠٠٠

ـــ الجات والتبعية الثقافية : مركز الحضارة العربية ، ط١ / ١٩٩٨

ط ٢ مهرجان القراءة للجميع ، الأعمال الخاصة / ١٩٩٩

ـــ عمالقة وعواصف ، دار الجهاد ، القاهرة ١٩٩٨

ـــ قضايا الرواية العربية فى نهاية القرن العشرين ، المكتبة اللبنانية المصرية ، القاهرة ١٩٩٩

ـــ الذاكرة المثقوبة ـ نهب وثائق العرب ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٩

ـــ تيارات الفكر العربى المعاصر ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ٢٠٠٠

ـــ نقاد الرواية العربية ، الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٠

ـــ الدور الأمريكى فى اغتيال حسن البنا ، مدبولى الصغير ، القاهرة ٢٠٠٠

ـــ مستقبل الجامعة فى مصر الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، ط١ ٢٠٠٠

ـــ معجم التاريخ العربى الحديث ، ت ، ط

ـــ فيل الزهايمر ـــ مذكرات عابر سبيل ، ت . ط

الفهـــــرس

الموضـــــوع **الصفحة**

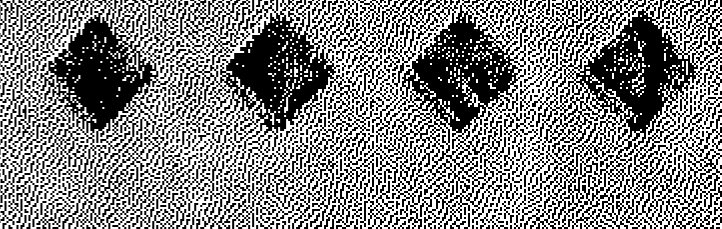
الموضـــــوع	الصفحة

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٥١٧٩/٢٠٠٠

ISBN — 977 — 01 — 6953 — 6

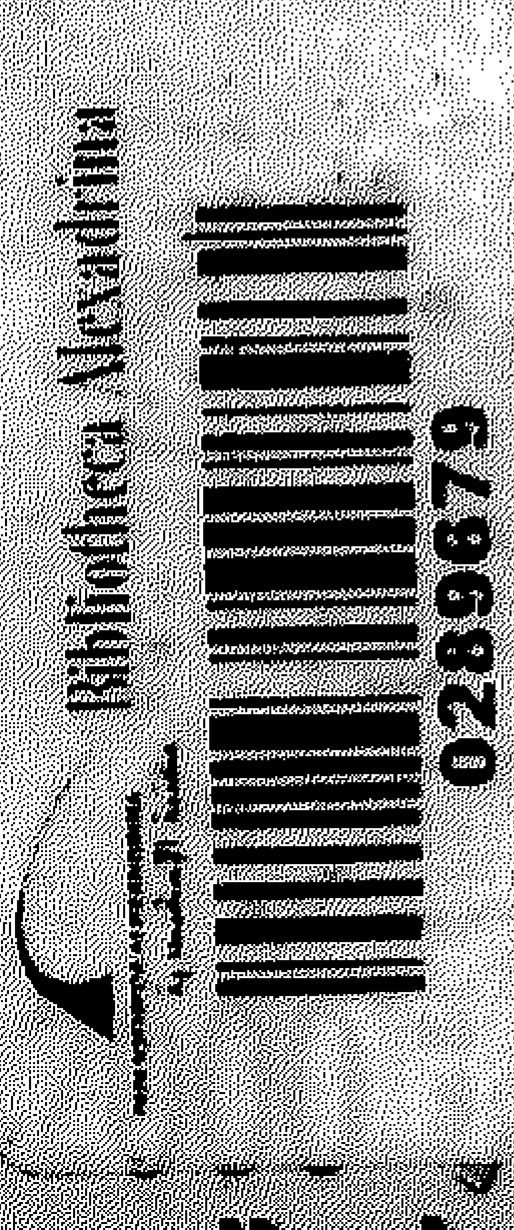




هذا هو العام السابع من عمر «مكتبة الأسرة» .. منذ سنوات طوال لم يلتف الناس حول مشروع ثقافى بير كما التفوا حول هذا المشروع الثقافى الضخم حتى صبح مشروعهم الخاص، وطالبوا باستمراره طوال العام، ستجبنا لهذا المطلب الجماهيرى العزيز إيمانًا منا أهمية الكتاب؛ وبالكلمة الجادة العميقة التى يحتويها فى عادة صياغة وتشكيل وجدان الأمة واستعادة دورها لحضارى العظيم عبر السنين.

لقد استطاعت «مكتبة الأسرة» .. أن تعيد الروح إلى لكتاب مصدرًا هامًا وخالدًا للثقافة فى زمن الإبهارات لتكنولوجية المعاصرة .. وها نحن نحتفل ببدء العام لسابع من عمر هذه المكتبة التى أصدرت (١٧٠٠) عنوانًا فى أكثر من «٣٠ مليون نسخة» تحتضنها الأسرة لمصرية فى عيونها وعقولها زادًا وتراثًا لايبلى من أجل حياة أفضل لهذه الأمة .. ومازلت أحلم بكتاب لكل مواطن مكتبة فى كل بيت.

سوزان مبارك



مكتبة الأسرة

مهرجان القراءة للجميع



٢٠٠ قرش